قول أَوفَى، في كوسوفا

تأليف

محمد بن ناصر العبودي

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبودي، محمد بن ناصر

قول أوفي في كوسوفا . / محمد بن ناصر العبودي . - الرياض ١٤٣١هـ .

٢٢٤ ص، ١٧ × ٢٤سم

ردمك : ٧ - ٤٢٢٢ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - كوسوفا - تاريخ أ العنوان

ديوي ٩٤٩,٧١ ١٤٣١/٧٥٣

رقم الإيداع : ١٤٣١/٧٥٣

ردمك : ٧ - ٤٢٢٢ - ٠٠ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

الناشر



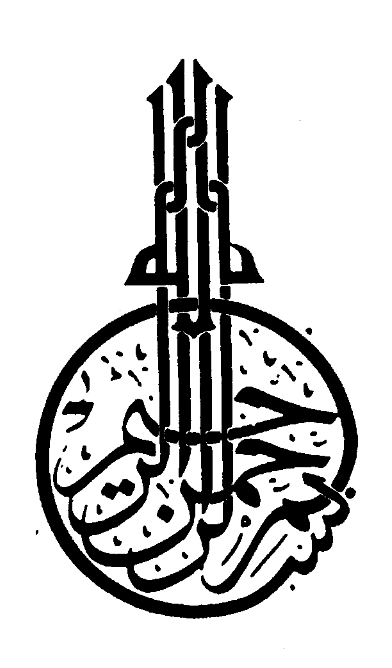
دار الثلوثية للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

تليفون : ٤٥٠٧٨٣٢

فاكس : ٤٦٤٥٩٩٩

email :tholothia@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

كتب مطبوعة في الرحلات للمؤلف

(١) في إفريقية الخضراء: مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- طبع بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
(٢) رحلة إلى جزر مالديف إحدى عجائب الدنيا- الرياض، دار العلوم، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
(٣) مدغشقر بلاد المسلمين الضائعين- الرياض، النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
(٤) جولة في جزائر البحر الزنجي أو حديث عن الإسلام والمسلمين في جزر المحيط الهندي- الرياض، المطابع الأهلية للأوفست، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
(٥) رحلة إلى سيلان- الرياض، جمعية الثقافة والفنون، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.
(٦) صلة الحديث عن إفريقية مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين- نشرته دار العلوم في الرياض، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
(٧) مشاهدات في بلاد العنصريين، رحلة إلى جنوب إفريقية وحديث في شؤون المسلمين- نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
(٨) إطلالة على نهاية العالم الجنوبي- مكة المكرمة، نادي مكة الثقافي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
(٩) زيارة لسلطنة بروناي الإسلامية- طبع بمطابع الرياض الأهلية للأوفست، عام ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
(١٠) شهر في غرب إفريقية مشاهدات وأحاديث عن المسلمين- الرياض، المطابع الأهلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
(١١) في نيبال بلاد الجبال- رحلة وحديث في شؤون المسلمين- الرياض، مطابع الفرزدق، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
(١٢) رحلات في أمريكا الوسطى- المطابع الأهلية للأوفست في الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
(١٣) إلى أقصى الجنوب الأمريكي رحلة في الأرجنتين وتشيلي- الرياض، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
(١٤) على ضفاف الأمازون، رحلة في المنطقة الاستوائية من البرازيل- نشره النادي الأدبي في أبها، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
(١٥) على قمم جبال الأنديز- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(١٦) في غرب البرازيل- الرياض، مطابع الفرزدق التجارية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
(١٧) في بلاد المسلمين المنسيين: بخارى وما وراء النهر- طبع في مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
(١٨) بقية الحديث عن إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
(١٩) جولة في جزائر البحر الكاريبي- مطابع الرياض الأهلية للأوفست، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
(٢٠) جولة في جزائر جنوب المحيط الهادئ، مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
(٢١) داخل أسوار الصين (مجلدان) - مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
(٢٢) بلاد الداغستان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ.
(٢٣) الرحلة الروسية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.
(٢٤) مع المسلمين البولنديين- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
(٢٥) جمهورية أذربيجان- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
(٢٦) في أعماق الصين الشعبية- نشرته مجلة المنهل.
(٢٧) بين الأرغواي والبارغواي- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
(٢٨) بورما الخبر والعيان- طبع ببيروت عام ١٤١٢هـ.
(٢٩) مقال عن بلاد البنغال- طبع بالرياض عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
(٣٠) ذكريات من يوغسلافيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
(٣١) كنت في بلغاريا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
(٣٢) في جنوب الصين- طبعته رابطة العالم الإسلامي بمطبعتها في مكة المكرمة عام ١٤١٤هـ.
(٣٣) كنت في ألمانيا- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.
(٣٤) ذكرياتي في إفريقية- محاضرة طبعتها رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة.
(٣٥) أيام في النيجر- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.
(٣٦) على أرض القهوة البرازيلية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٥هـ.
(٣٧) نظرة في شرق أوربا وحالة المسلمين بعد الشيوعية- طبع ببيروت عام ١٤١٤هـ.
(٣٨) بين غينيا بيساو وغينيا كوناكري- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.
(٣٩) من أنقولا إلى الرأس الأخضر- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.
(٤٠) سياحة في كشمير- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

(٤١) يوميات آسيا الوسطى- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٤هـ.
(٤٢) نظرة في وسط إفريقية- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
(٤٣) بلاد القريم- نشرته دار القبلة في جدة.
(٤٤) قصة سفر في نيجريا (مجلدان)- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.
(٤٥) حديث قازاقستان- نشرته دار القبلة في جدة (تحت الطبع).
(٤٦) المسلمون في لاوس وكمبوديا: رحلة ومشاهدات ميدانية- نشرته رابطة العالم الإسلامي في سلسلة دعوة الحق، وطبعته في مطبعتها عام ١٤١٦هـ.
(٤٧) في جنوب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ.
(٤٨) رحلات في أمريكا الجنوبية: غينيا وسورينام، مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.
(٤٩) إطلالة على أستراليا- طبع في مطابع التقنية للأوفست- الرياض عام ١٤١٧هـ.
(٥٠) أيام في فيتنام- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.
(٥١) في غرب الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، عام ١٤١٧هـ.
(٥٢) إطلالة على موريتانيا – نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٧هـ.
(٥٣) حديث قيرغيزستان، دراسة في ماضيها ومشاهدات ميدانية- نشرته دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
(٥٤) زيارة رسمية لتايوان، نشر دار خضر للطباعة والنشر في بيروت عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
(٥٥) سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور- مطابع النرجس التجارية، الرياض، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
(٥٦) راجستان: بلاد الملوك (من سلسلة الرحلات الهندية) مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
(٥٧) في شرق الهند (من سلسلة الرحلات الهندية) طبع في مطابع التقنية للأوفست في الرياض عام ١٤١٩هـ.
(٥٨) العودة إلى الصين (من سلسلة الرحلات الصينية) طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٠هـ.
(٥٩) في شرق البرازيل، من سلسلة الرحلات البرازيلية- طبع في مطابع التقنية في الرياض عام ١٤١٩هـ.

(٦٠) هندوراس ونيكاراقوا وكوستاريكا (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٩هـ.
(٦١) من بلاد القرتشاي إلى بلاد القبرداي (من سلسلة الرحلات القوقازية) طبع في مطابع التقنية للأوفست، الرياض، ١٤٢٠هـ.
(٦٢) بلاد التتار والبلغار (من سلسلة رحلات الشمال) نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته بمطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
(٦٣) بلاد الشركس: الإديغي- طبع مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
(٦٤) مواطن إسلامية ضائعة- مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
(٦٥) تائه في تاهيتي- طبعته مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
(٦٦) نظرة إلى الفلبين بين زيارتين: رسمية وخاصة، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.
(٦٧) ذكريات من الاتحاد السوفيتي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ.
(٦٨) نظرة إلى الوجه الآخر من الأرض أو رحلة إلى أبعد مكان: جولات في أقصى جزر المحيط الهادئ الجنوبي، طبع في مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
(٦٩) إقليما سمارا وأستراخان (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا)، نشرته دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
(٧٠) في إندونيسيا أكبر بلاد المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
(٧١) قرينادا وسانتالوسيا ودومنيكا (من سلسلة الرحلات الكاريبية) مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
(٧٢) مشاهدات في تايلند، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢١هـ.
(٧٣) مع العمل الإسلامي في القارة الأسترالية، جولة وحديث في شؤون الإسلام، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢١هـ.
(٧٤) فطاني أو جنوب تايلند، مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
(٧٥) المستفاد من السفر إلى شاد، مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
(٧٦) في جنوب البرازيل (من سلسلة الرحلات البرازيلية) مطابع التقنية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
(٧٧) شمال شرق الهند، رحلة في ولايتي بيهار وإترابراديش وحديث عن المسلمين، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
(٧٨) بلغاريا ومقدونيا (من سلسلة الرحلات في بلاد البلقان) طبع في مطابع العلا،

الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٧٩) بلاد البلطيق، طبع في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٠) بيليز والسلفادور (من سلسلة الرحلات في جمهوريات الموز) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨١) (العودة إلى ما وراء النهر) جولة في آسيا الوسطى، وحديث عن شؤون المسلمين، طبع في مطابع المسموعة، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٨٢) (على سقف العالم) رحلة في التبت، وحديث في شؤون المسلمين، نشره نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٢هـ.

(٨٣) الإسلام والمسلمون في غرب إفريقية، أو بقية البقية من حديث إفريقية، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

(٨٤) بلاد العربية الضائعة (جورجيا) طبع في مطابع العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٥) الاعتبار في السفر إلى ماليبار (من سلسلة الرحلات الهندية)، نشره النادي الأدبي الثقافي في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٦) ذكريات من خلف الستار العقيدي، رحلة في شرق أوروبا وأحاديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٢هـ.

(٨٧) بالي، جزيرة الأحلام، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٨) غايتي من السفر إلى هايتي، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٨٩) إلى جنوب الشمال: بلاد السويد، طبع في مطبعة العلا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

(٩٠) وراء المشرقين رحلة حول العالم وحديث في أحوال المسلمين، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩١) إلمامة بجنوب الفلبين لحضور الاحتفال بافتتاح المباحثات السلمية بين الحكومة الفلبينية وجبهة تحرير مورو الإسلامية، ومشاهدات أخرى، مطابع النرجس عام ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م.

(٩٢) رحلة هونغ كونغ وما كاو، طبع في مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٣) إلى أقصى الجنوب الإفريقي، مطابع النرجس، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٩٤) شمال سيبريا (من سلسلة الرحلات السيبرية) مطابع النرجس، الرياض، عام ١٤٢٤هـ.

(٩٥) فوق سقف الصين: رحلة في الشمال الغربي من الصين، وحديث عن المسلمين، طبعته مطبعة العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
(٩٦) إقليم أورنبورغ (من سلسلة الرحلات في جنوب روسيا) طبع في مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
(٩٧) إلى إريتريا بعد ٣٦ سنة، طبع في مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ.
(٩٨) الشرق الشمالي من البرازيل: رحلة في ولايات: برنانبوكو وريوقراندي دي نورتي وبارايبا (من سلسلة الرحلات البرازيلية) طبع في مطابع العلا في الرياض.
(٩٩) من غينيا الاستوائية إلى ساو تومي: رحلات في القارة الإفريقية، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
(١٠٠) من روسيا البيضاء إلى روسيا الحمراء (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية) مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
(١٠١) إلى شمال الشمال: بلاد النرويج وفنلندا (من سلسلة الرحلات في القارة الأوروبية)، مطابع العلا في الرياض، ١٤٢٤هـ.
(١٠٢) في غرب أستراليا (من سلسلة الرحلات الأسترالية) طبع في مطابع العلى في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.
(١٠٣) (نظرات في شمال الهند) مجلدان، طبع في مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
(١٠٤) جولات فنزويلية وحديث عن المسلمين في أحد أركان القارة (من سلسلة رحلات في أمريكا الجنوبية)، مطابع النرجس في الرياض، عام ١٤٢٧هـ.
(١٠٥) الحل والرحيل في بلاد البرازيل (ثلاثة مجلدات من سلسلة الرحلات البرازيلية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.
(١٠٦) في وسط الهند، طبعته مطبعة النرجس عام ١٤٢٦هـ.
(١٠٧) قوادي لوب وانتيقوا وسان مارتن (من سلسلة الرحلات في البحر الكاريبي) نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٢٩هـ.
(١٠٨) في شمال شرق آسيا، رحلة في سيبريا ومنغوليا، طبع مطابع العلا في الرياض، عام ١٤٢٨هـ.
(١٠٩) القلم وما أوتي، في جيبوتي، مطابع النرجس في الرياض عام ١٤٢٥هـ.
(١١٠) خلال أوكرانيا بحثاً عن المسلمين، (من سلسلة الرحلات في بلاد الشمال)، (تحت الطبع).

(١١١) مقال في زيارة منطقة الأورال، (من سلسلة الرحلات في وسط روسيا)، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٢) بورتوريكو وجمهورية الدومنيكان، (من سلسلة الرحلات الكاريبية)، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٣) جمهوريات القبائل الروسية (رحلات في جنوب روسيا)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٤) في غرب سيبيريا، مشاهدات وأحاديث في شئون المسلمين (الرحلات السيبيرية)، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٩هـ.

(١١٥) شمال أستراليا، رحلة وحديث في أحوال المسلمين (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٦) إلمام بالمحيط الهادي من أستراليا إلى جزيرة قوام (الرحلات الأسترالية)- (تحت الطبع).

(١١٧) إلى الشرق الأقصى الروسي (الرحلات الروسية) تحت الطبع.

(١١٨) حصاد الرحلات، نشرته مكتبة الرشد في الرياض، عام ١٤٢٩هـ.

(١١٩) رحلات ونظرات حول المسلمين في العالم، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٢٠) قول أوفى، في كوسوفا، وهو هذا الكتاب.

(١٢١) المارتينيك وباريادوس، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع، عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

مؤلفاته المطبوعات في غير فن الرحلات

(١٢٢) معجم بلاد القصيم (في ستة مجلدات)- نشرته دار اليمامة بالمطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ١٣٩٩هـ، ثم طبع مرة أخرى في عام ١٤١٠هـ.

(١٢٣) أخبار أبي العيناء اليمامي- طبع في الرياض وبيروت عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٤) الأمثال العامية في نجد (خمسة مجلدات) ساعدت دارة الملك عبدالعزيز في الرياض على طبعه، ونشرته دار اليمامة للطبع والنشر عام ١٣٩٨هـ.

(١٢٥) كتاب الثقلاء- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٦) نفحات من السكينة القرآنية- طبع أكثر من مرة آخرها طبعة لوزارة المعارف لتوزيعها على مكتبات المدارس- نشرته دار العلوم، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(١٢٧) مأثورات شعبية- نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في سلسلة الكتاب السعودي.

(١٢٨) سوانح أدبية- طبع مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٢٩) صور ثقيلة- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

(١٣٠) العالم الإسلامي والرابطة- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبع في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

(١٣١) نظرة إلى العلاقات العربية مع أهالي جنوب الصحراء، مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٢) المقامات الصحراوية- مطابع التقنية، الرياض، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

(١٣٣) مساعدات المملكة العربية السعودية للمسلمين، وبخاصة الأقليات المسلمة- بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية- نشرته لجنة الاحتفال بمرور مائة عام على التأسيس، وطبعته في مطابع الناشر العربي، الرياض، ١٤١٩هـ.

(١٣٤) كلمات عربية لم تسجلها المعاجم، أحد بحوث المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين، نشرته جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٣٥) المملكة العربية السعودية بين الماضي والحاضر (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة)- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطابعها في مكة المكرمة، ١٤١٩هـ.

(١٣٦) وجهة نظر، نشرته مكتبة الرشد في الرياض عام ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

(١٣٧) مدلولات كلمات قضى عليها حكم الملك عبدالعزيز، نشرته الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون (لمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية).

(١٣٨) رابطة العالم الإسلامي إحدى القنوات السعودية لمساعدة المسلمين- نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها بمكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

(١٣٩) الدعاة إلى الله: شرف مهمتهم، وطرق دعمهم، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ.

(١٤٠) واجب المسلم في بلاد الأقليات، نشرته رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(١٤١) (العالم الإسلامي: واقع وتوقعات) نشرته مجلة (العربية) التي تصدر في الرياض مصاحباً لعدد ذي الحجة ١٤٢٠هـ منها.

(١٤٢) الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة، طبعته مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٣) (حِكَمُ العوام)، طبعت في مطابع الجاسر، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(١٤٤) في لغتنا الدارجة: كلمات قضت، (كتاب لغوي) طبعته بنفقتها ونشرته ضمن منشوراتها دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، في أربعة مجلدات.

(١٤٥) حكايات تحكى (قصص)، نشره نادي القصيم الأدبي في بريدة، عام ١٤٢١هـ.

(١٤٦) أثر الأقليات المسلمة في الدعوة الإسلامية، نشرته رابطة العالم الإسلامي، وطبعته في مطبعتها في مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(١٤٧) الكناية والمجاز في اللغة العامية، نشرته مجلة الدرعية التي تصدر في الرياض، ١٤٢٣هـ.

(١٤٨) أماكن قديمة العمارة في القصيم، نشرته مكتبة العبودي في بريدة لصاحبها صالح بن عبدالله العبودي.

(١٤٩) معجم الألفاظ الدخيلة في لغتنا الدارجة، نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض في مجلدين- عام ١٤٢٥هـ.

(١٥٠) المقامات البلدانية، نشره النادي الأدبي في الرياض، عام ١٤٢٦هـ.

(١٥١) الأصول الفصيحة للألفاظ الدارجة، أو ما فعلته القرون بالعربية في مهدها (ثلاثة عشر مجلداً) نشرته مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في الرياض، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٢) الحوار في الإسلام، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٣) دور الأقليات الإسلامية في الدعوة إلى الله، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(١٥٤) الأقليات المسلمة: الواقع والمأمول، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
(١٥٥) العالم الإسلامي: الواقع والمعاناة، نشرته دار الطرفين للنشر والتوزيع في الطائف، عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
(١٥٦) هذا ما أستوحيته من الناس، كتاب أدبي نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٢٩هـ.
(١٥٧) جهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله في مساعدة الإخوة المسلمين وبخاصة في بلاد الأقليات المسلمة، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٢٩هـ.
(١٥٨) العلاقات بين المملكة العربية السعودية وتركيا، نشرته دار الثلوثية للنشر والتوزيع عام ١٤٢٩هـ.
(١٥٩) أخبار الملا ابن سيف تنشره دار الثلوثية في الرياض.
(١٦٠) أخبار قني تنشره دار الثلوثية في الرياض.
(١٦١) أخبار مطوع اللسيب تنشره دار الثلوثية في الرياض.
(١٦٢) مشاهد من بريدة قبل ٧٥ سنة، تنشره دار الثلوثية في الرياض.
(١٦٣) المطوع في باريس، نشره النادي الأدبي في الرياض.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم أنبيائه محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن والاه.

أما بعد: فإن استكمال زيارة منطقة البلقان التي كان إقليم كوسوفا لا يزال جزءاً منها، وكان من أول ما زرته قبل أكثر من ثلاثين سنة، أمر مهم لي، وذلك لأنني زرت أكثر بلدان وأقاليم منطقة البلقان وبقي منها بلدان اثنان لم أزرهما، زيارة تجول واستطلاع، وهما جمهورية الجبل الأسود، وإقليم كوسوفا، كما أن جمهورية صربيا قد زرتها أكثر من مرة، ولكنها ليست زيارة تجول خاصة بها، لذلك رسمنا في مكتبي في رابطة العالم الإسلامي خطة لزيارة هذه الأقطار الثلاثة صربيا، والجبل الأسود وكوسوفا.

وقد انتهت زيارتنا لصربيا وللجبل الأسود على خير ولله الحمد، وحصلنا فيهما على تجديد العهد بالمسلمين، وتقديم شيء من المساعدة لهم، وبقيت زيارة إقليم (كوسوفا) الذي نرجو، بل نسأل الله تعالى أن يحقق أملنا بأن يصبح عن قريب (جمهورية كوسوفا)، وسوف نقص عليك في هذا الكتاب قصة وصولنا إلى كوسوفا وتجولنا فيه.

وبقي شيء لا أدري ما إذا كان القارئ الكريم يريد أن يعرفه، وهو بيان الكتب التي كتبتها عن منطقة البلقان وهي مطبوعة:

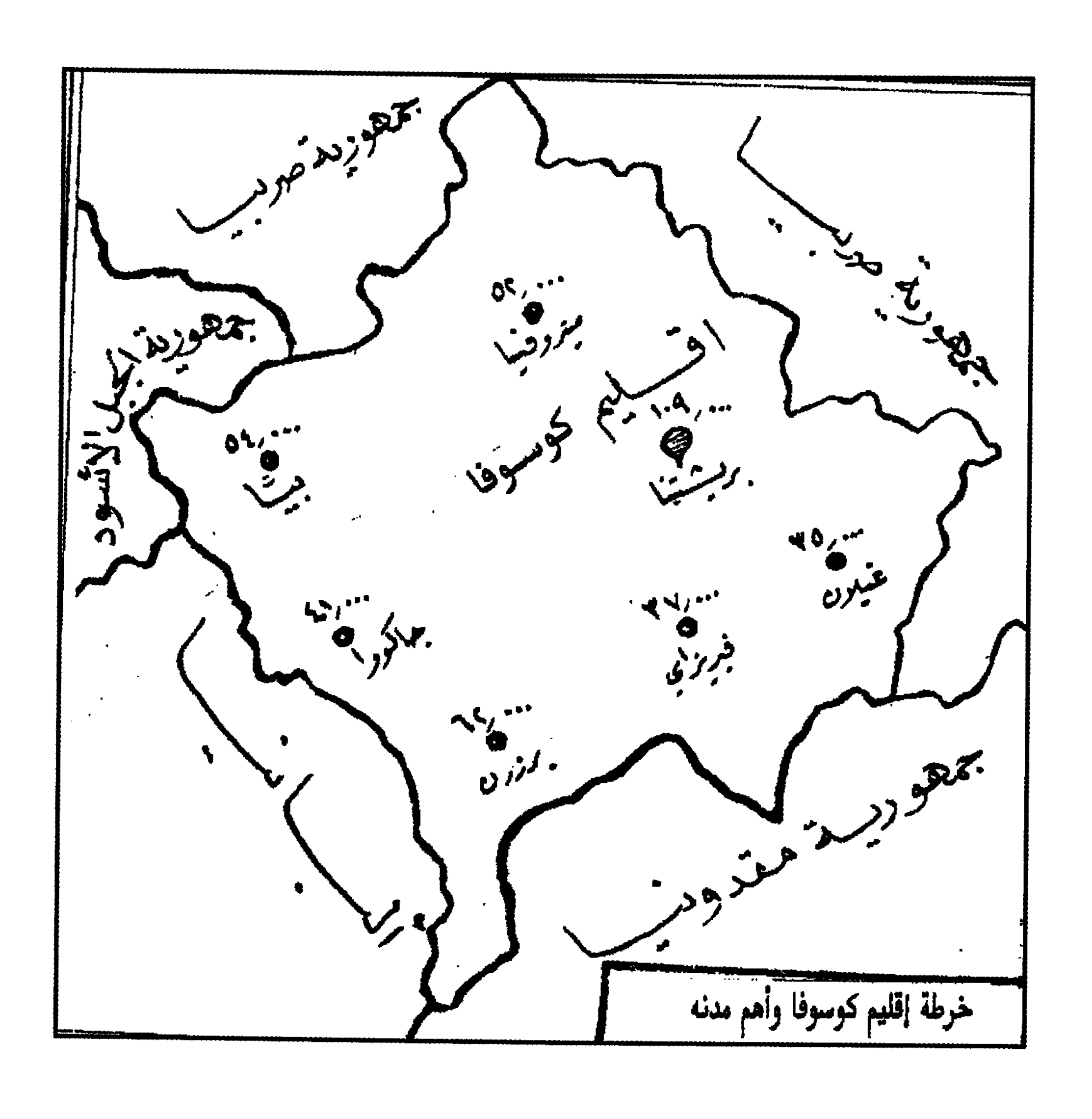
١- "ذكريات من يوغسلافيا".
٢- "كنت في بلغاريا".
٣- "كنت في ألبانيا".
٤- "كرواتيا وسلوفينيا".
٥- "بلغاريا ومقدونيا".

كما كتبت في الجمهوريتين اللتين فرغنا من زيارتهما الآن وهما صربيا والجبل الأسود كتاباً عن كل واحدة منهما.

والله الموفق.

المؤلف

محمد بن ناصر العبودي



خريطة إقليم كوسوفا

إقليم كوسوفا (Kosva):

معنى كوسوفا: ميدان الطائر الأسود، وقد اشتهر هذا الإقليم باسمه هذا بعد معركة كوسوفا التي وقعت عام (١٣٨٩م) بين العثمانيين، والجيوش البلقانية، والأوروبية المتحالفة، ومنذ ذلك الحين أُطْلِق هذا الاسم على الإقليم، وسُجِّل في صفحات التاريخ.

ثم ظل الإقليم تحت حكم العثمانيين قروناً عديدة إلى أن انسحبوا منه عام ١٩١٢ نهائيّاً، وبقي الإقليم تتنازع عليه الدول المجاورة للسيطرة عليه، ولكن لما كانت مملكة صربيا هي المسيطرة على معظم البلقان آنذاك انضم الإقليم إليها، ثم إن أهل الإقليم اشتركوا في حرب التحرير الوطنية، واعتُرِفَ بجهودهم وأُعْطِيَ لهم حق الحكم الذاتي ضمن نطاق جمهورية صربيا.

موقعه:

يقع إقليم كوسوفا في مكان حساس، ومركز مهم جدّاً في يوغسلافيا، وشبه جزيرة البلقان، ويربَط به البلقان كله، وكذلك البحر الأدرياتيكي بواسطة الخط العام البري، ويقع في جنوب جمهورية صربيا.

مساحته:

١٠.٨٨٧ كيلومتر مربع، أي أكثر قليلاً من مساحة جمهورية لبنان.

حدوده:

يحده في الشرق والشمال والشمال الغربي جمهورية صربيا، وفي الغرب والغرب الجنوبي جمهورية الجبل الأسود، وجمهورية ألبانيا، وفي الجنوب والجنوب الغربي جمهورية مقدونيا، وألبانيا.

وهذه دراسة عن إقليم كوسوفا، أعدها زميلي في السفر إليه أثناء وجودنا فيه الأستاذ رحمة الله بن عناية الله، مشكوراً.



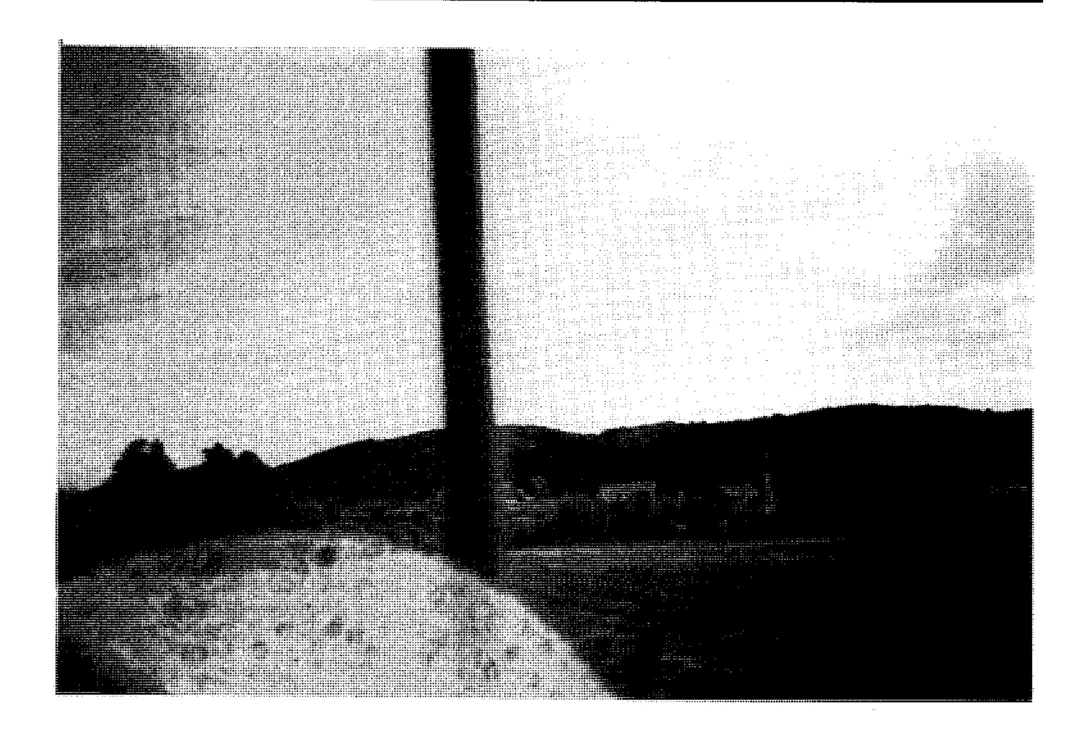
الريف الكوسوفي الخصيب

يقع إقليم كوسوفا في الجنوب الغربي من جمهورية صربيا، وتجاوره مقدونيا من الجنوب الشرقي، ومن الجنوب الغربي ألبانيا، ومن الشمال صربيا، ومن الشرق الجبل الأسود، وتبلغ مساحته ١٠.٨٧٧ كيلومتراً مربعاً، وبينما يسميه الصرب كوسوفو Kosovo يصر الألبان على تسميته كوسوفا Kosova، ويقولون عن أنفسهم إنهم كوسوفيون، بينما مواطنوهم من الصرب يقولون: إنهم صربيون، وقد دخلت كلمة كوسوفيون Kosovians الألبانية في قاموس أوكسفورد البريطاني.

ويعتبر الإقليم من أخصب مناطق البلقان وأغناها بالثروة المعدنية، ومن أهمها: الذهب الخام، والفضة والفحم والنيكل والرصاص، والزنك والحديد، وأما الثروة الزراعية فمنها: القمح والشعير والشوفان والبنجر ودوار الشمس، بالإضافة إلى المراعي الشاسعة التي ترعى فيها المواشي والأغنام والخيول.

برز كوسوفا إقليماً سياسياً عندما قررت اللجنة الأوروبية لإنهاء حرب البلقان ضم منطقة شرق ألبانيا إلى مملكة الصرب والكروات والسلوفان بموجب معاهدة لندن في عام ١٩١٣هـ، ثم قسمت تلك المنطقة المضمومة إلى ثلاث مناطق، فألحقت اثنتان منها بجمهوريتي مقدونيا والجبل الأسود، ووضع الجزء الثالث وهو الأكبر تحت السيادة الاسمية لجمهورية صربيا، وسميت منطقة كوسوفا الذاتية الحكم، وذلك عندما تشكل الاتحاد اليوغسلافي في عام ١٩٤٥م.

ثم تحول اسمه إلى (إقليم كوسوفا الاشتراكي الذاتي الحكم) في عام ١٩٦٨م، ثم قام الرئيس الصربي سلوبودان ميلوسيفيتش بإلغاء الحكم الذاتي له، وضم كوسوفا لجمهورية صربيا بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٨٩م، وعلى أثر ذلك بدأ عهد جديد من الاضطرابات والصراع الدموي، حيث اشتعلت المقاومة الوطنية لشعب كوسوفا لتقرير مصيرهم وإعلان استقلالهم، وحيث عقد مجلس الشعب لإقليم كوسوفا اجتماعاً سرياً وقرر إجراء استفتاء في ٢٢ سبتمبر ١٩٩١م، وجاءت نتيجة الاستفتاء أن صوت ٩٩.٨٧٪ من شعب كوسوفا للاستقلال.



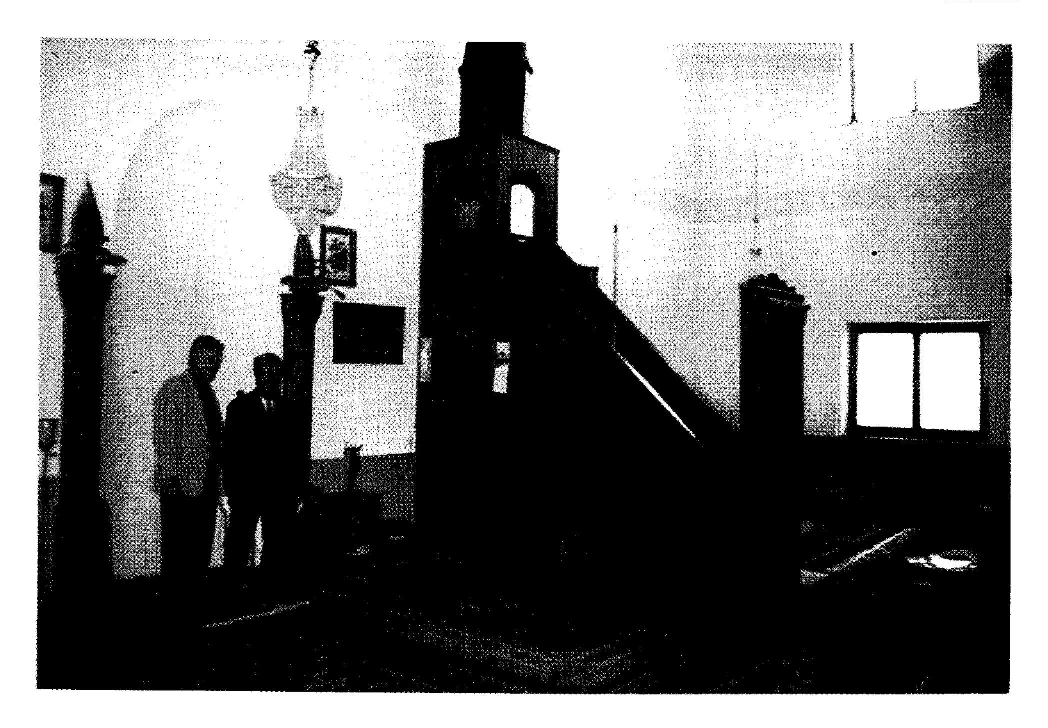
منظر من كوسوفا (التقطه المؤلف)

وانتخب إبراهيم روغوفا أول رئيس لجمهورية كوسوفا في ٢٤/ ٥/ ١٩٩٢م، واستخدم الصرب القوة لقمع حركات الحرية والاستقلال، وطرد الألبان من كوسوفا إلى أن تدخل المجتمع الدولي لوقف المجازر التي عانى منها الكسوفيون المسلمون، وصدر القرار رقم ١٢٤٤ لمجلس الأمن الدولي في ١٠ يونيه ١٩٩٩م، بوضع إقليم كوسوفا تحت الحماية الدولية، ومع أنه لم يتم الاعتراف بحكومة جمهورية كوسوفا المنتخبة، إلا أنها تمارس جميع سلطاتها الرسمية تحت الإشراف الدولي الذي يحتمل أن يقرر الوضع السياسي لكوسوفا في نهاية عام ٢٠٠٥م[1]، والمسلمون الألبان أكثر إصراراً على الاحتفاظ باستقلالهم وسيادتهم الفعلية التي يمارسونها في بلادهم.

(١) تقرر بالفعل استقلال كوسوفا جمهورية اعترفت بها أكثر الدول الكبرى وغيرها.

يقدر عدد سكان كوسوفا بنحو ٢.٥ مليون نسمة، كما يقدر نسبة الألبان بنحو ٩٠٪، و الصرب٥٪، والبوشناق المسلمين ١.٩٪، والغجر ١.٧، والترك ١٪، وعلى ضوء ذلك فإن نسبة المسلمين لا تقل عن ٩٣٪.

وكوسوفا بأغلبيتها السكانية بلاد مسلمة، تنتشر الجوامع والمساجد في كل المدن والقرى، ويقدر عددها بـ ٥٧٠ مسجداً، وعدد العاملين في الحقل الدعوي خمسمائة ما بين إمام ومدرس وداعية، و مشرف على العمل الإسلامي الاتحاد الإسلامي الذي يرأسه الشيخ نعيم ترنافا في الوقت الحاضر، ويضم ٢٤ مجلساً محلياً، ويدير الأوقاف الإسلامية ويسير الكلية الإسلامية التي افتتحت في عام ١٩٩٢م، ومدرسة علاء الدين الثانوية الشرعية التي توجد في بريشتينا ولها فرعان في بريزران وجيلان، وبالإضافة إلى الكتب والمنشورات الإسلامية يصدر الاتحاد الإسلامي مجلة شهرية باسم (المعرفة الإسلامية Dituria Islame) ومجلة دورية باسم (التربية الإسلامية Zgjimi Islam).



المؤلف في محراب أحد المساجد في كوسوفا

وقد قام وفدنا: وفد رابطة العالم الإسلامي بزيارة لإقليم كوسوفا في الفترة من ٢٠-٢٣ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ التي توافقها ٢٨- ٣١ مايو ٢٠٠٥م، وقد وصل إليها براً من الجبل الأسود حيث كان في استقباله في الحدود الشيخ نعيم ترنافا رئيس الاتحاد الإسلامي والأستاذ رسول رجب المستشار في الاتحاد الإسلامي وغيرهما من المسئولين المسلمين، وقد قام الوفد بمساعدة وتسهيلات من مسئولي الاتحاد الإسلامي بزيارة المدن والمؤسسات التالية:

١- **فيتوميريتسا** Vitomirice:

قرية صغيرة تقع بالقرب من حدود كوسوفا مع الجبل الأسود على ارتفاع ١٧٠٠ متر من مستوى سطح البحر، سكانها لا يزيد عددهم عن ٥٠٠ أسرة، وهم من المسلمين البوشناق، ولهم مسجد صغير.

٢- **بركاز** Prekaz:

قرية تابعة لمحافظة سكندراي Skenderaj التي تقع في شمال شرق كوسوفا ويبلغ عدد سكان بركاز ٣٨٧٦ نسمة، وهم من الألبان المسلمين الفلاحين، وقد عرفت بنضال أبنائها ضد الاحتلال الصربي حيث قاد آدم شعبان ياشاري حركة المقاومة الوطنية، واستشهد مع ٥١ شخصاً من أفراد أسرته في هجوم صربي على منزله، وقريته في يوم ٨ مارس ١٩٩٨م، كما دمر مسجد القرية، وقد جعلت سلطات كوسوفا منزل ياشاري الذي تعرض لقصف مدفعي شديد متحفاً يزوره السائحون في كوسوفا، ويستمعون إلى مرشد يتحدث عن نضاله ونضال المسلمين ضد الاحتلال الصربي ومظالمه.



مسجد في جنوب كوسوفا

٣- بريزرن Prizren**:**

عاصمة مقاطعة باسمها تقع في جنوب كوسوفا، وتبعد بحوالي ٧٥ كيلومتراً عن بريشتينا العاصمة، ويقدر عدد سكانها بأكثر من مائة ألف نسمة، ويقول الأستاذ علي وجاني رئيس الوقف والمجلس الإسلامي لمقاطعة بريزرن: إن عدد المساجد في محافظة بريزرن ٦٦ مسجداً، وأما في مدينة بريزرن نفسها فهي ٢٧ مسجداً، وأقدمها مسجد بيرقلي أو كما يسمى مسجد غازي محمد باشا الذي بني في عام ١٥٦١م، وقد تضرر جزء منه مع مبنى مدرسته القديمة، وقد تم إعادة بناء المدرسة الإسلامية التي تتكون من ثلاثة أدوار وطابق أرضي، وهو في مراحله النهائية، ولكن يحتاج إلى مبلغ مائة ألف يورو لاستكمال أعمال التشطيب، وقد ذكر رئيس المجلس الإسلامي لمقاطعة بريزرن أن هناك ثلاثة مساجد تحتاج إلى مساعدات، وهي:

أ- مسحد مدفيتش Medvee في بلدة إليريون Ilitgion دمره الصرب بصورة كاملة بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٩٩م، ويحتاج إلى مبلغ ٢٠ ألف يورو لإصلاحه.

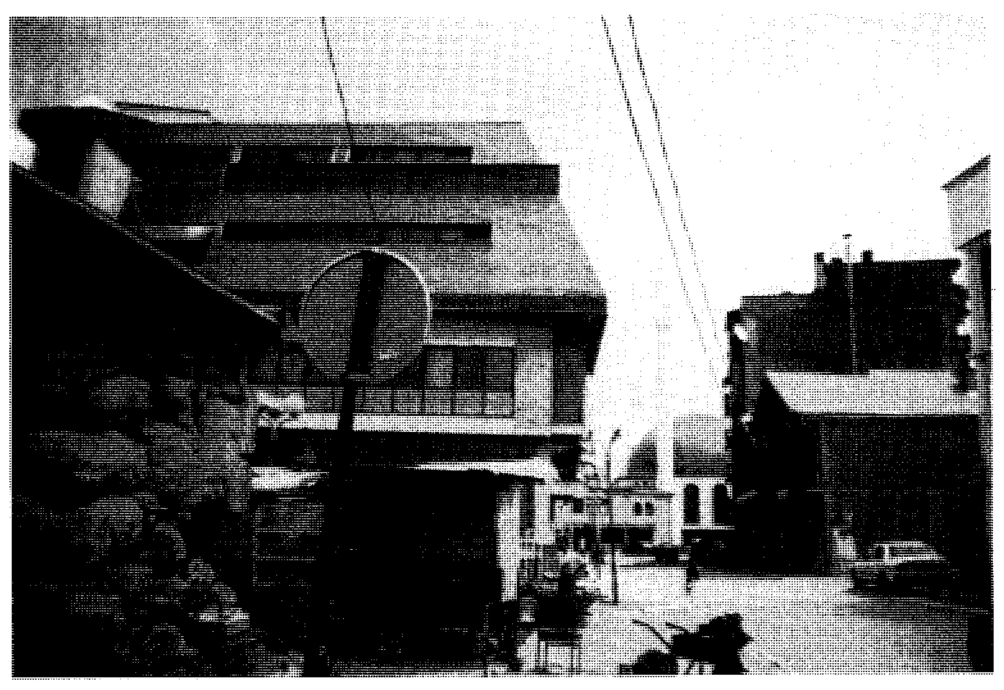
ب- مسجد بلانيه في بلدة بلانيه Planeje هدمه الصرب كاملاً، ولا يوجد في موقعه إلا أساسه القديم وأحجار البناء، ويتطلب إعادة البناء ويكلف ٥٥ ألف يورو.

ج- مسجد راندوبرافا Randoprava وقد دمره الصرب، وبقي أساسه، ويتطلب إعادة البناء كاملاً، ويحتاج إلى مبلغ ٧٠ ألف يورو.

٤- فوشتري Vushtrri **:**

محافظة مساحتها ٣٤٤ كيلومتراً مربعاً، وتضم ٦٨ قرية، منها قريتان صربيتان، والقرى الباقية مسلمة، ويقدر عدد سكانها بأكثر من مائة ألف نسمة، منهم ٩٨٪ مسلمون، وأما بلدة فوشتري نفسها التي تبعد عن بريشتينا بنحو ٢٨ كيلومتراً وتقع في شمالها الغربي فإن عدد سكانها ٢٠ ألفاً، يقول الشيخ شمس

الدين رحيمي رئيس الوقف والمجلس الإسلامي لمحافظة فوشتري: إن عدد المساجد في محافظة فوشتري ٢٥ مسجداً، وفي البلدة نفسها خمسة مساجد.



مسجد على الطراز التركي في كوسوفا

ومن أقدم المساجد في فوشتري مسجد غازي علي بك الذي بني في عام ١٤١٠م، ومسجد قرامنلي الذي بني عام ١٦٧٥م، وفي وسط البلدة مسجد جارحه (السوق) الذي بني عام ١٨٧٨م، وقد هدمه الصرب تماماً بهدف بناء كنيسة في مكانه.

وقد أمر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة بتعميره كاملاً مع المحلات التجارية المحيطة به، وعددها ٤٠ دكاناً، ومساحة المسجد ٤٠٠ متر مربع، كما يقول إمامه الشيخ بدري خليلي.

وقد تم ذلك إبان وجود كتيبة الإمارات العربية المتحدة التي عسكرت في فوشتري في الأعوام ١٩٩٩ - ٢٠٠١م، وكان عدد أفرادها ١٢٠٠ جندياً، ولا يزال المسلمون يذكرون بالشكر أعمال الخير التي بذلها الجنود الإماراتيون في مساعدة المسلمين ورعاية الأسر المتضررة والمحتاجة، وعددها ٧٠٠ أسرة.

ويفيد الشيخ شمس الدين رحيمي أن هناك مسجد بلتايا Bletaje في قرية ستانوفيتش ابرم Stanofci Eperm الذي قصفه الصربيون بالقنابل، واحترق من الداخل، وتعرضت قبته ومئذنته وبعض جدرانه إلى الهدم والتدمير ويتطلب ذلك إعادة البناء، ويكلف ٧٠ ألف يورو.

٥- ميتروفيتسا Mitrovica:

محافظة تقع في شمال كوسوفا وتبلغ مساحتها ٧٩٤ كيلومتراً مربعاً، وتضم ٨٤ بلدة وقرية، وفيها منطقة تريبجا Trepca التي تعتبر من أغنى المناطق بالرصاص والزنك والذهب والفضة في أوروبا، ويقدر عدد سكانها ١٨٠ ألف نسمة، منهم ٨٠٪ مسلمون.

وبعد الحروب التي حصلت بين الصرب والألبان ووصول القوات الدولية إليها في عام ١٩٩٩م، قسمت إلى جزئين يفصل بينهما نهر ايبر Ibar، فالجزء الشمالي الذي تقدر مساحته ٣٥٪ يسيطر عليه الصرب الذين يقدر عددهم ١٢٠٠ نسمة، كما يعيش معهم حوالي ٣٠٠٠ مسلم من البوشناق والغجر، ولا يوجد لهم مسجد لأن مسجد إيبري الذي كان موجوداً قد دمر تماماً، وأما الجزء الجنوبي فيسكنه الألبان الذين يقدر عددهم بخمسين ألف نسمة، ويقول الشيخ أرسلان فضلي رئيس الوقف والمجلس الإسلامي لمحافظة ميتروفيتسا إن عدد المساجد في ميتروفيتسا ٢٥ مسجداً، تضرر منها عشرة مساجد، منها أربعة مساجد في المدينة نفسها، وقد ساعدت هيئة الإغاثة

الإسلامية العالمية على إعادة بناء مقر المجلس الإسلامي كما ساعدت على ترميم وإصلاح مسجد غازي عيسى بك المبني في عام ١٧٢٥م، ولا يزال مسجد تونيلي الذي خربه الصرب يحتاج إلى الترميم ويلزمه لذلك مبلغ ٢٠ ألف يورو.



المنارة أعلى مبنى في القرية في كوسوفا

٦- بودوييفا Podujeve:

محافظة تقع على بعد ٢٨ كيلومتراً جهة شمال بريشتينا، وتبلغ مساحتها ٦٦٣ كيلومتراً مربعاً، وتضم أكثر من ٥٥ قرية، يقدر عدد سكانها ١٣٠ ألف نسمة، وفي بلدة بودوييفا نفسها ٤٥ ألف نسمة، وكلهم مسلمون ولهم أكثر من ٢٨ مسجداً.

ويقول الشيخ عثمان كورسولي رئيس الوقف والمجلس الإسلامي لمحافظة بودوييفا إن القوات الصربية دمرت أكثر من عشرة مساجد، وقد أدى وفد

الرابطة والمرافقون معه صلاتي الظهر والعصر قصراً وجمعاً في مسجد مازه، وهو مسجد جديد بني في عام ١٩٧٢م، ومساحته ٦١٠ أمتار مربعة وإمامه الشيخ إدريس بلال الذي أفاد بوجود ثلاثة مساجد في بلدة بودوييفا التي يسمونها أيضاً بسيانا Besiana.

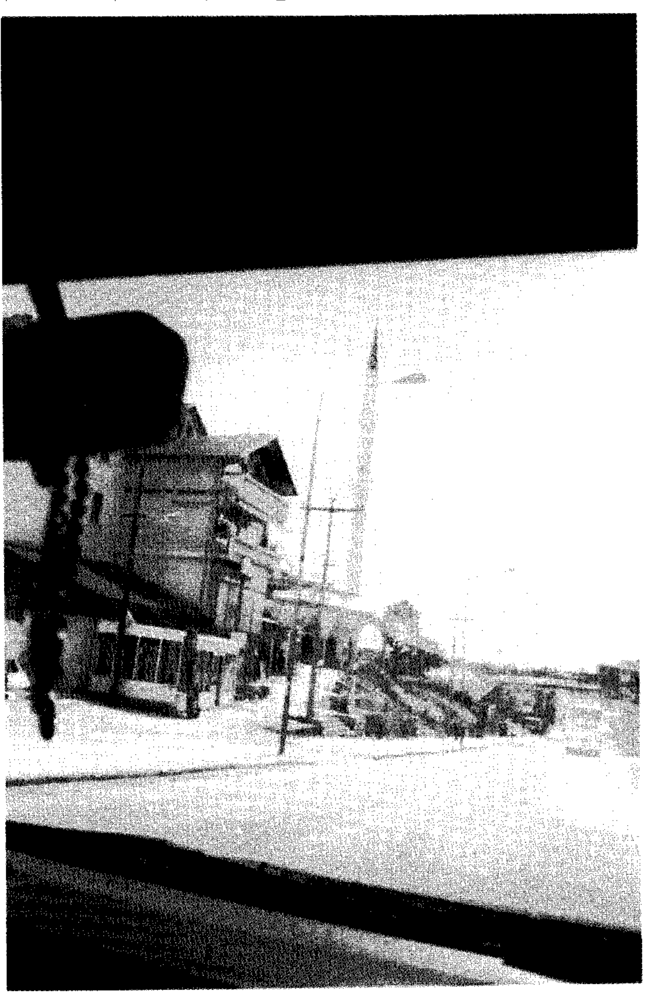
ثم مر وفد الرابطة على المجمع السكني الكويتي الذي يضم عشرين عمارة تسكنها مائة أسرة مسلمة، قامت الهيئات الإسلامية في الكويت ببنائها ومساعدة سكانها، ثم اتجه بعد ذلك إلى قرية اورلان Orllan وتسمى أيضاً غلابيت Gallabit تقع بالقرب من بحيرة باتلافا Batllave، وقال عنها الأستاذ جابر بن محمد وهو أستاذ في مدرسة علاء الدين الإسلامية في بريشتينا، وهو من أهل قرية أورلان إن أهلها جميعاً مسلمون، وإن الصرب دمروا مسجد القرية القديم الذي لم يبق منه إلا بعض الجدران وجزء من مئذنة مكسورة.

٧- بريشتينا Prishtina :

عاصمة إقليم أو جمهورية كوسوفا، كما ينادي بها الألبان المسلمون، تقع في وسط غرب كوسوفا، وتبلغ مساحة منطقتها ٨٥٤ كيلومتراً مربعاً، وتضم ٤٦ قرية، ويقدر عدد سكانها بأكثر من ٥٥٠ ألف نسمة، فتحها السلطان مراد بعد انتصاره على الصرب في معركة عرفت باسم كوسوفا في ١٥ يونيه ١٣٨٩م، ومنذ ذلك التاريخ يغلب عليها الطابع الإسلامي إذْ كان فيها في العهد العثماني أكثر من ٧٠ مسجداً و١٨ مدرسة ومعهداً إسلامياً.

ومع أن منشآتها الإسلامية تضررت إبان الحكم الشيوعي، وتم إزالة السوق القديم (بازار) وبعض الحمامات التركية، وبعض المساجد من أهمها مسجد لوكاج

المبني عام ١٥٥١م، وبني فندق إيليريا Ilyeria في مكانه، ثم تعرض الصرب المتطرفون لعدد من المساجد في فترة الاضطرابات التي حدثت مؤخراً حيث قامت القوات الصربية بتدمير ١٣ مسجداً، ولا تزال بريشتينا بفضل الله ثم بفضل جهود أبنائها المسلمين تحافظ على الكثير من معالمها الإسلامية في الوقت الحاضر، فعدد المساجد فيها ٤٨ مسجداً، ومن أقدمها مسجد السلطان مراد المبني في عام ١٤٤١ ومسجد السلطان محمد الفاتح المبني في عام ١٤٦١م.



منارة شامخة لأحد مساجد بريشتنا العاصمة

وقد قام وفد الرابطة بجولة على بعض المنشآت الإسلامية في مدينة بريشتينا، شملت ما يلي:

(أ) مسجد رمضانية الذي يقع بالقرب من سكة الحديد في حي لاييي Lipapi المبني في عام ١٤٧٠م، وقد أحرقته المليشيات الصربية في مساء يوم ٢٧ مارس ١٩٩٩م، وأتى الحريق على كل ما في داخل المسجد، وأكلت النيران الأبواب والنوافذ.

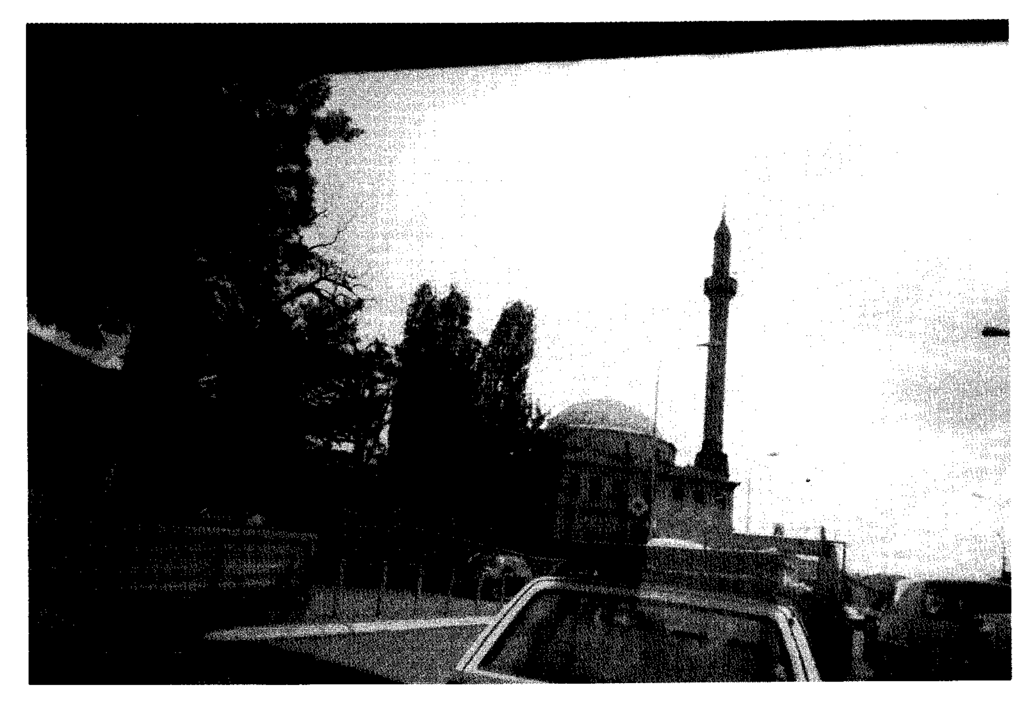
(ب) مسجد صوفالي تبلغ مساحته ١٤٠ متراً مربعاً، فقد تم بناء جداره وسقفه، ويتطلب التشطيب وتركيب الأبواب والنوافذ، وهو من دورين، فالدور الأرضي فيه سكن الإمام ومكاتب وأماكن وضوء وحمامات، ويحتاج إلى مبلغ ٢٠ ألف يورو.

(ج) مدرسة علاء الدين الشرعية الثانوية يرجع تاريخ هذه المدرسة إلى عام ١٨٧٤م، ثم تحولت إلى مدرسة إسلامية متوسطة في ١ نوفمبر ١٩٥١م، ثم تطورت إلى مدرسة إسلامية ثانوية عام ١٩٦٢م، وحالياً يدرس الطلاب فيها ٢٥ مادة علمية تجمع المواد الدينية واللغوية والمواد العصرية خلال مدة الدراسة وهي أربع سنوات، يتمكن الخريجون منها من الالتحاق بالجامعات الإسلامية، وغيرها من الجامعات والمعاهد العلمية والرسمية، كما يعمل الخريجون أئمة ومدرسين في المعاهد الإسلامية.

ويدرس فيها حالياً ٧٠٠ طالب وطالبة، يتناول الطلاب فيها طعامهم ويسكن فيها القادمون من الخارج، كما أفاد بذلك مدير المدرسة الأستاذ أكرم سيمنيتسا E. Simnica، وهو خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ويتكون مبنى المدرسة من أربعة أدوار وتضم جميع المرافق الضرورية من مختبرات ومكتبات وقاعات رياضية وقاعات محاضرات، وقاعة طعام ومطبخ نظيف.

(د) كلية الدراسات الإسلامية، وعميدها الدكتور الشيخ رجب يشاربويا وهو

خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وكان الرئيس السابق للمشيخة الإسلامية في كوسوفا، وقد بدأت الدراسة فيها في ديسمبر ١٩٩٢م، ومدة الدراسة أربع سنوات، ويدرس فيها حالياً ٦٠٠ طالب وطالبة، منتظمين ومنتسبين وبعضهم من ألبانيا ومقدونيا، والجبل الأسود، حيث أنها الكلية الإسلامية الوحيدة في البلقان التي تدرس باللغة الألبانية، ويتخرج منها هاذ العام ٣٠ طالباً وطالبة، كما سيلتحق بها ٤٠ طالباً وطالبة من الطلاب الجدد، كما أفاد بذلك عميدها الدكتور رجب بويا، وقد زارها وفد الرابطة والتقى بالمدرسين والطلاب، وألقى فيهم كلمة توجيهية، ثم شاهد بعض الفصول والمرافق التعليمية.



جامع الفاتح في بريشتنا

هـ- مسجد السلطان محمد الفاتح المبني في عام ١٤٦١م، يقع في وسط بريشتينا بجوار مقر المشيخة الإسلامية، ويتميز أن مئذنته مبنية من الحجر، وأمامه بعض المكتبات التي تبيع المصاحف والكتب الدينية، وهو جيد ونظيف.

و- مقر الاتحاد الإسلامي: قام وفد الرابطة بزيارة الاتحاد الإسلامي في مقره الجديد الذي بُني بتبرع من الشيخ الدكتور محمد سلطان بن صقر القاسمي حاكم الشارقة حيث اجتمع مع رئيسه الشيخ نعيم ترنافا، والأستاذ أحمد صدري الأمين العام للاتحاد الإسلامي، وبعد أن رحب الشيخ نعيم ترنافا بوفد الرابطة، أعرب عن شكره وتقدير المسلمين عموماً في كوسوفا لخادم الحرمين الشريفين- حفظه الله- على ما بذله وقدمه من مساعدات جمة لهم خلال الأحداث الدامية التي وقعت في كوسوفا من خلال اللجنة السعودية المشتركة، والهيئات السعودية الخيرية مثل هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التي اهتمت بتقديم المساعدات الإنسانية المتنوعة إلى الأسر المتضررة من الهجمات الصربية الوحشية، وكذلك المساعدة في بناء وترميم العديد من المساجد التي تضررت على أيدي الصرب المتطرفين، وما قدمته المملكة العربية السعودية من مصاحف وترجمات لمعاني القرآن الكريم باللغتين الألبانية والبوسنية وغيرهما، وكذلك لاستضافتها العديد من الكوسوفيين في موسم الحج.

ثـم تحـدث عـن الاتحـاد الإسـلامي الـذي يرأسـه، والـذي تأسـس في عـام ١٩٩٤م، ويضم ٢٤ مجلساً محلياً، ويعتبر أعلى جهاز تمثيلي للمسلمين في كوسـوفا، يتم انتخاب رئيسه ورؤساء المجالس المحلية لمدة أربع سنوات، ويتولى العمل الإسلامي في كافة مجالاته، ويشرف على ٥٧٠ مسجداً، ومدرسة علاء الدين الإسلامية الثانوية وكلية الدراسات الإسلامية وغيرهما من المعاهد الدراسية الدينية.



وفد الرابطة في مقر الاتحاد الإسلامي في بريشتنا
المفتي الشيخ نعيم ترنافا في أيمن الصورة على يمينه المؤلف

كما يطبع وينشر الكتب الإسلامية باللغة الألبانية، وكذلك تصدر مجلة شهرية بعنوان: (المعرفة الإسلامية). ومجلة دورية متخصصة باسم: (التربية الإسلامية).

كما ذكر أن ميزانية الاتحاد الإسلامي تتكون من ريع بعض الأوقاف التي يشرف عليها، وكذلك مما يقدمه المسلمون من التبرعات والزكاة وزكاة الفطر والأضحى وجلودها، والمساعدات المالية القليلة التي تأتي إليهم من الخارج، ومن ذلك مبلغ ١.٥ مليون يررو تبرعت بها مؤسسة آل زايد الخيرية في دولة الأمارات العربية المتحدة، ومكنتهم من شراء خمسة بيوت فيها مدرسة بنات ومعهد اللغة العربية ومكتبة، ولكن الاتحاد الإسلامي يحتاج إلى مبلغ مماثل قدره ١.٥ مليون يورو.

ثم تحدث عن رغبة مسلمي كوسوفا في توثيق علاقاتها الاقتصادية والثقافية والدينية مع المملكة العربية السعودية، وتبادل الوفود مع الجهات الرسمية والشعبية، لأن ذلك يدعم كيانهم ويرفع من معنوياتهم الإسلامية، ثم تحدث عن طلبهم للمساعدات من الرابطة حسبما جاء في الخطابات التي سلموها.

ومنها المساعدة على بناء وترميم ٤١ مسجداً تكلفتها الإجمالية مبلغ ٢.٠٨٥.٠٠٠ يورو.

اليوميات الكوسوفية

يوم الجمعة ١٩/٤/١٤٢٦هـ:

من الجبل الأسود إلى كوسوفا:

كنا في زيارة لجمهورية الجبل الأسود، الدولة المجاورة لكوسوفا فانتقلنا بالسيارة من الجبل الأسود إلى كوسوفا.

وكانت المدينة التي زرناها في آخر زيارتنا لجمهورية الجبل الأسود اسمها (روزايا) وهي مدينة واقعة في إقليم السنجق الذي ألحق بالجبل الأسود.

والسنجق الآن إقليم ملحق بجمهورية صربيا وقد زرناه قبل أيام وكتبت عنه كتابة موسعة سواء فيما يتعلق من ذلك بالمشاهدات أو بالمختصر التاريخي له، وهو يتميز عما حوله من البلاد بكون ديانة أهله هي الإسلام ولغتهم البوسنوية وجنسهم البوشناق.

وقد ألحق قسم منه بجمهورية الجبل الأسود الداخلة في اتحاد مع جمهورية صربيا أو على الأدق التي لا تزال في اتحاد جمهورية صربيا، لأنها أي صربيا وجمهورية الجبل الأسود كانتا من ضمن الاتحاد اليوغسلافي الذي كان يسمى (يوغسلافيا) بمعنى السلاف الجنوبيين، وكان يضم ست جمهوريات هي هاتان وجمهورية البوسنة والهرسك وجمهورية كرواتيا وسلوفينا ومقدونيا، فانفرط عقده ولم يبق منه إلاَّ جمهوريتي صربيا والجبل الأسود.

ثم زال حتى اسمه إذْ تركه أهله إلى اتحاد غير وثيق أسموه: اتحاد صربيا والجبل الأسود، وذلك لكون معظم سكان الجمهوريتين ينتمون إلى العنصر الصربي[١].

(١) اختارت جمهورية الجبل الأسود الاستقلال وتم ذلك بالفعل.

أما كوسوفا فكما قدمنا كانت إقليماً داخل جمهورية صربيا متمتعاً بالحكم الذاتي، فألغى الصرب المتعصبون حكمه الذاتي، وجعلوه جزءاً لا يتجزأ من جمهورية صربيا مع أن معظم سكانه الذين هم من الألبان المسلمين مخالفون للصرب في كل شيء يمكن أن يكون سبباً للاتحاد فهو يخالف أهل صربيا في اللغة والدين والتاريخ المشترك القريب المؤثر وكذلك يخالفها في الآمال والآلام.

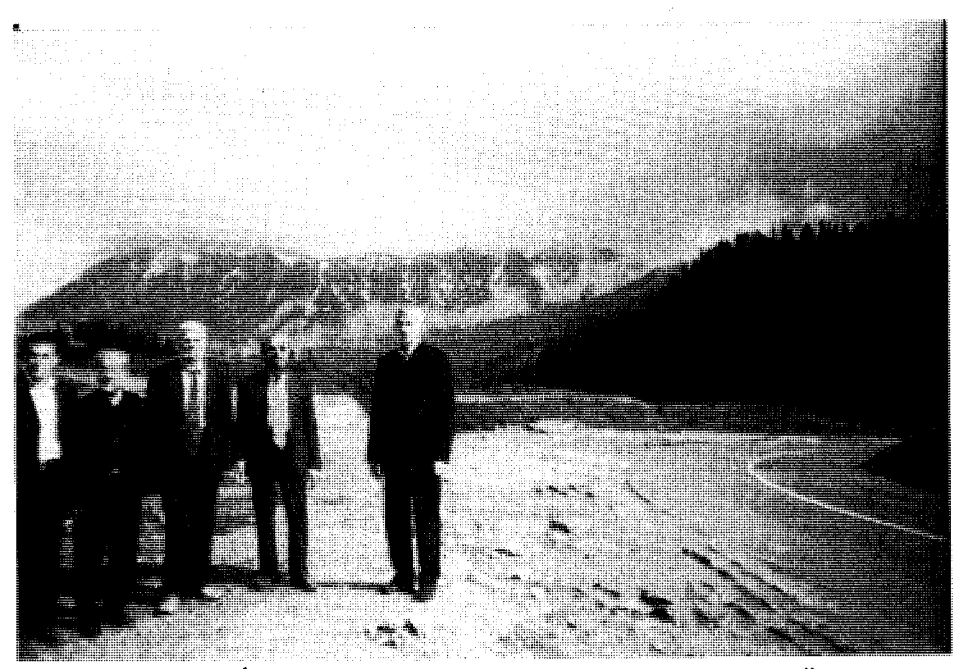


اختلط ثلج الجبال في النظر مع الغيم الأبيض في المنطقة المحايدة بين كوسوفا والجبل الأسود

كنا غادرنا مدينة (روزايا) المسلمة داخل جمهورية الجبل الأسود في الساعة الرابعة من بعد ظهر اليوم متجهين بالسيارة إلى الحدود ما بين جمهورية الجبل الأسود و(كوسوفا)، وكان يرافقنا عدد من الإخوة المسلمين أهل الجبل الأسود في ثلاث سيارات، فانتهينا من المرور بمركز الحدود الذي يخص الجبل الأسود وإن كانوا يعبرون عنه أحياناً بأنه مركز الحدود للاتحاد الصربي، فالاتحاد الصربي الآن صار مجرد اسم على غير مسمى.

ثم انتقلنا خارجاً منه إلى منطقة محايدة جبلية خصبة لم تحدد تبعيتها، وهي قليلة السكان أتكون تابعة لكوسوفا أم لجمهورية الجبل الأسود، و الذي يحدد تبعيتها هي الأمم المتحدة ودول حلف الأطلسي التي تحكم (كوسوفا) في الوقت الحاضر.

لذلك كنت توقعت أن أجد مركزاً لحدود كوسوفا بعد مركز الحدود الصربي فلم أجد.



قبيل الوصول إلى حدود كوسوفا مع الجبل الأسود مع جماعة من المودعين أهل الجبل الأسود جزاهم الله خيراً

وقد قطعنا ٢٢ كيلومتراً في أرض محايدة، مع أنها خصبة ومهمة في هذه المنطقة التي ليست أراضي دولها واسعة كأراضي دول بلادنا العربية.

ثم وجدنا أحد المشايخ من أهل كوسوفا وهو الشيخ الدكتور (رسول بن الشيخ رجب) مستشار المشيخة الإسلامية في كوسوفا، و هو متخرج من ليبيا، ولذلك يتكلم العربية بطلاقة ومعه اثنان استقبلونا بحفاوة.

وبعد نحو مائة متر على حدود كوسوفا وجدنا وفداً (كوسوفياً) على رأسه صاحب الفضيلة الشيخ نعيم ترنافا رئيس المشيخة الإسلامية في كوسوفا ومفتي البلاد وهو أكبر شخصية دينية فيها، ولي به معرفة سابقة.

في إقليم كوسوفا:



صورة تذكارية مع الإخوة المودعين من أهل الجبل الأسود والمستقبلين من أهل كوسوفا قبل الوصول إلى كوسوفا بنحو مائة متر

بعد تبادل السلام وتحية الاستقبال منهما كان وداع أهل جمهورية الجبل الأسود وبعد هنيهة لحظات ركبنا مع أهل كوسوفا في سيارتهم داخل إقليم كوسوفا وكأنني داخل إلى بلادي المملكة العربية السعودية من ناحية الشعور بأنني أدخل بلداً مسلماً جاهد وناضل حتى تم طرد الصرب المعتدين من بلاده، إلا من رضي منهم بأن يكون مواطناً مسالماً كسائر المواطنين.

بل إنني شعرت أكثر من ذلك كأنما أصل إلى مسقط رأسي مدينة بريدة عاصمة منطقة القصيم.

وانحدر الطريق من هذه المنطقة الجبلية الخصبة وتبين سبب عدم عمارة هذه المنطقة الجبلية رغم خصوبتها أن السهول الخصبة القريبة منها منسقة وصالحة للزراعة مثل بقية أراضي إقليم (كوسوفا).

أما هذه الجبال فإنها خضر وبعضها تجلله الغابات فهي مراع جيدة وبخاصة للغنم والماعز.

وأما الطريق فإنه جيد وإن لم يكن واسعاً، وكان معتبراً قبل حوادث كوسوفا من الطرق الرئيسية الداخلية في صربيا عندما كانت صربيا تحتل كوسوفا.

مركز الحدود الكسوفية:

الوضع السياسي في كوسوفا وضع انتقالي الحكم فيه الآن لحلف شمال الأطلسي الذي أوكل للأمم المتحدة تصريف بعض الأمور، وذلك منذ أن تدخل الحلف لإيقاف المذابح والتخريب للممتلكات التي قام بها الجيش الصربي في كوسوفا.

ولذلك فوجئت حين وجدت مركزاً للحدود في كوسوفا وفوجئت أيضاً بأن فيه ضابطين من الإخوة الكوسوفيين المسلمين.

سلم علينا الجميع سلام معرفة، إذْ كنت أعرف المفتي معرفة شخصية، سبق أن زارنا في رابطة العالم الإسلامي مرافقاً لرئيس المشيخة الإسلامية السابق الدكتور رجب يشاربويا، ولذلك كان اللقاء حاراً مشفوعاً بقبلات الود والمجاملة.



عند الوصول إلى حدود كوسوفا الشيخ نعيم ترنافا رئيس الإدارة الدينية في كوسوفا يستقبلنا مع بعض المشايخ أهل كوسوفا

لم نطل المكث في مركز الحدود الكوسوفي، بل لم يستغرق الأمر لجوازاته إلا ثلاث دقائق ولم ننزل من السيارات، بل لم نكلمهم رغم مظهرهم المهيب، لأن المفتي والذين معه كانوا شرحوا لهم أمرنا، بل احترمونا غاية الاحترام.

ركبنا مع المفتي في سيارة له أي المفتي الذي يسميه رئيس المشيخة الإسلامية.

ومثلما تكررت عبارات الترحيب وإظهار السرور بهذا اللقاء الذي كنت انتظرته منذ عهد بعيد تكرر منظر الجبال الخصيبة ونحن ننحدر منها مع الطريق انحداراً متعرجاً.

وكان مما سرنا بل أبهجنا أن رأينا راعي بقر في أسفل الجبل يرعى بقره وهو يصلي عندما حاذاه من الطريق والبقر يرعى من المرعى الخصب الجيد الوافر.

وكان الإخوة المشايخ الكوسوفيون يحدثوننا أحاديث شجية عن صنع الله لهم في دحر الصرب المعتدين الظلمة، وأن الأمر الآن هو في أيديهم وأيدي حلف شمال الأطلسي، وليس في أيدي الصرب منه شيء.

قالوا: وليس في هذا شيء يضايقنا إلا شيء من المجاملة لهم لأنهم انقذونا من ظلم الصرب لذلك نجد الكوسوفيين يجاملونهم مجاملة ظاهرة، ومن ذلك أنهم لا يدققون فيما يأتون من أعمال لا يقرها الكوسوفيون لكونها تتنافى مع اعتقاداتهم أو عاداتهم، وإن كان ذلك على نطاق أخف مما كان يحدث في زمن الحكم الصربي، مثل المجاهرة بشرب الخمر، ومثل تبرج النساء عن طريق تقليل لباسها أو تخفيفه.

وكلما انحدر الطريق مع الجبل اتسعت الأرض وتطامنت الجبال وتكاثفت الأعشاب الربيعية أو العفوية الخضر.

هذه كوسوفا :



الجبال الخضر دخل حدود كوسوفا

حتى وصلنا إلى السهل الخصب من أرض كوسوفا التي يعني اسمها على أظهر الأقوال الطائر الأسود، ولا علاقة للسواد في معنى اسمها إلا إذا عنى كثافة الأعشاب والتفافها وكونها تبدو خضرتها كالسواد مثل ما سمي العرب أرض العراق أرض السواد لاخضرارها بالنسبة إلى أرض الجزيرة العربية ذات الأرض الجديبة المغبرة.

وظهرت قرى من أطراف السهل متفرقة البيوت، بل متباعدة مثلها في ذلك مثل المنازل في ريف الجبل الأسود، وحتى في منطقة السنجق من صربيا.

والمنازل أيضاً بيض ذات سقوف حمر وسط الخضرة الجميلة.

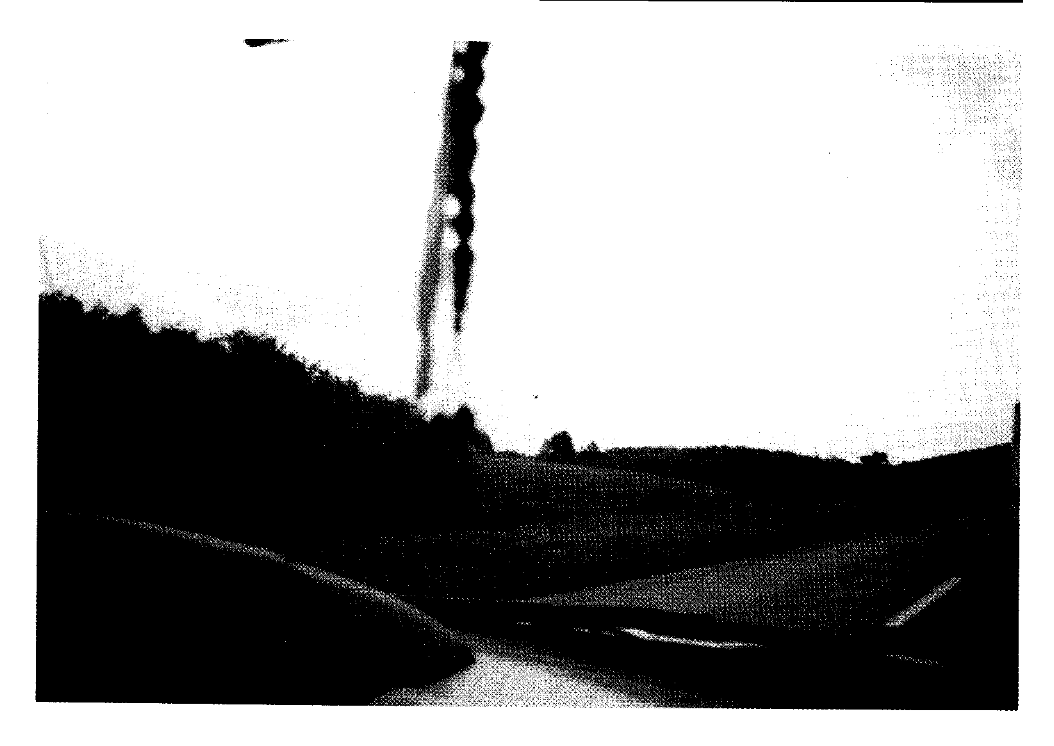
ويرى المرء هذه الأراضي الخضر مدى البصر، وأكثرها معمور بالزراعة وبعضها تغطيه الأعشاب الخضر، بل هي خضرة سندسية شاملة مثلها في ذلك مثل أراضي جمهورية صربيا التي كانت جزءاً منها في القديم وهي أكثر اتساعاً وأحسن زراعة من مثيلاتها في أراضي جمهورية الجبل الأسود التي قدمنا منها اليوم.

وقد أعجبت بأراضي كوسوفا ونحن نمعن السير فيها، و أكثر ما أعجبني منها اتساعها وكثرة السهول الصالحة للزراعة، بل المنتجة ومع ذلك ليست القرى فيها مزدحمة، فضلاً عن أن تكون متشابكة، ولا غرو في ذلك فإقليم كوسوفا مساحته أكبر من مساحة لبنان قليلاً، وهو أكبر من مساحة البحرين والكويت أكثر من عشر مرات.

ومع ذلك أرضه خصبة معطاءة.

واستمر السير مع الطريق الأسفلتي مخترقاً أراضي خصبة تبدو وهي منخفضة نسبياً.

ويبلغ سكان إقليم كوسوفا مليونين ونصفاً يعيشون في هذه الأرض الزراعية الجيدة، وكنا نسير وصاحب الفضيلة المفتي الشيخ نعيم ترنافا لا يفتر عن الكلام وأنا أستزيده منه و نحن جميعاً نحمد الله ونشكره على أن خلص هذه الأرض المسلمة من براثن الصرب المغتصبين، وقريباً نراها بإذن الله قد صارت جميع أمورها بأيدي إخواننا المسلمين أهلها الكرام، بعد أن تحصل رسمياً على الاستقلال.



الأرض الخضراء داخل حدود كوسوفا بكيلات قليلة

وقلت لهم: إن إقليمكم الخصب هذا قد انقذه الله تعالى لكم من شدقي الأسد، كما يقال في مثله قديماً، لأن الصرب كانوا يعتبرون كوسوفا رمز سيادتهم، بل بالغ بعضهم بقوله: إن أرض كوسوفا هي معهد الصرب الأصيل.

وقد سلط عليهم من هم أشد قوة وأعتى بأساً منهم وهم أهل حلف شمال الأطلسي الذين هالهم أن تحدث هذه المذابح والمجازر وما صحبها وسبقها من المظالم في أرض أوروبية لأن كوسوفا وإن كانت مسلمة فإنها واقعة داخل القارة الأوروبية.

وبذلك ستكون ثالث دولة مسلمة في أوروبا بعد (جمهورية البوسنة والهرسك)، وبعد جمهورية ألبانيا.

أما تركيا فإنها بمجموعها لا تعتبر دولة أوروبية لأن أكثرها بل جمهور أرضها واقع في قارة آسيا، وإن كان قسم منها واقعاً في أوروبا كما هو معروف.

ولكن جمهورية كوسوفا تحتاج بعد استقلالها إلى مبالغ مالية كبيرة للمشروعات الضرورية فيها.

وفي ذلك الوقت سيأتي دور الدول الغنية والدول القادرة على مساعدتها في تلك المشروعات، ومنها بعض الدول العربية.

وقد أخبرنا الإخوة الكوسوفيون أنهم يتطلعون إلى أن يعلن استقلال بلادهم بعد شهرين أو أكثر من ذلك، حسبما حددته دول حلف الأطلسي، وإن كان ذلك سيكون على هيئة استفتاء أو ما هو نحو منه، والجميع مجمع على أنه لا عودة للحكم الصربي على كوسوفا.

وقالوا لنا ببهجة: إن الجبل الأسود قد يجري استفتاء على استمرار الوحدة مع صربيا أو الاستقلال عنها، وإنهم يأملون أن يصوت الأغلبية فيه على الاستقلال عن صربيا، وذلك رغم كون أكثرية السكان في جمهورية الجبل الأسود هم من أصول صربية.

بين الرئيس كلنتون ورؤساء العرب:

في مثل هذا الطريق الذي يخترق إقليم كوسوفا من إحدى جهاته والحديث مع رجل فضولي مثلي كان لابد من أن يتشعب ويطرق كل ما يتصل بموضوعه، وما هو خارج عنه مما تستدعيه مناسبة من المناسبات.

وجاءت المناسبة في تذكر الكوسوفيين نعمة الله عليهم في أ ن سخر لهم حلف شمال الأطلسي فأنقذهم بما لديه من القوة من الظلم والفظائع التي أنزلها بهم الصرب.

وقالوا من بين ما قالوه: إن الرئيس كلنتون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية زار كوسوفا أربع مرات لكي يتأكد بنفسه من وضعها، مع أنه هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية أقوى دولة وأعظمها اقتصاداً لم تشغله عن ذلك مشاغله، ولم يكتف بمن هم دونه من الموظفين.

وقالوا: هذا من تسخير الله لنا ولطفه بنا.

وقال احد الإخوة معنا: وماذا عن الرؤساء العرب؟ هل زاركم رئيس منهم، واطلع على ما تحتاجون إليه، إذْ لم يكن عنده من القوة ما لدى عند أهل حلف الأطلسي، أو كان عنده شيء من ذلك، ولكنه يعرف أنه لا يمكنه أن يزاحم به أولئك؟ فإن لديه من المال والنفوذ بما يماثل أثره أثر بعض دول الحلف؟

قالوا: لم يزرنا أي رئيس من دول عربية، ولكن بعض الدول العربية قدمت لنا مساعدات اقتصادية وغذائية، وإسعاف على رأسها المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة التي أرسلت قوة عسكرية حمت سكان إحدى المدن الكوسوفية من عدوان الصرب وساعدتهم على البقاء في أماكنهم.

وقلت لهم: لقد ورد في الحديث، (من جَهَّز غازياً فقد غزا).

فالذي يبذل المال والجهد لمساعدة الغزاة له من الأجر ما للغازي أو له أجر الله أعلم بمقداره، فالحديث ورد أنه قد غزا أي أنه يكون كمن غزا في سبيل الله.

ولا شك في أن الخير كثير في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولدى بعضهم محبة في الإيثار والصدقة، على الإخوة المسلمين الذين تحل بهم نكبات ومصائب، ولكنها شعوب أكثرها لا يتابع الأحداث الخارجية أو لا يفهم ما وراءها من الأسباب والمسببات، لذلك يحتاجون إلى حكوماتهم لكي تنبههم، وتوجههم لفعل الخير.

ولا يمكن الشك هنا في نية رئيس الولايات المتحدة الأمريكية في زيارته لكوسوفا أربع مرات، رغم بغضنا لسياسة أمريكا ولقادتها في الوقت الحاضر الذي غزوا المسلمين في أفغانستان والعراق، وساعدوا اليهود في بقاء احتلالهم لفلسطين والأراضي العربية الأخرى.

فالظلم الذي لحق بالإخوة الكوسوفيين من الجيش الصربي ومن أفراد وجماعات من الصرب هو ظاهر واضح لا يمكن لأي شخص عنده اطلاع على الأمور أو حتى على ظواهرها، دون بواطنها إلا أن يراه ويبذل جهده لإزالته.

وهذا ما حدث بالنسبة إلى تدخل حلف شمال الأطلسي في كوسوفا والولايات المتحدة الأمريكية هي أكبر دوله، لذلك زار رئيسها كوسوفا أربع مرات.

القرية المحروقة:

وصلنا في سيرنا الحثيث إلى قرية قريبة من الطريق أشار إليها الإخوة قائلين: إنها قرية ألبانية أحرقها الصرب كلها وقتلوا أو أهانوا من وصلوا إليه من أهلها، ولم يسلم منهم إلا من هرب وصار لاجئاً في ألبانيا أو مقدونيا.

والآن أعيد بناؤها.

ويذكرون أن القرى في كوسوفا تتألف في الغالب من نوعين أحدهما قرى ألبانية فيها المساجد، وظاهرة الشعائر الإسلامية التي أهمها مآذن المساجد العالية، والثاني قرى الصرب التي تكون فيها الكنائس، وهذا في الأغلب الأعم فيما يتعلق بالقرى، وإذا كبرت القرية أو صارت بلدة فضلاً عن المدينة صارت- في الغالب- مختلطة بين الصرب والكوسوفيين، وقد تكون فيها أحياء متمايزة من الطرفين.

ووصلنا بعد ذلك إلى قرية صربية هجرها أهلها الصرب، و تركوها خاوية على عروشها، إذْ انضموا إلى أناس من جنسهم في أحياء مدينة قديمة أو في أمكنة يرونها آمنة لهم.

ومع هذا الخذلان الذي حلَّ بالصرب نتيجة لظلمهم واعتداءاتهم على المسلمين فإن المسلمين لم يمسوا أملاك الصرب في المدن التي هجروها إلاّ بطرق قانونية، وذلك أنهم- كما أخبرونا- صاروا يشترون عقارات الصرب من أراضٍ زراعية ومساكن وأبنية بالمال الذي يعتبره الصرب كثيراً.

وقد اطلعت بالفعل على نماذج من تلك الأثمان فوجدتها كثيرة، إلا أن الألبان ذكروا أن جماعات من المسؤولين الألبان من كوسوفا نفسها، وجماعات أخرى من الألبان الموجودين في أوروبا أو أمريكا من ذوي القدرات المالية صاروا يشترون هذه العقارات من الصرب برضاهم، وبموجب عقود بيع رسمية وبمبالغ لم يكن الصرب يحلمون بها هم ولا آباؤهم، فصار الألبان يتملكون تلك

العقارات، والصرب يفوزون بأقيامها الكبيرة بالنسبة إلى الأحوال الاقتصادية المتردية في داخل بلادهم صربيا.

قالوا: إذا باع الشخص بيته المؤلف مثلاً من شقتين بمائة وخمسين ألف دولار استطاع أن يشتري به بيتاً في ضعف حجمه في داخل صربيا، لقلة النقود فيها، فسكن في شقة منه، وأجر الأخرى أو الأخريات من المبنى وعاش من أجرتها.

واستمر السير مع هذا الطريق المعتاد الذي هو قديم، ولكنه مرمم بمعنى أن حالته جيدة، وعلق الإخوة المرافقون على ذلك بقولهم: إن طرقنا ليست كطرق المملكة العربية السعودية واسعة جيدة تحفل بالجسور والأنفاق، فبلادنا تحت الحكم الصربي الذي كان شيوعياً ثم كان مائعاً متخلفاً بعد ذلك لم يتطَوَّر.

قالوا: وذلك رغم كوننا في أوروبا وكون طائفة من مواطنينا ومواطني صربيا تعيش خارج البلاد في أوروبا وأمريكا.

هذا وقد كثرت المنازل، ولكنها لا تزال متفرقة كأنها المنازل الريفية، وهي في الواقع تعتبر ريفية لأنها في الريف، وإن يكن بعضها مساكن، وليست تابعة لأراضي زراعية محيطة بها وملاصقة لها.

والخضرة الشاملة هي السائدة ما بين خضرة مصنوعة من المزارع والحقول وبين خضرة مطبوعة في الأعشاب الريفية والأشجار الخضر غير الملتفة فيه، والجو جيد خالٍ من الحر وبعيد عن البرد، رغم كوننا في فصل الحر عندهم.

ومازال فكري مشغولاً بما حصل من العقاب الإلهي للصرب المعتدين على أيدي أناس لم تجمع بينهم وبين الكوسوفيين جامعة معتادة إلا مجرد المساكنة في القارة الأوروبية.

وقلت للمرافقين عندما بحثوا هذا الأمر: إن الشعب الصربي يشبه الشعب الأرمني في عدائه للمسلمين في كل العصور أو أكثر العصور، ولكن الله سبحانه انتقم من هذين الشعبين بتسليط الأتراك المسلمين عليهم حتى منعوهم من الظلم والعدوان بقوة السلاح.

قرية بركاز:

قال الشيخ المفتي وأخوتنا الذين معه: إننا سنمر بكم على قرية تبين مظالم الصرب قبل أن ينتقم الله منهم، وما فعلوا بالمسلمين من أهل هذه القرية، وذلك قبل أن نذهب إلى العاصمة بريشتنا، إنها قرية (بركاز).

وصلنا القرية فرأيناها قرية قديمة بالفعل إلاَّ أنهم الآن أوجدوا أبنية من الخشب والحديد فيها من أجل إيضاح ما حصل فيها ومن أجل تخليد ذكرى المجاهدين فيها.



المؤلف في قرية (بركاز) التي كانت تعرضت لهجوم صربي

فمثلاً صوروا قائد جيش التحرير الكوسوفو (آدم شعبان) وهو الذي قتله الصرب وقتلوا والده شعبان.

وكان بيته فيه قسم مخصص للضيوف، ويعيش هو وأولاده في البيت ومزارعهم قريبة من قرية (بركاز) هذه.

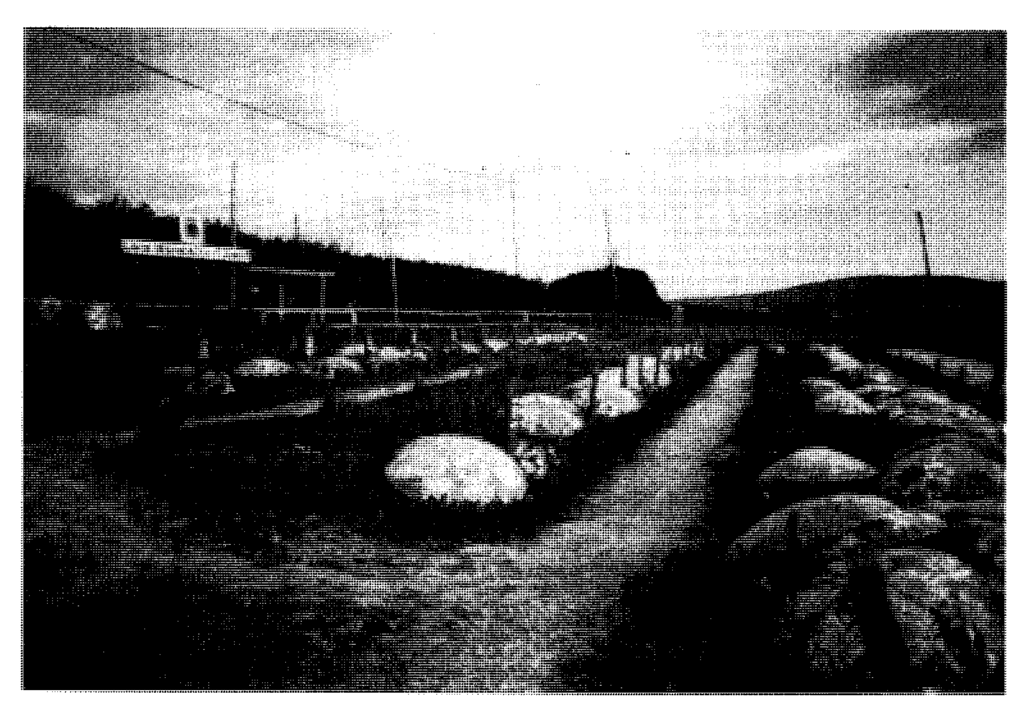
وآدم شعبان هذا هو أول من نظم جيش تحرير كوسوفا.

فكان أول هجوم صربي على هذه القرية في عام ١٩٩١م، وكان الهجوم الثاني عام ١٩٩٨م.

وكـان الهجـوم الثـاني الوحـشي في رمـضان بعـد أن تـسحر أهـل القريـة، أي تنـاولوا طعـام الـسحور، فهـاجمهم نحـو خمـسين مـن الـشرطة الـصربية المسلحين بأسلحة قوية، ولكنهم لم يستطيعوا إخضاع أهل القرية.

فكان الهجوم الثالث من الجيش الـصربي عـلى القريـة بالرشاشـات الثقيلـة- واستمر محاصراً لها يطلق النار على أي شيء يتحرك فيها لمدة ٥٨ ساعة.

فقتلوا ٥٢ من أهل القرية منهم والد أدم الشيخ شعبان الذي كان في الرابعـة والستين من عمره.



صفوف من قبور الأطفال الذين قتلهم الصرب في قرية بركاز

بل قالوا: إن جميع سكان القرية أبيدوا وفيهم الأطفال والشيوخ ولم يبق منهم على قيد الحياة إلا بنتاً وابناً.

وقد قتل من الصرب في الهجوم على القرية ٧٨ وذلك أن أهل القرية كانوا مسلحين فدافعوا عن أنفسهم، ولكن كان الصرب تأتيهم الإمدادات من الرجال والسلاح بخلاف الكوسوفيين المسلمين الذين كانوا محاصرين لمدة ثلاثة أيام.

ثم أطلق الصرب نيران مدفع أيضاً على القرية إلى جانب البنادق.

ومن هذه القرية البائسة التي أصبحت رمزاً لكفاح الشعب الكوسوفي المسلم ضد الظلم المتمثل في الجيش الصربي المتعصب انتقالنا إلى:

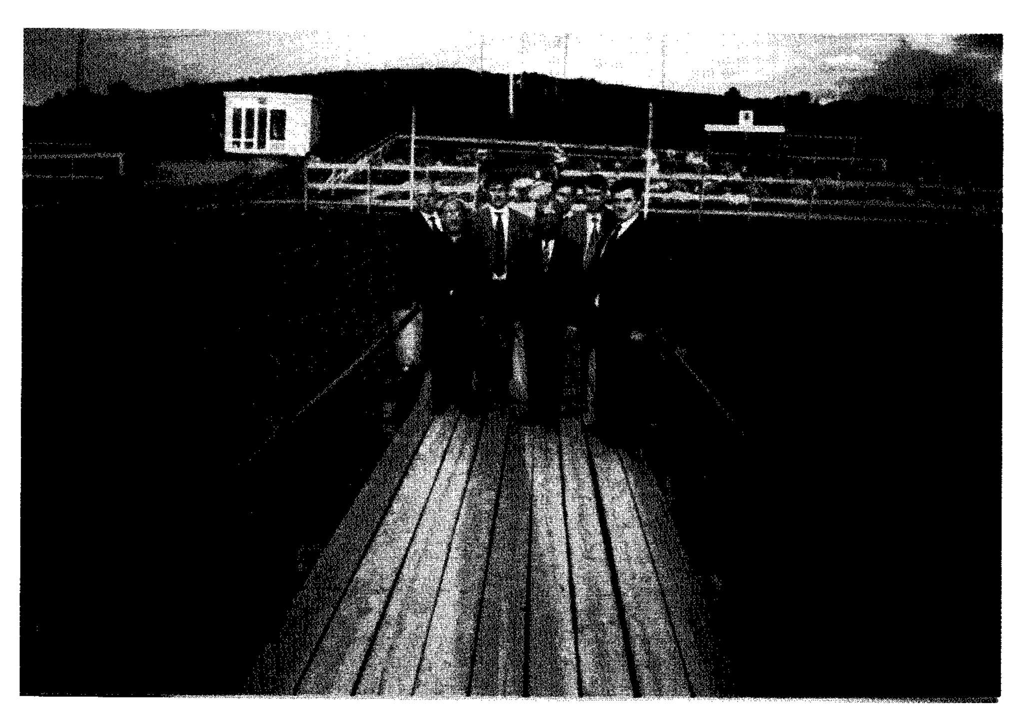
قبور الأطفال:

بعد أن التقطنا صوراً لهذه القرية البائسة انطلق بنا الإخوة إلى مكان غير بعيد منها، حيث مقابر الأطفال وبجانبها مقابر البالغين من أهل قرية بركاز هذه التي هاجمها الجيش الصربي بقواته التي أعدت لمقاتلة جيوش محاربة وليس لمقاتلة أفراد مسلحين.

وقد جعلوا القبور في صفوف منسقة عليها الزهور المتنوعة ولا أدري أهذه الزهور حقيقية أم اصطناعية.

ثم ذهبنا إلى مدينة (برشتنا) عاصمة إقليم كوسوفا فمررنا بقرى عديدة لم تنف عندها لأن غروب الشمس قد قرب، ومن القرى التي رأيناها قرى خالصة

للصرب لم تمس بسوء، لأن أهلها لم يبدوا عدواناً على جيرانهم المسلمين، مع أن القرى متباعدة، والقرى الخالصة للصرب مثل القرى الخالصة للكوسوفيين متمايزة تنفصل بعضها عن بعض.



في الطريق الموصل إلى قبور الأطفال من أهل قرية بركاز مع الإخوة الكوسوفيين

الكنيسة التي أحرقت:

مررنا بكنيسة ذات منظر معتاد فقال الإخوة باهتمام هذه من الكنائس التي أحرقت وهي سبع عشرة كنيسة في كوسوفا أحرقها عامة الناس عندما علموا أو قالوا: شاهدوا الصرب وهم يحرقون أحد المساجد في كوسوفا.

أقول: قصة إحراق الكنائس في كوسوفا وإحراق ثلاثة مساجد في صربيا اطلعت عليها بالتفصيل في صربيا قبل أن نصل إلى كوسوفا، ومنها الجامع الوحيد في بلغراد (مسجد البيرق) وهي أن الصرب أحرقوا مسجداً في كوسوفا فأحرق المسلمون (١٧) كنيسة فيها ولكن الصرب هنا وأعداء الإسلام أشاعوا في صربيا بأن المسلمين أحرقوا ثلاثين كنيسة فخرجت منهم جموع هائجة متوحشة وأحرقت جامع بلغراد ومنه سجاده الثمين، وما في المسجد من مصاحف ومقتنيات أخرى.

وأحرقوا بعض المركز الإسلامي الذي يبنى بجانبه ولا يزال غير مكتمل كما أحرقوا عدة سيارات تابعة للمسجد وأتلفوا ممتلكات أخرى.

وقد وصفت كيفية حريق المسجد، وكذلك وصفت الحريق غير الشامل الذي وقع في مسجد (نوفي صاد) عاصمة إقليم (فويفو دينا) المتمتع بالحكم الذاتي في صربيا، وكذلك المسجد الثالث في مدينة (نيش) المهمة، وذلك في كتاب: "قضاء الإرب، من الجولة في بلاد الصرب".

وقد تدارست حكومتا كوسوفا الواقعة تحت نفوذ حلف شمال الأطلسي وحكومة صربيا الأمر فقررتا أن تقوم كل دولة من الدولتين بإصلاح دور العبادة التي أحرقت فيها وبعضها لم يكن حريقه شاملاً بأن تخصص منها المبالغ اللازمة.

وهكذا كان فعندما كنت في صربيا كانت المساجد التي تعرضت للحريق قد أصلحت بنفقة من حكومة صربيا، كما دفعت حكومة كوسوفا نفقات إصلاح الكنائس التي أحرقت فيها، وعددها (١٧) كنيسة وليست ٣٠ كنيسة كما زعم الصرب المتعصبون.



ريف كوسوفا بعد جبال الحدود

هذه هي برشتنا:

أقبلنا على مدينة برشتنا عاصمة البطولة، والأمل في كوسوفا وفي ذهني عنها ذكريات مشوشة مضت عليها ٣٦ سنة.

وذلك أننا لم نكن على إطلاع تام على أحوال المسلمين في ذلك التاريخ، ولم تكن معرفتنا بالشعوب والأقليات بل حتى معرفتنا بالأسفار إلى البلدان البعيدة وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، ولا إلى ما يقارب ذلك.

وكان الوضع السياسي في منطقة البلقان التي تقع فيها كوسوفو مختلفاً عما هو عليه الآن تمام الاختلاف إذْ كانت جمهورية يوغسلافيا التي تعني (السلاف

الجنوبيين) موجودة بل قوية، وكانت تتألف من ست جمهوريات، هي صربيا التي كان يتبعها إقليم كوسوفا، وله صفة الحكم الذاتي داخلها والثانية جمهورية الجبل الأسود، و الثالثة جمهورية البوسنة والهرسك، والرابعة جمهورية كرواتيا والخامسة سلوفينيا والسادسة جمهورية مقدونيا.

فكنا في ذلك الوقت لا نعرف عن كوسوفا إلا أنه جزء من يوغسلافيا ولم نكن نعرف خصائص انفراده عن غيره بكونه يتألف معظم سكانه من الإخوة الألبانيين الذين يختلفون عنصراً وثقافة عن بقية سكان يوغسلافيا.

لاسيما أن سفري إلى هناك في ذلك التاريخ المبكر وهو عام ١٣٧٠هـ الذي يوافقه عام ١٩٧٠م، كان بناء على أمر من الملك فيصل بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية في ذلك التاريخ، وكان رحمه الله وجزاه عن الإسلام خيراً هو أول من نادى بسياسة التضامن الإسلامي التي تعني تضامن المسلمين وتعاونهم على ما فيه الخير لهم.

وقد شمل بذلك الأقليات المسلمة في العالم، فكان يشترط لمنح المساعدات للدول التي فيها أقليات مسلمة أن تحسن وضع الأقلية المسلمة فيها.

وكان من أعظم الفروق بين ذلك العهد القديم الذي زرت فيه إقليم كوسوفا أول مرة وهي أخر مرة قبل الزيارة الحالية هو اختلاف المذهب الاجتماعي أو العقيدة السياسية لأهل البلقان.

فكانت يوغسلافيا في ذلك التاريخ شيوعية مثلها في ذلك مثل أقطار أوروبا الشرقية الأخرى التي يقودها في مذهبها الشيوعي الاتحاد السوفيتي الذي عماد أهله من روسيا.

وكانت الدول الشيوعية في شرق أوروبا تدور في فلك الاتحاد السوفيتي وتعتبر تابعة له لا تستطيع أن تخرج سياستها عما يريده منها.

ما عدا يوغسلافيا تحت قيادة الجنرال جوزيب بروزتيتو الذي تجرأ فخرج على سياسة الخضوع للاتحاد السوفيتي، واتخذ خطاً سياسياً بتقارب به مع سياسة الغرب ضد روسيا أو على الأقل ضد التبعية الروسية، وإن كان يطبق الشيوعية فإن شيوعيته فيها شيء من عدم التشدد في التطبيق وربما كان ذلك لكونه (كرواتياً) ونحن نكتب هذا الاسم بالكاف كرواتيا بخلاف ما كان عليه بعض المؤرخين من العرب القدماء من كتابته بالخاء، وكونه عندهم بطريقة النعت (الخروات) وكرواتيا أو خرواتيا هي سلافية الأصل، والسلاف هم الذين كان أسلافنا العرب يسمونهم الصقالبة، كان ولا يزال مذهبها النصراني كاثوليكياً على حين أن مذهب الصرب الذين تمثلهم جمهورية صربيا ويوغسلافيا أرثوذكسيا.

لذلك شجع الجنرال الرئيس تيتو المذاهب الأخرى في الجمهورية منها الدين الإسلامي حتى يوازن بينها وبين الأوثوذكسية مذهب الصرب الذين كانوا أكثر أجناس الناس عدداً في يوغسلافيا في ذلك الحين.

ومن ذلك أنه سمح دون سائر حكومات أوروبا الشرقية الشيوعية ببقاء المشيخات الإسلامية فيها نشطة ولم يصادر كل أوقافها ومواردها على المساجد والمؤسسات الإسلامية، ولذلك أيضاً كان لا بأس عنده في أن يطلب المسلمون من أهلها المساعدة على تسيير مشروعاتهم الإسلامية من الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله، وبخاصة أنه ملك دولة عضو في مؤتمر باندونج الذي أصبح بذلك أساساً لحركة عدم الانحياز التي كان أبطالها تيتو من يوغسلافيا وجمال عبدالناصر رئيس مصر وجواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند آنذاك.

فتقدم عدد من رؤساء المشيخات الإسلامية إلى الملك فيصل يطلبون منه المساعدة على تسيير مؤسساتهم الإسلامية التي من أهمها معهد خسروبيك في سراييفو ومعهد علاء الدين في برشتنا هذه.

وكنت وقتها أي في عام ١٣٧٠هـ في وظيفة (الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة) فأمر الملك فيصل رحمه الله أن أذهب إلى يوغسلافيا للاطلاع على حالة المعهدين المذكورين وغيرهما من المؤسسات الإسلامية في يوغسلافيا وأن أختار معي شخصاً آخر يرافقني من الجامعة فأخذت معي الأستاذ محمد عثمان العمر رئيس المحاسبة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وأنا رئيسه المباشر في الجامعة.

وسافرنا لهذا الغرض في آخر شهر نوفمبر من عام ١٣٧٠هـ أي منذ ٣٦ سنة من هذه السنة، وكان سفرنا عن طريق اسطنبول ومنها إلى (بلغراد).

ولن أقص هنا طرائف تلك الرحلة وعجائبها وإنما أذكر أننا حددنا للمهمة مدة شهر كامل، وسافرنا إلى سراييفو من بلغراد بالقطار كما سافرنا إلى برشتنا هذه

بالقطار أيضاً من بلغراد، وذلك لزيارة معهد علاء الدين فيها وهو معهد إسلامي.

سافرنا من بلغراد إلى برشتنا بالدرجة الأولى من القطار التي تغادر بلغراد في الثامنة وتصل إلى برشتنا صباحاً كما كان قيل لنا ونحن في القطار، ولم نكن نبالي بالإطلاع على ما ليس من مهمتنا.

ولكننا وصلنا إلى (برشتنا) مع أذان الفجر، وقد صادف وصولنا محطة القطار آذان الفجر الذي كان ينبعث شجياً من مسجد يقع بجانب المحطة، فرأينا أن ندخل إلى المسجد لكي نصلي فيه الفجر، ونسأل بعض المصلين عن (معهد علاء الدين) في برشتنا، وكان البرد بالغاً والثلج يجلل جميع أنحاء يوغسلافيا، ودرجة الحرارة منذ أن وصلنا إلى يوغسلافيا تحت درجة الصفر.

ولكن المسجد كان دافئاً من مدافئ فيه ومن سماكة السجاد والفراش تحت المصلين، فصلينا فيه صلاة الفجر خلف إمام جيد القراء، قرأة سورة الرحمن مقسومة بين ركعتي الصلاة.

وسلمنا عليه بعد ذلك وعرفنا ما نريد منه.

ثم استرحنا قليلاً في المسجد حتى أشرقت الشمس ووجدنا المعهد في أول حضور المدرسين والطلاب إليه.

وقد اطلعنا عليه وعقدت اجتماعاً لم أنسه ولا أظن أنني أنساه مع المدرسين فيه في غرفة فيه.

ولم يحن وقت الظهر إلا ونحن قد شعرنا بأننا أنهينا مهمتنا في (برشتنا) فغادرناها إلى بلغراد ليلاً على الدرجة الأولى في القطار التي فيها سرير للراكب من سريرين أحدهما فوق الآخر، و بذلك انتهت علاقتي بكوسوفو هذه وهي نهاية مشوشة غير واضحة.

وذلك لعدم وجود معلومات كافية عنه في ذهني في ذلك الوقت.

ودار الزمن دورته فقلب أمور يوغسلافيا رأساً على عقب، وقلب معرفتي بكوسوفا أيضاً رأساً على عقب، فعرفتها قطراً متمسكاً بإسلامه وسط محيط صربي متعصب ضد الإسلام والمسلمين.

العودة إلى حديث المشاهدات:



طريق ريفي خارج بريشتنا (صورة من داخل السيارة)

عندما وصلنا مدينة برشتنا هذه المرة ثم أكد أصدق أنها التي كنت وصلت إليها قبل ٣٦ سنة، فالسيارات في شوارعها أكثر من السيارات في شوارع مدينة بلغراد، والناس فيها كثر حتى بدت لي مزدحمة بهم أكثر مما تزدحم مدينة بلغراد بسكانها.

وبدت لي المدينة واسعة من كوننا بقينا فترة وسط زحام من السيارات والأناسي نسير فيها قاصدين فندق (قراند هوتيل).

وقلت لهم: لكم عاصمة واسعة بعد أن شاهدت أراضيهم الواسعة في الريف، ومع ذلك هي خضراء وخصبة، فقالوا: إنها ستكون عاصمة دولة كوسوفو بإذن الله.

في مدينة برشتنا:

أقبلنا على فندق قراند هوتيل الذي حجز لنا فيه الإخوة فرأيناه كبيراً واسعاً، ولكننا وجدنا عند بابه زحاماً مطبقاً من طلاب وطالبات، قالوا: إنهم جاءوا للاحتفال بمناسبة من المناسبات، وقال لي أحدهم: إن ذلك لاحتفال المدارس الثانوية جميعها.

كان زحام الطلاب ومعهم بعض الكبار وربما كانوا معلميهم بالغاً، ولكن سيارتنا اخترقت اجتماعهم داخل الفندق بالقوة وأنا أقول لهم: إنه يمكننا أن ننزل ونصل إلى الفندق سيراً على الأقدام، ولكن صاحب الفضيلة المفتي قال: لابد من أن نصل إلى الباب الداخلي للفندق، ولما رأى الطلاب المفتي صرخوا يحيونه وينادون باسمه، وبذلك تبين أن له شهرة ليس عند الكبار فقط وإنما عند الطلاب أيضاً.

أبدى الجميع فرحهم برؤية المفتي وهو يلبس بدلة إفرنجية كاملة، حتى رباط العنق وفوق رأسه عمامة المشيخة.

أنزلونا في الطابق الثالث من هذا الفندق الذي هو على اسمه كبير واسع، وقد حجزوا لي جناحاً فيه مؤلفاً من غرفة نوم وقاعة اجتماعات صغيرة نفعتني لأنني استقبلت فيها عدداً كبيراً من الإخوة أهل برشتنا وغيرهم.

وبعد أن اطمأن الإخوة على نزولنا في الغرف وأعدناهم اللقاء غداً في التاسعة صباحاً.

ثم نزلنا إلى قاعة الدخول في الفندق التي فيها مكتب الاستقبال لرؤية هذا الاحتفال الحاشد فوجدنا طائفة من النساء المتبرجات، بل إنهن كن في غاية من التبرج حتى يظن من يراهن أنهن في مسابقة للتبرج، وبيان أكبر مساحة من جسم المرأة.

ولكنهن ألبانيات، ولم أرهن يفعلن شيئاً إلا بأن يمررن بالقاعة يستعرضن الناس ثم يذهبن إلى مكان عرفت فيها بعد أنه مشرب أو مقصف وإن لم أدخله.
ولما استكثرت ذلك على الألبانيات قال لي أحدهم: إن لديهم أقلية من الألبان لا يزالون على المذهب الكاثوليكي، وإنه ربما كان هؤلاء منهم.

يوم السبت ٢٠/٤/١٤٢٦هـ:
تناولنا طعام الإفطار اليوم في مطعم الفندق من مائدة مفتوحة، كما هي حال الفنادق الراقية ورأيت أكثر الذين يتناولون الطعام فيه هم من الأجانب، وهذا طبيعي.

إلى المشيخة الإسلامية
حضر إلينا في الفندق الأخ الدكتور رسول بن الشيخ رجب مستشار المشيخة الإسلامية التي هي أعلى جهة إسلامية في البلاد، فذهبنا معه إلى (دار المشيخة الإسلامية) وهي في الحقيقة ليست داراً واحدة، وإنما هي أشبه بمجمع لدوائر دينية.

وسمعت بعضهم يسميها الاتحاد الإسلامي، وإذا كان الأمر كذلك يكون هذا اسماً حديثاً لأن الذي نعرفه عنها في القديم وعن سائر المؤسسات العليا في هذه المنطقة أن تسمى (دار المشيخة الإسلامية).

سارت السيارة مع شوارع برشتنا في منطقة أكثرها تجارية بمعنى أنها ذات حوانيت وبيوتها قديمة أو تقليدية في هذه المنطقة، وهي التي تبدو كما لو كانت بالأسمنت المسلح مع أن أكثرها بالآجر والطين وأساساتها من الحجارة، أو هذا هو ما رأيته في بعض البيوت المهدمة ولكنهم يطلونها بطلاء أبيض غير ناصح.

ثم وصلنا إلى دار المشيخة الإسلامية في مبنى متسع، جيد المظهر، بل هو فخم المظهر بالنسبة إلى بيوت المنطقة التي يقع فيها.



مقابلة المفتي في دار المشيخة الإسلامية

ويقع مكتب المفتي الذي هو رئيس المشيخة الإسلامية في الطابق الثاني من المبنى استقبلنا عند باب المبنى الشيخ المفتي نعيم ترنافا.

وبعد الترحيب المعاد الذي لم يبق ترحيب أمس منه شيئاً لليوم جلسنا جلسة بحث عن التعاون ما بين رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة و(المشيخة الإسلامية في كوسوفا).

وكنت أتأمل المكان فأجد المكتب قاعة واسعة مؤثثة بآثاث جيد، بل فاخر.

وتذكرت بهذا أن أخي وتلميذي الدكتور رجب يشاربويا المفتي السابق الذي لبث في هذا المنصب أكثر مما لبث أي مفتٍ آخر معروف شغله من قبل كان يلح عليَّ في كل مرة أراه فيها على زيارة كوسوفا، وبخاصة بعد أن خرجتْ من ربقة الطغيان الصربي، فأقول له صادقاً: إنني أود ذلك غير أن كثرة الأشغال والأسفار للبلدان البعيدة المجهولة لدينا، والتي حالة المسلمين فيها غير واضحة تمنعني من ذلك.

ولم أجده اليوم فقد كان ذهب إلى دولة الإمارات العربية المتحدة قبل أن يعرف بأنني قررت أن أزور كوسوفا، ولما أخبروه ذكر لهم أنه سيأتي غداً.

وكان من بين الحاضرين اليوم في المشيخة رئيس إدارة المساجد في كوسوفا.

وقد بحثنا ما ذكرته من كيفية التعاون والعمل على توسعته.

وأخبرونا أثناء ذلك أنهم اشتروا من الصرب بيوتاً خمسة مجاورة للمشيخة الإسلامية بستمائة ألف يورو، وأنهم يريدون أن يقيموا على أرضها مجمعاً علمياً إسلامياً يتألف من كلية الدراسات ومعها (معهد اللغات الأجنبية) و(مدرسة البنات)، و(معهد البحوث الإسلامية).

وأورثكم أرضهم وديارهم:

لقد قالوا وكرروا القول بأن البيوت في هذه المنطقة ثمينة بل غالية بالنسبة إلى المناطق الأخرى داخل برشتنا وهي مملوكة لصرب متعصبين، ولم يكن في مخيلتهم أن المسلمين سوف يتطلعون إلى أن يملكوها، فضلاً عن أن يملكوها بالفعل، وذلك لغلاء ثمنها وتمسك أهلها بها، ولكن الزلزال الذي زلزل عقول الصرب وجعلهم يفيقون من غطرستهم عندما سلط عليهم من هو أقوى منهم فافتكوا البلاد من قبضتهم وخلصوها منهم.

ومع ذلك ظلت هذه البيوت ملكاً مصاناً لهم إلى أن سخر الله إخوة لنا من دولة الإمارات العربية المتحدة فساعدوا المسلمين على شرائها ودفعوا أثمانها للصرب الذين صاروا يشترون بأثمانها عقارات أكثر منها في بلادهم صربيا كما سبق.

والمفرح بل المبهج أن مكانها سيكون كليات ومعاهد علمية إسلامية ولله الحمد.

ولذلك وجدتني أتلو بعد أن كرر المسلمون على أسماعنا ذلك قوله تعالى:

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٢٧].

ثم قمنا بجولة داخل مقر (المشيخة الإسلامية) وأقسامها، وأخبرونا أن المشروع العظيم الذي ذكرناه عنهم، تبلغ نفقاته اثني عشر مليون يورو، وأن الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة تبرع لهم بنصف المبلغ وهو ستة ملايين يورو.

وذلك مبلغ كبير لا تسمح به إلاَّ نفس مؤمن سخي جزاه الله خيراً.

وانتظرت منهم أن يذكروا شيئاً عن إسهام بلادنا في هذا المشروع العظيم فلم يذكروا شيئاً مع أن بلادنا كانت لها أيدي السبق في مساعدة المسلمين منذ أن زرتها في عام ١٣٩٠هـ أي منذ ٣٦ سنة، كما قدمت، حيث قدمت التقرير عن

زيارتي لها، وذكرت تكلفة المشروعات الإسلامية فيها وأنها تبلغ مليوناً ومائتين وخمسين ألف دولار، وذلك مبلغ ضخم في ذلك التاريخ، حيث القوة الشرائية للدولار كانت قوية، وكانت الأسعار آنذاك أرخص بكثير مما هي عليه الآن.

وأذكر أن الملك فيصل رحمه الله عندما قدمنا إليه تقريرنا وذكرنا التكلفة التي اعتبرناها عالية ولكنها التي تحتاجها المشروعات الإسلامية أضاف عليها من عنده مائة ألف دولار زيادة على ما أقترحناه في التقرير فصار المبلغ مليوناً وثلثمائة وخمسين ألف دولار.

وقد أمر الملك فيصل أن تصرف هذه الإعانات بوساطة رابطة العالم الإسلامي معللاً ذلك بأن الرابطة هيئة إسلامية عالمية غير حكومية.

وقد تم صرفها كلها على أقساط حسب سير العمل في المشروعات المذكورة بوساطة الرابطة، والآن صرت أتأمل ماذا فعلته الرابطة أو قدمته للإخوة المسلمين في هذا الإقليم المجاهد فأجد ذلك صفراً مع الأسف وليس هذا استثناء من المساعدات الواجب تقديمها من قبل الرابطة للعمل الإسلامي في عهدها الأخير، بل إن التقصير أو عدم القيام بشيء من ذلك صار مؤخراً هو القاعدة فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ولكن الإخوة الكرام في دولة الإمارات العربية المتحدة قد قاموا بما ينبغي أن تقوم به رابطة العالم الإسلامي وأكثر منه، فتذكرت قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ [سورة محمد، الآية : ٣٨].

الاتحاد الإسلامي:

هو الهيئة المشرفة على الشئون الإسلامية في كوسوفا حيث إن الحكومة الحالية لا تقدم شيئاً للدين، بل لا تتدخل في الشئون الدينية، لأنها حكومة أجنبية

منبثقة عن حلف شمال الأطلسي، وقبلها كانت الحكومة الصربية التي يسيطر عليها الشيوعيون أو اليساريون الذين يرون فصل الدين عن الدولة، لذلك لم يكن بد من إنشاء الاتحاد الإسلامي الذي هو مؤسسة أهلية خالصة تعنى بكل ما يتعلق بالشئون الدينية.

وهذه نشرة ببيان تفصيلي لعمل الاتحاد الإسلامي أعطانا إياها المفتي الشيخ نعيم ترنافا الذي هو رئيس الاتحاد الإسلامي المذكور، وهو المفتي ورئيس المشيخة الإسلامية أيضاً.

الاتحاد الإسلامي في كوسوفا:

بدأ اتصال الألبانيين بالإسلام منذ حقبة تاريخية مبكرة تصل إلى فترة قبل قدوم العثمانيين إلى شبه جزيرة البلقان، ومع ذلك فإن الوثائق التاريخية تثبت بأن غالبية الشعب الآلباني اعتنق الدين الإسلامي خلال فترة ما بين القرن الخامس عشر والسابع عشر.

وكان شيخ الإسلام عندئذ يشرف على العمل الإسلامي في الولايات التي كان يسكنها الآلبانيون ومنها كوسوفا، وذلك عن طريق المفتي المسئول في كل منطقة من مناطق الولايات العثمانية، وقد استمر هذا النظام إلى أن تم إلغاء نظام الخلافة، وعلى الرغم من ذلك فقد استمر العمل الإسلامي المنظم في هذا الجزء من البلقان وفقاً للظروف الجديدة.

وبعد الحرب العالمية الثانية بدأ الاتحاد الإسلامي في كوسوفا عمله في أول يناير من سنة ١٩٤٨م، وقد كان الإتحاد الإسلامي في تلك الفترة التنظيم الإسلامي الموحد يشمل جميع المسلمين الذين يعيشون داخل حدود جمهورية يوغسلافيا السابقة.

وفي سنة ١٩٨٩م بعد أن بدأ تفكك ما كان يسمى بالاتحاد اليوغسلافي لأسباب معروفة، أعلن الاتحاد الإسلامي في كوسوفا استقلاله عام ١٩٩٤م عن رئاسة المشيخة الإسلامية العليا بيوغسلافيا السابقة، وبذلك أصبح التنظيم الديني الموحد والمستقل الذي ينتمي إليه جميع المسلمين المقيمين في كوسوفا وفي المهجر.

ويعمل الاتحاد الإسلامي في كوسوفا طبقاً للشريعة الإسلامية والأمور المستنبطة منها وعلى الدستور الخاص بالاتحاد الإسلامي، وعلى القوانين واللوائح المنبثقة من الدستور وعلى أحكام القانون.

ويقوم الاتحاد الإسلامي بتنظيم شؤونه العامة والدينية والتعليمية والوقفية والإدارية، وبأعمال أخرى بصورة مستقلة مراعياً في كل هذا مصلحة الإسلام والمسلمين بالدرجة الأولى.

من أهم أهداف الاتحاد الإسلامي هي تنمية الوعي الديني لدى المسلمين وتنظيم الشعائر الدينية، وأن يبذل كل ما في وسعه للدفاع عن مبادئ وأخلاقيات المجتمع المسلم، وأن يقوم بتنمية وتطوير الجوانب الثقافية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية لدى المسلمين.

ويحقق الاتحاد الإسلامي أهدافه على النحو التالي:

- بناء وصيانة الجوامع والمساجد والكتاتيب وجعلها مراكز للحياة والنشاط الإسلامي المثمر.
- التنظيم التعليمي الإسلامي.
- إنشاء المؤسسات والكليات الإسلامية والقيام بإدارتها والإشراف على عملها.
- تأسيس المؤسسات التعليمية والثقافية والعلمية الإسلامية والإشراف عليها، والقيام بإدارتها.

- تأسيس المؤسسات الخيرية والإنسانية والإشراف عليها.
- العمل على جمع تبرعات المسلمين وتنميتها ورعايتها.
- إقامة علاقة تعاون مع الهيئات الإسلامية في الدول المجاورة والمنظمات الإسلامية العالمية.
- التعاون مع الطوائف الدينية الأخرى.
- القيام بجميع الأنشطة الرامية إلى النهوض بالمسلمين دينياً وثقافياً وصحياً واجتماعياً واقتصادياً.

أجهزة الاتحاد الإسلامي في كوسوفا:

المجلس الإسلامي للاتحاد:

- يعتبر المجلس الإسلامي للاتحاد الإسلامي أعلى جهاز تمثيلي للاتحاد الإسلامي في كوسوفا، ويبلغ عدد أعضاء المجلس الإسلامي حسب عدد المجالس المحلية في الاتحاد الإسلامي ويتم انتخابهم عن طريق المجالس مباشرة ولمدة أربع سنوات.

المشيخة الإسلامية:

- جهاز تنفيذي لمجلس الاتحاد الإسلامي تعتبر بذلك أعلى سلطة تنفيذية للشؤون الدينية والتعليمية والمالية، بالإضافة إلى ذلك هي تقوم بإدارة وتوجيه العمل العام وتغطية الأعباء التالية أيضاً:
- القيام بتنفيذ قرارات المجلس الإسلامي.
- الإشراف على عمل الأجهزة والمؤسسات التابعة للاتحاد الإسلامي.
- القيام بالتنظيم والإشراف على عمل كلية الدراسات الإسلامية ومدرسة علاء الدين بفروعها.

- تنظيم أداء مناسك الحج والعمرة والقيام بجمع التبرعات والزكوات والإشراف على الأوقاف والجوامع والمساجد وإصدار الفتاوى والإشراف ومتابعة العمل وتعيين موظفي الاتحاد الإسلامي وعماله وأئمة المساجد والمؤذنين وأساتذة الكلية والمدارس الإسلامية والمصادقة على اللوائح والقوانين والقيام بالتعاون مع المنظمات والمؤسسات العالمية.
- ولكي تقوم المشيخة الإسلامية بأداء عملها بصورة أفضل فإنها تعمل في إطار الإدارات التالية:
- إدارة التعليم الديني - إدارة الشؤون الدينية - إدارة الطبع والنشر -٠ إدارة الشؤون المالية والاقتصادية.
- وطبقاً لاختصاصاتها والأحكام الدستورية لقد قامت المشيخة الإسلامية بالمصادقة على اللوائح والقوانين التالية:
- لائحة العاملين بالمشيخة الإسلامية، القانون الأساسي لكلية الدراسات الإسلامية، القانون الأساسي لمدرسة علاء الدين الثانوية في بريشتينا.
- لائحة تنظيم الحج، لائحة العمل بإدارة الطبع والنشر، القانون الخاص بواجبات العاملين بإدارة المشيخة الإسلامية والمدارس والقانون الأساسي للمجالس الإسلامية المحلية.. الخ.
- تشرف المشيخة الإسلامية في الوقت الحاضر على ٢٤ مجلساً إسلامياً محلياً (وقفاً) وعلى ٥٧٠ جامعاً ومسجداً، يقوم في الوقت الحاضر أكثر من ٥٠ من الكوادر الإسلامية بأداء مهامهم كمدرسين وأئمة ومعلمين وخطباء بالمساجد ومعظمهم يحملون شهادات جامعية، وهم يعملون بصفة دائمة كعاملين بالاتحاد الإسلامي في كوسوفا.

المجالس الإسلامية المحلية:

يعتبر المجلس الإسلامي المحلي هيئة أساسية للاتحاد الإسلامي في نطاق حدوده الوظيفية الرئيسية للمجلس الإسلامي المحلي وهو أن يهتم بجميع الشؤون الدينية، وأن يقوم بتلبية احتياجات المسلمين داخل حدوده.

- المؤسسات التعليمية والدينية للاتحاد الإسلامي هي:
- كلية الدراسات الإسلامية- مدرسة علاء الدين الثانوية بفروعها.

كلية الدراسات الإسلامية:

تعتبر كلية الدراسات الإسلامية أعلى مؤسسة تعليمية علمية للاتحاد الإسلامي التي تقوم بتأهيل الكوادر الإسلامية لكي يكونوا على المستوى المطلوب للقيام بأداء رسالتهم، وتشرف عليها المشيخة الإسلامية.

لقد تم إنشاؤها سنة ١٩٩٢م بناء على قرار المجلس الإسلامي رقم ٣/٤٤٣، بدأت الدراسات بالكلية في ديسمبر من عام ١٩٩٢م، وتستغرق مدة الدراسة بها أربع سنوات وفقاً للمنهج الدراسي المعمول به، ويتم تدريس المواد التالية:

القرآن الكريم وعلومه، التفسير، الحديث الشريف وعلومه، الفقه، وأصول الفقه، الدعوة، السيرة النبوية، تاريخ الثقافة، والحضارة الإسلامية، العقيدة، الفلسفة الإسلامية، اللغة العربية، اللغة التركية، اللغة الآلبانية، اللغة الإنجليزية، الأدب الآلباني.

يبلغ عدد الطلاب في الوقت الحالي حوالي ٤٠٠ طالب وطالبة ما بين منتظم ومنتسب معظمهم من جمهورية كوسوفا بالإضافة إلى عدد من الطلاب من جمهورية مقدونيا وألبانيا والجبل الأسود.



المفتي الشيخ نعيم ترنافا والمؤلف تحت لافتة كلية الدراسات الإسلامية في بريشتنا

يقوم اتحاد الطلاب بإصدار مجلتهم تحت اسم "نهضة الإسلام" وتوجد بالكلية مكتبة يستخدمها الطلاب للاطلاع على الكتب والمنشورات المختلفة ويزداد عدد الكتب بها يوماً بعد يوم ولكنها بحاجة إلى مزيد من الكتب والمنشورات والمجلات الإسلامية.

استمرار عمل كلية الدراسات الإسلامية في برشيتينا هو أحسن ضمان لمستقبل المسلمين في كوسوفا وما حولها، وبذلك هي تستحق كل دعم معنوي ومادي من قبل جميع المسلمين.

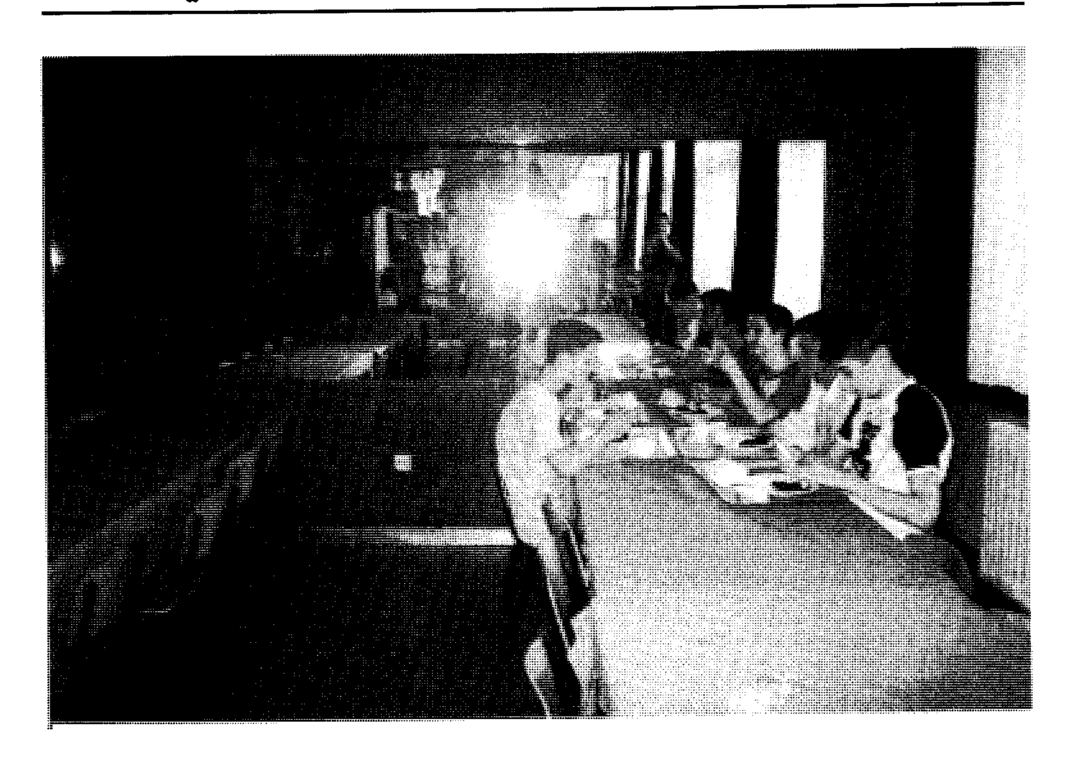
ويقوم الطلاب بعد انتهاء دراساتهم الجامعية بأداء رسالتهم ونشر نور القرآن بين المسلمين الذين هم في أمس الحاجة إلى ذلك وخاصة في هذه البقعة المضطربة من شبه جزيرة البلقان.

مقر الكلية الحالي هو في وسط مدينة بريشتينا، الشارع "فلوشا" رقم ٨٤.

مدرسة علاء الدين الثانوية الشرعية:

مدرسة "علاء الدين" الثانوية هي مدرسة إسلامية قامت بدور رائد في مجال الدعوة الإسلامية خلال نصف قرن من الزمن تقريباً.

لقد حافظت على التراث الإسلامي ونشر تعاليمه السمحة بين المسلمين في كوسوفا ومقدونيا والجبل الأسود وسنجاق وبقية مناطق المسلمين في شبه جزيرة البلقان.



صورة لبعض طلبة المدرسة الإسلامية في بريشتنا يتناولون غداءهم في مطعمها

يمكن القول بأن مدرسة "علاء الدين" الثانوية تعتبر نموذجاً حياً لعدد كبير من المدارس التي كانت موجودة في شبه جزيرة البلقان، لقد كانت مدرسة متوسطة ومن سنة ١٩٦٢م، أصبحت مدرسة ثانوية تستغرق مدة الدراسة بها أربع سنوات، ويتلقى الطلاب خلالها ٢٥ مادة دراسية، كل أعضاء هيئة التدريس مؤهلون ومعظمهم يعملون بالمدرسة بصفة دائمة، وتحصل على شهادة مدرسة "علاء الدين" الثانوية حتى الآن أكثر من ١١٠٠ طالب، بالإضافة إلى البرامج الدراسية المقررة فإن الطلاب يقومون بنشاطات مختلفة، ويقوم اتحاد الطلاب بإصدار مجلة دورية تحت اسم "نور القرآن".

لقد تم تشييد المبنى الجديد لمدرسة "علاء الدين" الثانوية قبل عدة سنوات بمساهمة البنك الإسلامي للتنمية بجدة، وبذلك فإن المدرسة اليوم توفر جميع احتياجات الطلاب اذْ يوجد بها عدد كاف من الفصول الدراسية، ومعمل لتعليم اللغات الأجنبية والمكتبة والمسجد وصالة للرياضة البدنية وقسم خاص لتسكين الطلاب ومطعم داخلي.

التعليم بالمدرسة مجاناً ويقوم الطلاب بدفع مبلغ رمزي مقابل مصروفاتهم للأكل والسكن، ونظراً للاهتمام المتزايد من الشباب للالتحاق بمدرسة "علاء الدين" الثانوية فقد تم فتح أربعة فروع، فرعين لها للبنين في كل من مدينتي بريزرن وجيلان وفرعين للبنات في كل من بريشتينا وبريزرن، ويبلغ عدد الطلاب الذين يواصلون دراساتهم اليوم بمدرسة "علاء الدين الثانوية وفروعها ٧٠٠ طالب وطالبة.



مع المدير والمدرسين على المسرح في مدرسة علاء الدين أو مفتي الإسلامية في بريشتنا بجانب رسم للمسجد الحرام

إدارة الطبع والنشر:

يعد العمل في مجال الطبع والنشر من أهم وأوسع المجالات للاتحاد الإسلامي، وقد تم طبع ونشر مئات من الكتب والمنشورات في مجالات إسلامية مختلفة باللغة المحلية (الآلبانية).

وتقوم المشيخة الإسلامية منذ أكثر من ١٥ سنة بإصدار مجلتها الشهرية "المعرفة الإسلامية" والتي تتطرق إلى مواضيع في مجال الدعوة والفكر الإسلامي وقضاياه المختلفة، وكذلك تقوم المشيخة الإسلامية بإصدار مجلة "التربية الإسلامية".

نظام الانتخابات:

يجدر بالذكر هنا أن كافة الانتخابات في إطار الاتحاد الإسلامي تتم بالتصويت السري في انتخابات حرة لمدة محددة بين أكثر من مرشح واحد مع إمكانية إعادة الانتخاب، أما الكوادر العاملة فيتم تعيينهم حسب الكفاءة، ويحق الاشتراك في انتخابات الاتحاد الإسلامي كل من يبلغ ١٨ سنة من عمره.

ميزانية المجلس الإسلامي:

تتكون ميزانية الاتحاد الإسلامي من المساعدات التي يساهم بها المسلمون مثل: الزكاة وصدقة الفطر، وجلود الأضاحي، وتبرعات أخرى، بالإضافة إلى تنظيم الحج واشتراكات المسلمين والمساعدات التي تأتي من الخارج أحياناً.

الأضرار الناجمة عن الحرب:

خلال الاحتلال الصربي الذي استمر لمدة عشر سنوات والحرب التي شنتها صربيا خلال عامي ٩٨- ١٩٩٩م، تكبدت كوسوفا خسائر كبيرة، قتل أكثر من

١٢.٠٠٠رجل وامرأة، وتم إحراق أو تدمير ٢٥٠.٠٠٠ منزل، وتم اكتشاف أكثر من ٦٠٠ مقبرة جماعية، ويعتبر حوالي ٤٠٠٠ نفر من المفقودين، تم إحراق أو تدمير ٢١٨ جامعاً ومسجداً، وكذلك مقر المشيخة الإسلامية وقتل أكثر من ٣٠ إماماً وطالباً بكلية الدراسات الإسلامية ومدرسة علاء الدين الثانوية.

معلومات موجزة عن كوسوفا:

المساحة: ١٠.٩٠٨

عدد السكان: ٢.٥٠٠.٠٠٠

العاصمة: برشتينا.

السكان: (تحت ١٥ سنة) ٤١٪.

المواليد: ٣.٥٪ في ١٠٠٠ ساكن.

الوفيات: ٥.٢ في ١٠٠٠ ساكن.

تقسيم السكان: آلبانيون ٩٠٪، صربيون ٥٪، وآخرون: ٥٪.

مسلمون: ٩٥٪.

عدد الطلاب في المدارس الابتدائية: ٧٢٣.٥٦٣ طالب، و١٣.٣٠٩ معلم.

المدارس الشرعية: ٣ وعدد الطلاب ٦٠٠ طالب.

في كوسوفا جامعة واحدة، تضم ١٣ كلية في كافة مجالات التعليم.

عدد الطلاب الجامعين: ٢٧.٠٠٠ طالب وأكثر من ألف أستاذ جامعي.

عدد المساجد: ٥٥٠ مسجداً.

جولة على مساجد برشتنا:

خرجنا بصحبة المفتي وعدد من المشايخ لعل من أهمهم لنا الدكتور الحصيف (رسول بن الشيخ رجب) فمررنا بحديقتين في المدينة فقلت: إن بلادكم كلها حديقة، وذلك أن جبلاً أخضر كان يطالعنا من قرب.

وقلت لهم إنني عندما زرت برشتنا الزيارة الأولى منذ ٣٦ سنة لم يكن فيها عود أخضر لأن جميع الأشجار قد عراها الثلج والشتاء البارد من الأوراق، ومن خضرة الأغصان.

مسجد ستوفالي:

صعدنا مع منطقة مرتفعة قليلاً حتى وصلنا (مسجد ستوفالي) الذي يبنى الآن على أرض موقوفة في الأصل.



مسجد ستوفالي (تحت الإنشاء) في بريشتنا

وهو في منطقة عالية من المدينة، من الطرائف في مبناه أنني رأيتهم يبنون جداره مزدوجاً يجعلونه من جدارين بينهما فراغ قليل، ونسمي مثل هذا في بلادنا

بناء معزولاً، نفعل ذلك لمكافحة الحرارة، ولكنهم هنا ذكروا أنهم يبنونه معزولاً لمكافحة البرودة!

ويشرف المسجد من جهة الغرب على قلب مدينة (برشتنا) وتشرف عليه من الشرق والشمال جبال خضر عجيبة الاخضرار، وإن لم تحاصره فهي تفسح المجال له.

وقد قاربوا الانتهاء من بناء هيكله ومن ذلك أنهم سقفوه بقبة بلغ ارتفاعها خمسة عشر متراً.

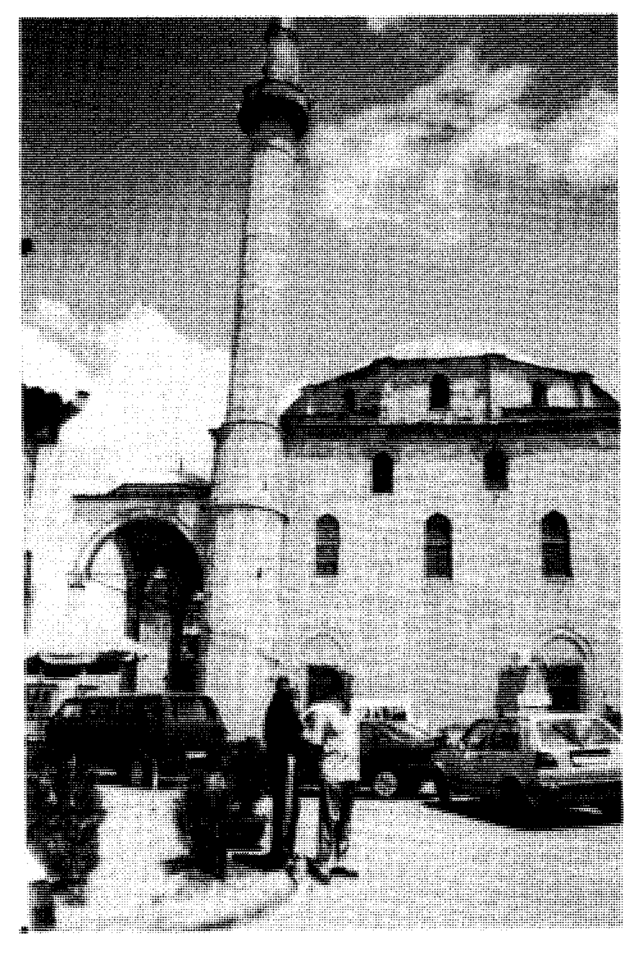
واستأنفنا السير فمررنا أيضاً بحديقة مظلمة لكثافة أشجارها ذكروا أن أشجارها كلها تسقى بماء المطر، ولما ذكرت لهم أن المطر إذا وقع عندنا تباشر الناس بوقوعه، قالوا: نحن المطر عندنا في كل يوم في أكثر أيام الصيف.

ومع ذلك كان الجو شامساً هذا اليوم حتى الآن ولذلك بدت وجنات الأطفال ومن في حكمهم وردية من وقوع الشمس عليها، ورأيت بعض الأرصفة والشوارع تحتاج إلى إصلاح، فذكروا أن إمكانات البلدية قاصرة في الوقت الحاضر عن تلبية كل ما تحتاجه شوارع المدينة بسبب الحالة الاقتصادية الحاضرة.

مسجد الفاتح:

وقفنا في قلب مدينة برشتنا عند مسجد الفاتح وهو الذي صليت فيه مع رفيقي في الرحلة آنذاك الأستاذ محمد بن عثمان العمر في الزيارة الأولى لبرشتنا عام ١٣٩٠هـ ولم نصل آنذاك في غيره.

لم يبق في ذهني من صورته إلا منارته الشامخة التي لم تفعل السنوات فيها شيئاً.
وأما المحطة التي كانت بقربه، وبسبب ذلك دخلناه وصلينا فيه الفجر في درجة برودة تدنت كثيراً تحت الصفر فقد نقلت إلى مكان آخر.

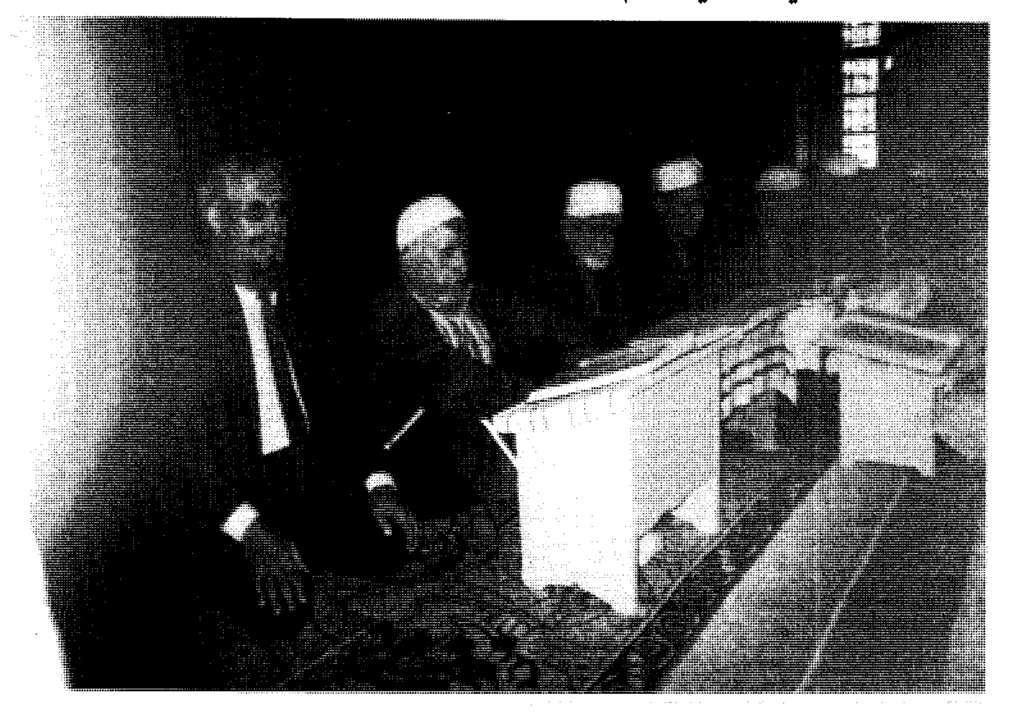


جهة خلفية لمسجد الفاتح في بريشتنا

تجولنا في المسجد ورأيت تاريخه مكتوباً عليه وأنه يوافق عام ١٤٦١م، وقد بني في عهد الحكم التركي على هذه المنطقة، بل في وقت عز الأتراك وفتوحاتهم في شرق أوروبا.

وللمسجد قبة شامخة لا تزال كأنما فرغ منها بانيها أمس، وذلك لكون بنائها قصد به ذلك، أي أن يكون متقناً يغالب الزمن.

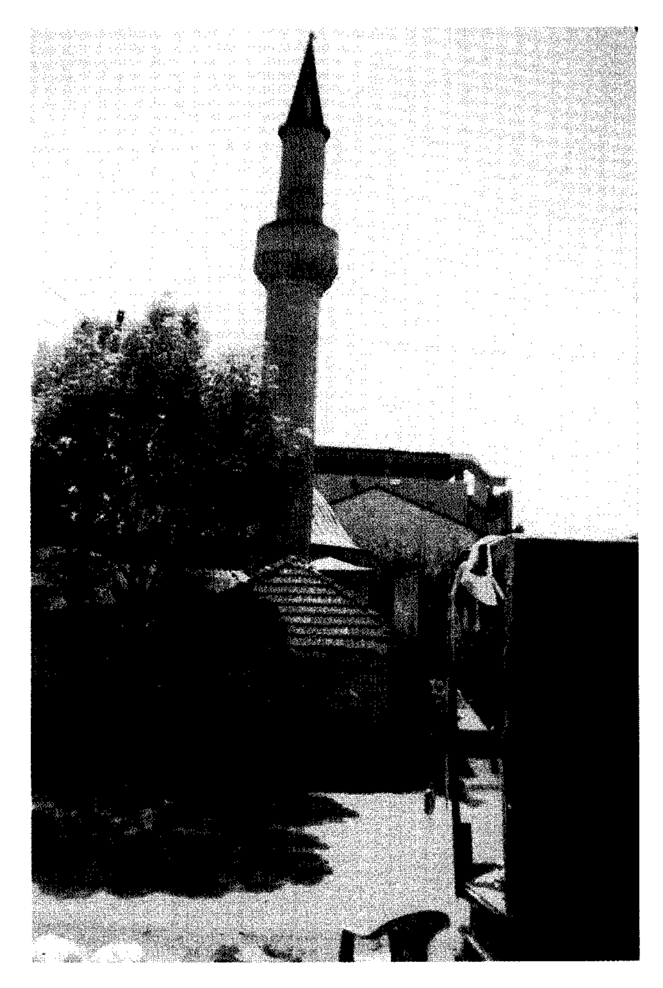
وحوله حي تاريخي قديم نفيس جداً من الناحية الأثرية.



المؤلف يؤدي صلاة السنة بجانب درس قرآن في مسجد الفاتح في بريشتنا

ومما يسر أن الكوسوفيين والذين تولوا الأمر قبلهم عليه من الصرب واليوغسلافيين حافظوا على الطابع القديم لهذا الحي، فلم يغيروا منه شيئاً.

ولذلك صار في هذا الحي مسجدان آخران متقاربان كل واحد منهما له منارة شامخة أحدهما منارته من الحجارة المهذبة، ومع ذلك هي دقيقة تكاد تبدو أدق من المآذن التي بنيت من الآجر الذي هو المادة الأكثر استعمالاً في بناء مآذن المساجد ومناراتها.



منارة مسجد رمضانية في بريشتنا

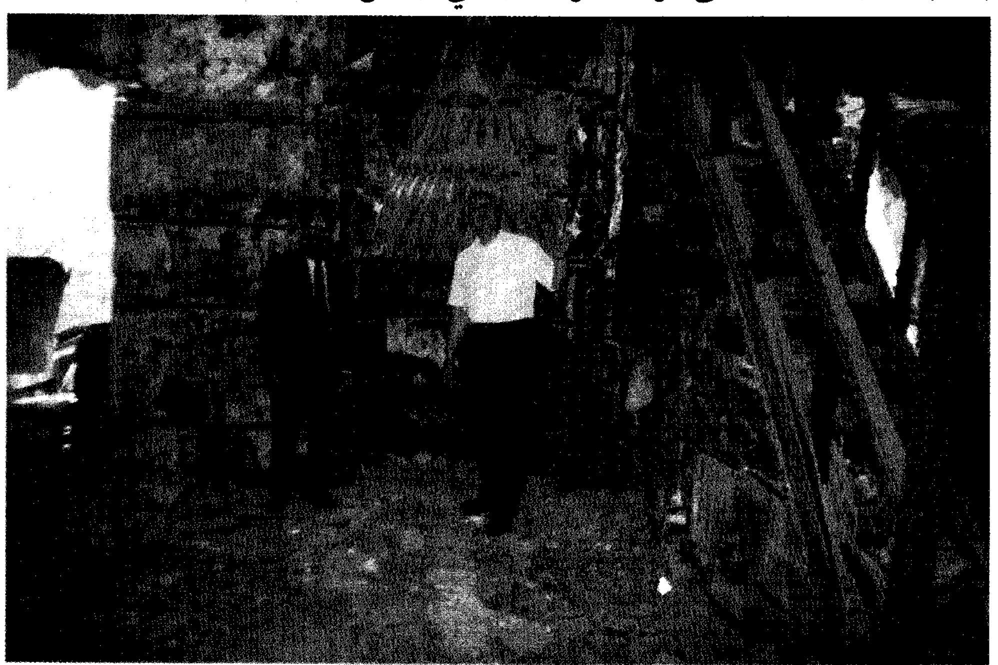
ويسمى (مسجد رمضانية) أحرقه الصرب المتعصبون، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً لمنارته لأن النار لا تعمل فيها.

التقطت له صورة ولكنه كان غارقاً في الأشجار الوارفة، وقد حصلت على صورة له قديمة قبل إحراقه.

عندما دخلناه وجدنا داخله محروقاً تماماً وقد انهارت أجزاؤه الداخلية، واحترقت كالمنبر والمحراب، وكله بقي على حاله دون إصلاح، وذلك لوجود المسجد الآخر بقربه، ومسجد الفاتح الكبير العامر أيضاً.

وقد اقترحت على المفتي ومرافقيه معنا أن يبقوه على حاله حتى يرى الناس وحشية الصرب الذين أقدموا على إحراقه وهو بيت من بيوت الله كان موجوداً قبل وجودهم السياسي في البلاد.

ولكون أهل المنطقة لا يحتاجونه للصلاة لوجود مسجدين قريبين منه كما تقدم.
ومع ذلك لم يرد المسئولون في المشيخة الإسلامية تعطيل الصلاة بقربه رغم كونه أحرق حتى لا يصلح للصلاة فيه إلا بعمل وترميم عظيمين فخصصوا بجانبه خارجاً عنه مصلى مؤقتاً مفروشاً يصلي فيه من شاء.



عند محراب مسجد رمضانية الذي أحرقه الصرب مع الدكتور رسول

مدرسة مفتي الإسلامية:

هذه هي التي كانت تسمى عندما زرت هذه المدينة قبل ٣٦ سنة (معهد علاء الدين في برشتنا) ولا تزال تسمى عند بعضهم (مدرسة علاء الدين) ووصفوها بأنها المدرسة الإسلامية.

ويبلغ طلابها الآن ٧٠١، وكانوا عندما زرتها في المرة الأولى ٥١٠.

وينفق عليها الاتحاد الإسلامي لكوسوفا وهو منظمة أهلية دينية، ولا تعطيهم الحكومة نفقة لها، وإنما يأخذون من الطلاب رسوماً رمزية- كما قالوا.

وشهاداتها معترف بها من الحكومة، ويلتحق خريجوها بالكليات الجامعية، وفيها طلاب من ألبانيا والجبل الأسود وصربيا ومقدونيا.

استقبلنا فيها مديرها الأخ الكريم (أكرم...) في غرفة الإدارة فيها التي هي واسعة وفيها مقاعد وثيرة غالية، وآلات حديثة كالحاسب الآلي ومكتب المدير فيها فخم ضخم كأنه مكتب مدير شركة تكسب أموالاً طائلة.

وأخبرونا أنها تخرج فيها آلاف من الطلبة الذين أكمل بعضهم دراسته الجامعية في الكليات المدنية، وبعضهم توظفوا أئمة مساجد وأكملوا دراساتهم أيضاً العالية وهم كذلك.

ومن الطريف أنني رأيت امرأة فراشة فيها تنظف بعض الأماكن فذكرني هذا بصورة مشابهة قديمة رأيتها فيها قبل ٣٦ سنة عند زيارتي الأولى وهي أنني

رأيت امرأة فراشة وهي العاملة تنظف أماكن الوضوء فيها مع أن درجة البرودة هي دون الصفر بكثير في ذلك الوقت، وتمنيت لو استطعت أن أدفع لها ما يغنيها عن هذا العمل الشاق في البرد القارص لأنها مسلمة متسترة.

ولا شك في أن الفراشة القديمة هي الآن إن كانت لا تزال حية في منزلة أم هذه أو جدتها.

وهذا قد تكرر حتى في بلادنا إذْ أعرف آباء وأجداداً لقوم لا يعرفونهم من أبنائهم وأحفادهم إذْ مدالله في عمري ولله الحمد والمنة حتى بلغت الآن من العمر واحداً وثمانين سنة في هذا العام.

تعليم المسلمين المحتاجين:

جلسنا مع الإخوة المسئولين عن الدراسة ومعنا المفتي وعدد من كبار العاملين في دار الفتوى في الوظائف الدينية، وقلت لهم: إن إخواناً لكم من الأوروبيين قد بلغ بهم الجهل بأمور الدين مبلغاً لا تتصورونه، و دراستهم في بلاد مثل بلادكم تعتبر أوروبية أسهل عليهم من الناحية الاجتماعية والفكرية من الدراسة في البلدان العربية مثل المسلمين في دول البلطيق وبولندا وبعض أقطار أوروبا الشرقية، فضلاً عن الألبانيين في جورجيا واليونان.

وقلت لهم: إنني صليت مع أهل الجمعية الإسلامية في فيلونوس عاصمة جمهورية ليتوانيا فأخبرني أهلها أنهم يصلون الجمعة الاولى من كل شهر ولا يصلون جمعة غيرها في الشهر يعتقدون أن ذلك يكفيهم وأخبرتهم أن المسلمين في بولندا لا يعرفون بالضبط عدد ركعات الظهر إذْ بعضهم يدخل فيها السنة الراتبة وبعضهم يزيد فيها سنة أخرى أيضاً.

هذا وقد قمنا بجولة معهم على أنحاء هذه المدرسة الواسعة الواقعة في مبنى حديث مرتب وجميع أثاثها وما فيها، بل جميع أثاثها يدل على الذوق الرفيع من الإدارة والصيانة الممتازة لمبناها الثمين.

كما وقفنا على مهاجع بعض الطلبة الذين يسكنون فيها بأجر يدفعونه للمدرسة، ومع ذلك ذكروا أن ذلك لا يكفي ما ينفق على هؤلاء الطلبة من مطعم ومشرب وقد أرونا مطعم الطلبة فرأيته واسعاً نظيفاً غاية النظافة.

وأخبرونا أن الأهم من ذلك هو تربية الطلاب تربية إسلامية وملاحظة أدائهم الصلوات في مسجد المدرسة، قالوا: ولذلك يرغب كثير من أولياء أمور الطلبة أن يسكنوا أبناءهم داخل المدرسة، ولكننا لا نوافق على ذلك، وإنما نقصره على الطلاب الذين ليست لهم أسر تسكن في مدينة برشتنا، فهؤلاء بمثابة الغرباء الذين لا يصح أن يعيشوا في مكان لا تتوافر فيه العناية اللازمة لهم.

ومررنا من بين ما مررنا به في المدرسة بقاعة المحاضرات، وهي واسعة مجهزة، ثم قاعة الرياضة واسعة مدفاة، وهي معدة لممارسة أنواع متعددة من أنواع الرياضة.

الجدار كله سَبُّورة:

أرونا فصلاً تعليمياً اعتبروه أنموذجاً للتعليم بالكمبيوتر، وذكروا أن الصورة تعكس على جدار الفصل فيكون الحائط الذي أمام الطلاب كله سبورة أو بمثابة السبورة، لذلك لا سبورة لديهم.

أما قاعة الكمبيوتر وهي (الحواسب الآلية) فإن فيها خمسة وثلاثين جهازاً، وذكروا أن عندهم من جماعتهم فنيين لتشغيل هذه الأجهزة، وإصلاح ما قد يحتاج منها إلى إصلاح.

مكتبة المخطوطات:

لي عناية قديمة بالكتب بعامة والمخطوطات خاصة، لذلك يوجد لدي الآن أكثر من ثلاثة آلاف كتاب مخطوط، كلها أصول أي ليست فيها مصورات لمخطوطات.

لذلك حرصت على أن أرى مكتبة المخطوطات وقد فصلوها عن المكتبة العامة في المدرسة التي تضم المطبوعات.

وذكروا أن عدد المخطوطات عندهم يزيد على ثلاثة آلاف مخطوط.

فاقترحت عليهم أن يصوروها على (الميكروفلم) وأن يستخرجوا منها نسخاً توضع بين أيدي الطلاب والباحثين، و تحفظ أصول الكتب في خزائن حديدية تحفظ في مكان مؤمن ضد الحريق والغرق، فذلك يصون الكتب، بل يحافظ عليها، ولا يحرم الباحثين من الإطلاع على نسخ منها، وقد علمت أن بعض المكتبات الأوروبية (تعتقل) الكتب، فتربطها برباط من حديد له مفتاح لا يفتح إلا بحضور لجنة معينة، وذلك من أجل صيانتها حتى من القائمين عليها.

ومعلوم أن المخطوطات القديمة مادة ناضبة، إذْ لا يمكن زيادتها، وإنما يمكن زيادة عددها في المكتبة عن طريق اكتشاف شيء منها، أو عرضه في تركة أو نحوها، لذلك وجب حفظها وصيانتها.

ثم وصلنا في تجوالنا في مبنى هذه المدرسة الراقية إلى مسجد المدرسة فوجدناه فسيحاً ذكروا لنا أن الطلاب سواء الساكنين منهم والدارسين يصلون فيه.

وفي الختام أعطونا هذا التعريف بالمدرسة:

مدرسة "علاء الدين الثانوية":

بدأ نشاط التعليم الإسلامي في كوسوفا قبل ستة قرون أو بالأحرى مع بداية الفتوحات العثمانية، وانتشار الدين الإسلامي في هذا الجزء من شبه جزيرة البلقان، ومع بداية اعتناق الدين الجديد من قبل سكان المنطقة تظهر في حيز الوجود المظاهر الأولى للحضارة الإسلامية.

وفي تلك الحقبة التاريخية بالذات بدأ وضع الأساس الأولى لمؤسسات التربية الإسلامية ركيزة هامة من ركائز الحضارة الجديدة، ونتيجة لذلك بدأ العمل على إنشاء المؤسسات الأولى التي هي ذات طابع تربوي إسلامي مثل: المساجد والجوامع والكتاتيب والمدارس والمكتبات، وفي نفس الوقت بدأ بناء المرافق العامة التي قامت بدور اجتماعي وصحي مثل: بيوت الضيافة والمطاعم العامة، والمستشفيات، والحمامات العامة، وكلها كانت تعتمد على الأوقاف المخصصة لها من قبل المحسنين المسلمين، علماً بأنها لعبت دوراً هاماً عبر التاريخ في توفير رفاهية الشعب، ورفع مستوى معيشته وتقويم سلوكه الديني.

لقد تم إنشاء مدرسة (محمد باشا) بمدينة (بريزرن) منتصف القرن السادس عشر، وكانت بمثابة أول معهد عالٍ للتعليم الإسلامي، وقد لعب دوراً كبيراً في الحياة التربوية والتعليمية للألبانيين في تلك المنطقة، ومع بداية القرن السادس

عشر كانت هناك مدرسة في كل مدينة من مدن كوسوفا، بل كان يزيد عددها يوماً بعد يوم حتى نرى سنة ١٨٧٤م أن عدد المدارس بمدينة (بريزرن) وحدها وصل إلى أربع مدارس، وكانت في كل من (برشتينا) و(جاكوفا) و(بيتا) مدرستان، ومدرسة واحدة في كل من مدينتي (جيلان) و(فوشتري) وكانت تعمل بمدينة (جاكوفا) في منتصف القرن الثامن عشر (المدرسة الكبرى)، التي لعبت دوراً مهماً في رفع المستوى التعليمي لدى المسلمين الألبان في تلك المنطقة بوجه خاص.

وإلى جانب وجود مدارس إسلامية بالمدن الكبرى في كوسوفا، لقد تم إنشاء عدة مدارس في بعض القرى، وذلك نظراً لحاجة المسلمين الألبان لتعليم أولادهم وتربيتهم تربية إسلامية سليمة.

ولكن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعد سيطرة الشيوعيين على الحكم لقد تم إغلاق جميع المدارس الإسلامية في كوسوفا.

وكان العلماء المسلمون الألبان في كوسوفا مقتنعين تماماً بأن الوعي الإسلامي السليم لا يتحقق إلا عن طريق وجود مؤسسات تعليمية إسلامية، وبالرغم من وجود عراقيل عدة من قبل السلطات الشيوعية الحاكمة، إلا أنهم بذلوا كل ما كان في وسعهم من أجل إنشاء مدرسة إسلامية متوسطة في أول من نوفمبر سنة ١٩٥١م، بمدينة برشتينا، وقد تم تسجيل ٤٧ تلميذاً في العام الدراسي الأول، واصل الدراسة بهذه المدرسة خمس دفعات، تم تسجيل ١٦٠ تلميذاً خلال عملها لمدة عشر سنوات، وتخرج فيها ١١٥ تلميذاً، وواصلوا دراساتهم بعد التخرج بالمرحلة الثانوية.

وفي سبتمبر من سنة ١٩٦٢م بدأت مدرسة (علاء الدين) عملها كمؤسسة تربوية- تعليمية، ولكن منذ ذلك التاريخ كمدرسة ثانوية، وقد تم تسجيل الدفعة الأولى من الطلاب سنة ١٩٦٢م، وكانت مدة الدراسة بها تستغرق خمس سنوات، وكانت لوائح الدراسة تنص على أن التدريس يتم باللغة الألبانية، وكانت حتى عهد قريب المدرسة الإسلامية الوحيدة باللغة الألبانية في العالم بأسره، ومنذ ذلك التاريخ تتخرج منها الدفعة تلي الدفعة، ويعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة العمود الفقري للمنهج الدراسي بها، ويواصل عدد كبير من خريجي المدرسة دراساتهم الجامعية في البلاد العربية والإسلامية، وبعد إتمامها يعودون إلى كوسوفا لأداء واجباتهم ومهامهم الملقاة على أعناقهم نحو دينهم وشعبهم ووطنهم، ويعمل عدد كبير منهم بالمشيخة الإسلامية والمرافق التابعة لها.

ومع بداية الثمانينات تم إدخال بعض التغييرات في المنهج الدراسي، وذلك بسبب اختصار مدة الدراسة بها من خمس سنوات إلى أربع سنوات أسوة بما هو معمول به في المدارس الثانوية، وقد تم إدخال هذا التغيير بموجب قرار خاص من قبل المشيخة الإسلامية ببرشتينا التي تشرف على عمل المدرسة، وذلك بتاريخ ٢٨/ ٤/ ١٩٨٣م.

أما في الوقت الحاضر فيتم تدريس ٢٥ مادة خلال سنوات الدراسة الأربع، وهي: القرآن الكريم، الحديث الشريف، التفسير، العقيدة، الفقه، الأخلاق، أصول الفقه، التاريخ الإسلامي، اللغة العربية، اللغة الألبانية، اللغة التركية، اللغة الإنجليزية، التاريخ، الجغرافيا، علم الأحياء، طرق التدريس، علم النفس، الدفاع المدني، كومبيوتير، الرياضة والرياضيات: الكيمياء، الفيزياء، والفلسفة الإسلامية.

ومنذ بداية عمل مدرسة (علاء الدين) الثانوية تخرج منها ١٨٠٠ طالب، وقد تم تأهيلهم للقيام بعملهم كأئمة، ووعاظ ومعلمين حسب احتياجات المشيخة الإسلامية والمرافق التابعة لها.

وبما أن عدد المتقدمين للتسجيل بهذه المدرسة يتجاوز عدد الطلاب الذين يمكن قبولهم فعلاً، يراعى أثناء القبول النتيجة السابقة للطالب، حسن السير والسلوك، وكذلك المنطقة التي يأتي منها الطالب، حيث يتم قبول الطلاب من جميع المناطق المختلفة بصورة متساوية، ويمكن التأكد من ذلك بأن الذين نالوا الشهادة الثانوية من قبل مدرسة (علاء الدين) في برشتينا هم من: كوسوفا ومقدونيا وسنجق والجبل الأسود وألبانيا.

لقد واصل عدد كبير من خريجي هذه المدرسة دراساتهم الجامعية في مجالات علمية عدة في مختلف الجامعات مثل: جامعة برشتينا، وسراييفو، بلغراد، القاهرة، بغداد، طرابلس، المدينة المنورة، الرياض، أمدرمان، عمان.. الخ.

ويواصل عدد من خريجي مدرسة (علاء الدين) دراستهم بالجامعات المذكورة وغيرها حتى الوقت الحاضر، وقد أثبتوا تفوقهم العلمي، يمكن القول بأن ٥٠٪ من الخريجين يعملون بالمشيخة الإسلامية، ومرافقها بالأراضي الألبانية الأثينية والتاريخية من مدينة (تيفار) بالجبل الأسود إلى مدينة (مناستير) في مقدونيا كما يعمل عدد منهم بالمراكز الإسلامية الألبانية الموجودة في أوروبا الغربية والولايات المتحدة وأوستراليا، حيث تعيش هناك جاليات ألبانية كبيرة، وكلهم يدركون تماماً بأن الأمانة الملقاة على أعناقهم مقدسة، ولذلك يؤدونها على أكمل

وجه، ويساهمون في الوعي الإسلامي، وبصفة خاصة تربية أطفال المسلمين الألبان تربية إسلامية سليمة، كما يعمل عدد آخر في المجال الاقتصادي والتعليمي والثقافي والإداري سواء كان بالقطاع الخاص أو العام.

إلى جانب قيام الطلاب بواجباتهم الدراسية، هم يقومون أيضاً بنشاطات حرة أخرى، وتنقسم نشاطاتهم إلى شعب مختلفة، وقد برزت شعب المولد النبوي الشريف، وشعبة الشعر، والأدب وشعبة الرياضة.. الخ، ولدى الطلاب جمعية أدبية تقوم بنشر مجلتها (نور القرآن) بصفة دورية.

لقد واجهت هيئة التدريس خلال فترة عملها السابقة صعوبات عديدة، إذْ كانت تعمل في ظروف صعبة وفي مبنى ضيق، لكن بفضل الجهود التي قامت بها المشيخة الإسلامية في كوسوفا، وبفضل التبرعات السخية التي قدمها المسلمون قد تم بناء المبنى الجديد للمدرسة، واستمر العمل في انجازه أكثر من ست سنوات، وقد تم افتتاح المبنى الجديد بتاريخ ١٤ سبتمبر سنة ١٩٨٥م.

وهنا يجب أن نشيد بالدور الكبير الذي قام به المسلمون خلال فترة بناء المدرسة والمساعدات الكبيرة التي قدموها من أجل إنجاز بنائها بالرغم من الضائقة المالية والظروف الاقتصادية الصعبة التي كانوا يعيشونها، ولا يزال المسلمون المخلصون يقدمون دعمهم المعنوي والمادي المستمر إلى مدرسة (علاء الدين) الثانوية حتى تتمكن من أداء رسالتها التربوية والتعليمية، وتقدم إليها المساعدات بطرق وأشكال مختلفة مثل: عن طريق الزكاة وصدقة الفطر والأضاحي، وجلود الأضاحي، وكذلك التبرعات الأخرى، وكل هذا يجعل المسئولين بالمدرسة وأعضاء هيئة التدريس بها يشعرون بأن المسؤولية الملقاة على أعناقهم كبيرة ومقدسة، ويجب عليهم بذل كل ما في وسعهم لأدائها على أكمل وجه.

ويجدر بالذكر هنا أن مدرسة (علاء الدين) بعملها الدؤوب أصبحت رمزاً لصمود الشعب الألباني، وكفاحه المستمر من أجل استقلال كوسوفا عن هيمنة صربيا واحتلالها، وقد أصبحت هي المقر الوحيد الذي يتم فيه عقد الاجتماعات على مستويات مختلفة سواء كانت سياسية، اجتماعية، ثقافية علمية أو دينية.

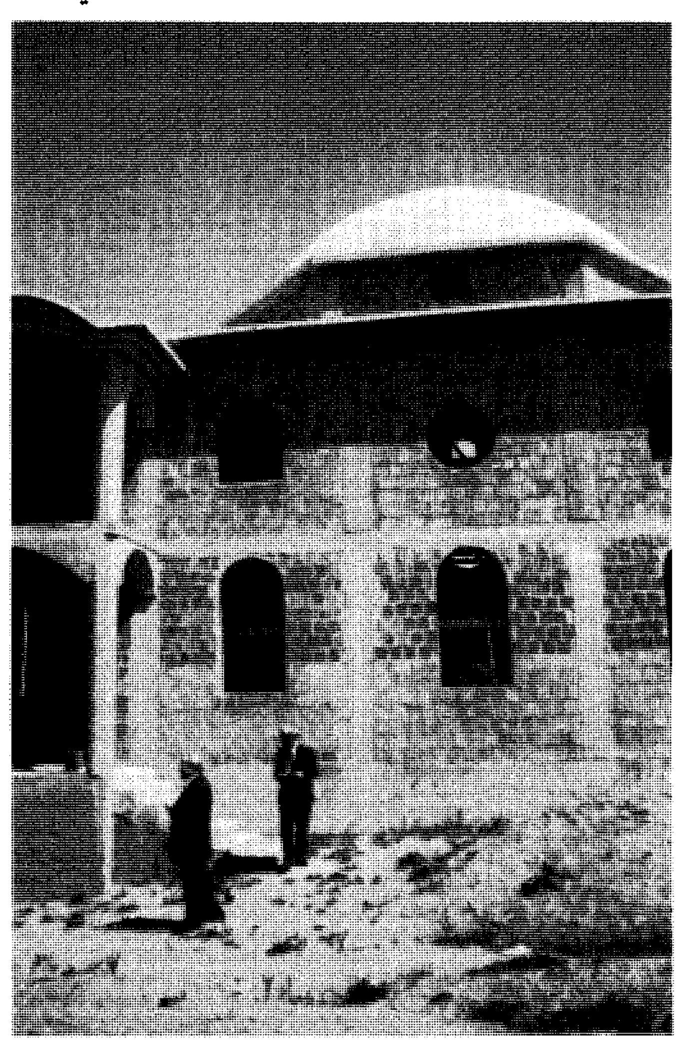
ومع بداية الهجوم الصربي واشتعال الحرب في مارس ١٩٩٨م ويونيو ١٩٩٩م ضد المواطنين العزل في كوسوفا قام ٦٧ طالباً من طلاب مدرسة (علاء الدين) بانخراطهم في صفوف جيش تحرير كوسوفا، وقد استشهد ١٤ منهم.

وبما أن الاهتمام في السنوات الأخيرة قد ازداد كثيراً بين شبان المسلمين للالتحاق بالمدرسة، قد قرر المجلس التشريعي الإسلامي في كوسوفا بناء على اقتراح من قبل المشيخة الإسلامية بفتح فرعين لها في كل من مدينة (بريزرن) ١٩٩٣م، و(جيلان) ١٩٩٤م، وبذلك أصبحت الفرصة مواتية لتأسيس أول كلية للدراسات الإسلامية ببرشتينا سنة ١٩٩٢م، وتم افتتاح فرعين للبنات في برشتينا وبريزرن عام ١٩٩٧م.

تعد مدرسة (علاء الدين) مدرسة إسلامية وشهاداتها تعادل شهادات بقية المدارس الثانوية في جمهورية كوسوفا وخارجها، كما تعادل شهادة بقية المدارس الثانوية في العالم العربي والإسلامي، وكانت حتى قبل فترة قصيرة المدرسة الإسلامية الوحيدة التي يتم التدريس بها باللغة الألبانية، ويرجع إليها الفضل في إعداد الكوادر المؤهلة من الأئمة والوعاظ والمعلمين للعمل في كوسوفا ومقدونيا وسنجق والجبل الأسود وحتى في ألبانيا بعد سقوط النظام الشيوعي بها.

مسجد بونار:

غادرنا مدرسة علاء الدين، كما كانت تسمى قديماً، فذهبنا لرؤية مسجد لم يكتمل بعد اسمه (مسجد بونار) وهذه التسمية على بئر قريبة منه اسمها (بئر بونار) وبونار: رجل حفر بئراً عذبة الماء هنا قبل ٢٠٠ سنة فسميت باسمه، وصار ذلك اسماً للحي.



مسجد بونار الذي تبنيه مع غيره اللجنة السعودية المشتركة لإغاثة كوسوفا

وأما المسجد فإنه يعرف باسم (خيرات مسجد) وهو ذو قبة نحاسية اللون، وقد انتهى تسقيفه، ويجري العمل فيه بسرعة.

اللجنة السعودية المشتركة:

ذكر لنا الإخوة المرافقون أن الذي يقوم على عمارة هذا المسجد هندسة وبناءً هي اللجنة السعودية المشتركة، وهي لجنة من المؤسسات السعودية الخيرية، وإن كانت أكبرها حكومية، وهي (جمعية الهلال الأحمر السعودي).

ومما يسر أنهم ذكروا أن اللجنة السعودية المشتركة تقوم الآن بعمارة مسجد من ٢٠ مسجداً كانت عينت أماكنها بالاتفاق مع الجانب الكوسوفي، حسب حاجة المناطق إلى المساجد، ومسجد بونار هذا أحدها.

وهذا المسجد أرضه واسعة لأنها قديمة مساحتها ألفا متر مربع.

وقال أحد الإخوة معلقاً على ذلك: إن الصرب عندما أحرقوا ثلاثة مساجد في صربيا لم يكونوا يتصورون أنه سيبنى في كوسوفو عشرون مسجداً على نفقة السعودية، أكثرها جديد وبعضها وهو الأقل قديم كان قد تهدم أو ضاق بالمصلين مع ما أصابه بفعل الزمن، ويكون بناء هذه المساجد كلها دفعة واحدة.

هذا وقد رأينا العمال الذين يعملون في بناء المسجد من العمال الأتراك تعاقدت معهم اللجنة السعودية المشتركة لهذا الغرض لمهارتهم ومعرفتهم، ولقرب بلادهم من كوسوفا.

ويمر بهذا المسجد نهير صغير يتدفق ماؤه صافياً نميراً ذكروا أنه ذاهب إلى النهر الكبير في كوسوفا.

ورأيته يقترن عند هذا المسجد بنهير آخر أيضاً.

ولا شك في أن كون هذا النهير يتدفق ماؤه هو أننا الآن في موسم الصيف: موسم الأمطار في هذه البلاد.

عودة إلى مسجد الفاتح:

عدنا إلى (مسجد الفاتح) الذي تقدم ذكره من أجل تصوير منارة حجرية لمسجد بجانبه ذكروا أنه أول مسجد في برشتينا.



مسجد سلطان محمد أقدم مساجد بريشتنا

ويدعى المسجد ذو المنارة الحجرية (مسجد سلطان محمد) وهو أقدم مساجد برشتينا ومنارته الحجرية ذكروا أنها الوحيدة في أوروبا لأن معظم المنارات ومآذن المساجد مبنية بالآجر لا بالحجارة، وما لم أتوقعه أن تكون السيارات في شوارع برشتينا بالكثرة الكاثرة حتى إنه يصعب على السائر على قدميه أن يقطع الشارع إلا بصعوبة.

وعندما وصلنا إلى مسجد الفاتح كان الناس لا يزالون يدخلون إليه للصلاة، رغم كون الوقت مبكراً على الصلاة، ولكن الرغبة كبيرة كما تبين ذلك لدى أكثرهم.

ورأيت طائفة من السياح الأجانب يدخلون إلى المسجد ويتأملونه ويصورونه، فسألتهم عما إذا كانوا يتقاضون على ذلك رسوماً من السياح، فذكروا أنهم لا يفعلون ذلك، فقلت لهم: إنني رأيت عدداً من الإخوة المسلمين على مدار العام يتقاضون رسوماً من السياح غير المسلمين على زيارة المسجد المهم أو المتميز، وهي زهيدة بالنسبة للسائح مثل أن يكون مقدارها دولاراً واحداً، ولكنها يجتمع منها كثير يفيد في سداد نفقات المسجد المتكررة من الكهرباء والماء ونحوهما، وأقرب مثال على ذلك جامع خسروبيك في سراييفو في البوسنة والهرسك شاهدتهم يتقاضون مثل هذا الرسم.

وهناك مساجد متميزة على مستوى العالم، ومنها مسجد المركز الإسلامي في برازيليا: عاصمة البرازيل، حيث بادرت بلدية المدينة بإصلاح رصيف المركز، ونصب لوحة واسعة فيها ملخص لتاريخ المسجد والتعريف به، ثم جعلت زيارته جزءاً من زيارات السياح للأماكن المهمة في المدينة.

ومما أثلج صدري أنني رأيت في مسجد الفاتح درساً في تلاوة القرآن الكريم، وهو على هيئة شيخ أمامه صف في المكان الذي كنت صليت الفجر فيه قبل ٣٦ سنة، ومعهم المصاحف يجودون تلاوة القرآن الكريم على هذا الشيخ في هذا المسجد التاريخي المهم المنسوب إلى السلطان العظيم محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية وهي (اسطنبول).

ثم واصلنا سيرنا في شوارع برشتنا فمررنا بجامعة حكومية تجاوزناها إلى المرور بمدرسة للجيش، ومستشفيات حكومية.

حي شاذوا قيستا:

غادرنا قلب المدينة خارجين عنه فوصلنا إلى حي اسمه (شاذواقيستا) ذكروا أن المسلمين الكوسوفيين يؤلفون النصف من سكانه، والنصف الآخر الصرب، وكان كله للصرب في القديم، أي قبل خروج الصرب من بعض المواضع في كوسوفا.

ذكروا أن المسلمين الكوسوفيين اشتروا أكثر المنازل التي يقيمون فيها في هذا الحي من الصرب شراءً قانونياً.

كما ذكروا أن الصرب الآن لا يعتدون على المسلمين لأنهم لا سلطان لهم، ولأن المسلمين فيهم شبان يردون العدوان إذا وقع على المسلمين، وسلطة حلف شمال الأطلسي تكف الطرفين فلا يؤذي أحدهما الآخر.

وقد أخبرنا الإخوة أن الصرب في القرى والمدن الخارجية عن برشتنا لا يجرؤن الآن على الذهاب إلى برشتنا يخشون من انتقام المسلمين منهم مما فعلوه في أهلها في الماضي، إلا ما كان من ذلك نادراً.

ولا يوجد في هذا الحي مسجد، لأنه كان خالصاً للصرب، وذكر المفتي والإخوة المرافقون أن الكوسوفيين اشتروا كثيراً من الأراضي في ريف هذا الحي أيضاً اشتروه من الصرب.

وتقع هذه المنطقة إلى الجنوب من العاصمة برشتنا.

ثم صرنا في سهل خصب على هيئة ريف أخضر فيه مزارع واسعة للقمح لا يرى المرء لها حداً على مدى البصر.

وعلى الطريق مؤسسات ناشئة مثل مصنع حديث ودكان لبيع الفاكهة.

وعلى يسار الطريق حقول قمح واسعة صارت حقول القمح بعد ذلك في جانبي الطريق مد البصر.

قرية لتيان:

مررنا بقرية في هذا الريف اسمها (لتيان) فيها مسجد بني في العام الماضي عندما كثر سكنى المسلمين فيها.

وذلك أن تلك القرية كانت في القديم للصرب وسكانها كلهم صرب، أما في الوقت الحاضر فإن الكوسوفيين يؤلفون ٩٥٪ من سكانها، ويؤلف الصرب ٥٪ من كبار السن ومن الذين لهم بيوت ولا سابقة لهم معروفة في أذى المسلمين.

ويبلغ عدد سكان قرية (لتيان) هذه عشرين ألفاً.

وقرية دافيدوفيتش:

صار الطريق يشق بعد قرية (لتيان) ريفاً خالصاً مررنا فيه بقرية اسمها (دافيدوفيتش) فيها مسجد صغير.



قرية دافيدو فتيش في ريف بريشتنا

وهي كبيرة إلى درجة أن تسمى بلدة صغيرة لا قرية، ولكن التسمية هنا من القرية إلى البلدة وحتى المدينة تختلف من بلد إلى آخر فمثلاً في الهند والصين لا يعدون البلدة التي لا يزيد سكانها على مائة ألف نسمة مدينة فضلاً عن أن يسموها بلدة، وإنما يسمونها قرية، وذلك لكثرة السكان، وبالتالي كثرة المدن الصغيرة والقرى الكبيرة.

أما في البلدان القليلة السكان فإنهم قد يعدون التجمع السكاني الذي لا يزيد على خمسمائة نسمة قرية، وهذا واضح.

وبلدة (دافيدوفيتش) هذه يبلغ عدد سكانها ٨٥٠٠ نسمة.

مررنا بسوقها فوجدناه حافلاً بالباعة والمشترين، ربما كان ذلك لبعدها عن العاصمة برشتينا بعداً نسبياً، وقد اشتروا لنا شيئاً من بقالة فيه.

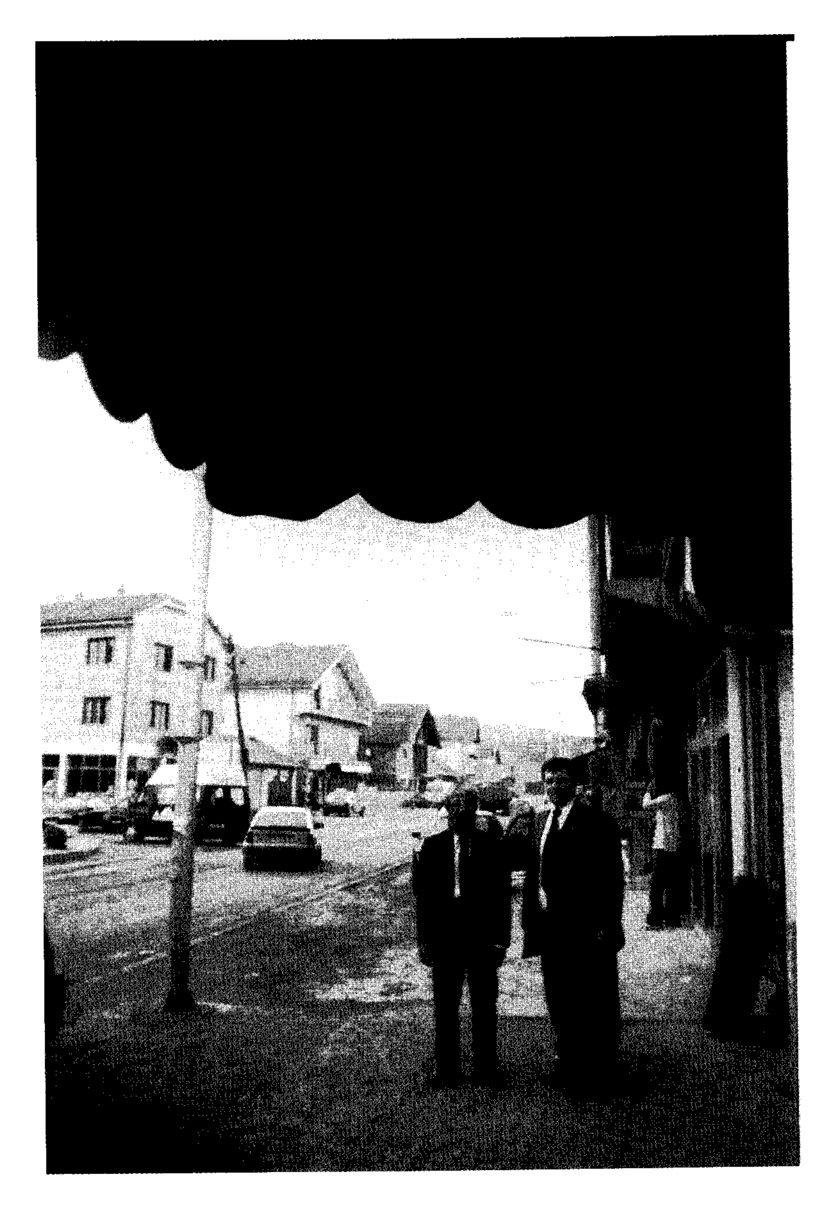
ولا تبعد عن حدود جمهورية ألبانيا مع كوسوفا إلاَّ بخمسين كيلومتراً.

وقرية شينيا:

ومررنا بقرية اسمها (شينيا) وهي ألبانية بمعنى أن أهلها من الكوسوفيين لأن معظم سكان كوسوفا هم من الألبان كما هو معروف، بمعنى أنهم من الجنس الألباني وليسوا من حملة جنسية جمهورية ألبانيا، ولكن توجد أقليات كبيرة من الألبان في عدة بلدان مثل مقدونيا والجبل الأسود.

وقد بنوا في قرية شينيا مسجداً في العام الماضي، وذكروا أنه منذ القديم لم يكن فيها أحد من الصرب.

هذا والطريق جيد، ورأيت منه مسجداً قديماً ذكروا أنه بني في عهد الأتراك، في كوسوفا، ثم رأيت مسجداً آخر على هذا الطريق.



مع المفتي في قرية برشينيا

الاهتمام بالمساجد:

قد يستغرب القارئ الكريم اهتمامي بالمساجد في هذا الإقليم الـذي أصبح أكثرية أهله مسلمة فيقول إن وجود المساجد فيه أمر طبيعي.

وأجيبه أن ذلك صحيح لو كان تاريخه تاريخ الأكثريات المسلمة في العالم، ولكن كان كوسوفا إلى عهد قريب جزاءاً من أقلية مسلمة تسيطر عليها أكثرية غير مسلمة، هي الأكثرية الصربية، ولذلك كان للمساجد فيها أهمية عظيمة مضافة إلى أهميتها العظيمة دوراً للعبادة في بلاد الأكثرية المسلمة.

أما بالنسبة للمسجد في بلاد الأقليات المسلمة، فإنه مكان العبادة، ومحل التقاء المسلمين والتعارف فيما بينهم، وهو مرجع للمسلمين في مسائل مهمة كثيرة مثل تجهيز الجنائز، وعقد عقود الزواج الشرعي، وقسمة التركات قسمة شرعية، إذا تراضى الطرفان أو الأطراف المعنية بذلك.

وإمام المسجد هو الداعي إلى الله، وهو الذي يرشد الكبار ويعلم الصغار شعائر دينهم، لذلك لا عجب أن زاد اهتمامنا في هذه البلاد الكوسوفية التي كانت قد فرضت فيها الشيوعية في عهد تيتو ومن بعده، ثم تفرد الصرب بأهلها فأذاقوهم العذاب المبين من تعصبهم ضد المسلمين الذي كانوا اختزنوه في قرون متطاولة.

ونعود إلى الحديث عن المشاهدات فنقول: إننا علونا مرتفعاً من الأرض ذكروا أن أسفل منه مزارع للعنب، ولاشك في أنه ليس شديد البرودة، لأن لتحمل أشجار العنب للبرد القارس حداً معيناً.

قرية سارا ليفا:

وصل بنا الطريق إلى قرية اسمها (ساراليفا) من أظهر الأبنية وأبرزها فيها مسجدها ذو المئذنة ذات اللون الأحمر والقبة المطلية باللون الفضي.

وتشتهر هذه القرية ومنطقتها بخصوبتها الزراعية.

والمناظر حولنا الآن جميلة بل غاية في الجمال، فقال أحدهم معلقاً على ذلك: إنها كسويسرا، فقلت له: لماذا لا يكون الأمر كذلك وهي دولة أوروبية ولكنها مسلمة، وإذا استقلت كوسوفو فإنها ستكون الدولة الأوروبية الثالثة المسلمة في أوروبا، وقبلها كانت ألبانيا وبعدها (البوسنة والهرسك) وإن لم يكن كل السكان في جمهورية البوسنة والهرسك من المسلمين فإن المسلمين هم أكبر طوائف السكان فيها ولاحظت أن السيارات هنا كثيرة فهي أكثر مما هي عليه في صربيا التي هي أكبر من كوسوفا أضعافاً.

وهي أقوى اقتصاداً منها لولا ما جرته الشيوعية والاشتراكية عليها من نكبات.

والطريق يتألف من طيات غير حادة وهي ترتفع في هذا المكان المرتفع.

ومن أهم ما يزين وجه الأرض هنا أعشاب الربيع البرية البريئة بألوانها الصفر الزاهية (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) وكلها مما أنبتته الأرض بعد المطر، بل الأمطار المتتابعة.

والحوانيت وهي الدكاكين على هذا الطريق قليلة وأغلبها (دكاكين) الفاكهة.

هذا وقد استمر الطريق الجيد يمتد بين جبال غير عالية، وقد عجبت من خضرة هذه الجبال مع كونها غير عالية.

ولم يطل بي التفكير في ذلك حتى وصل الطريق إلى جبال أقصر منها قامات، ثم تنحت الجبال عن الطريق، فصار وجه الأرض بساطاً أصفر من كثرة الزهور الصفر التي غلبت على خضرة الأعشاب الطبيعية، وهذا هو الربيع عندهم.

ثم أسهلت السيارة مع الطريق الذي يخترق سهلاً واسعاً فيه قرى عديدة فيها أكثر من مسجد عالي المنار، ظاهر الشعار، ويرى مسجد القرية من بعد قبل أن ترى القرية نفسها.

ولما أبديت لهم استغرابي من كثرة السيارات على الطريق القادمة التي تقابلنا قالوا لي: إن هذا الطريق هو الذي يمتد إلى جمهورية ألبانيا، وربما كانت السيارات قادمة من ألبانيا.

قرية دوهل:

هذه قرية زراعية خصبة أكثر ما فيها ظهوراً مسجدها الذي بنوه على ثلة مرتفعة نسبياً عن بقية أرض القرية.

ولم أعرف معنى اسمها (دوهل).

وبعدها استمرت الأرض الريفية الخضراء ما بين غابات وزهور برية طبيعية وأعشاب خضر كثيفة، كما كثرت السيارات في الطريق حتى صار من الصعب عليها أن تسير سيراً طبيعياً، بل تتمهل في سيرها لكثرتها في الطريق وتزاحمها، ولشيء آخر هو ضيق الطريق نسبياً، فهو لا يتسع إلاَّ لسيارتين متقابلتين، ويفصل بين مسارهما خط من الطلاء.

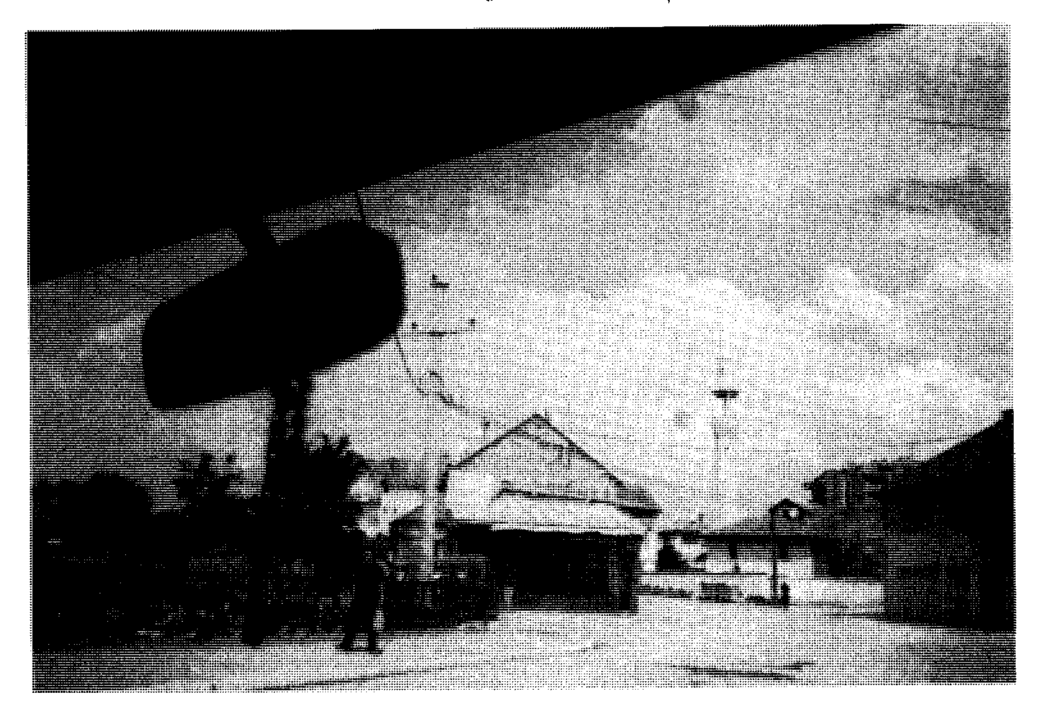
ثم انحدرنا إلى سهل فسيح فيه أشجار كثيفة من أشجار العنب، مما ذكرني بالعنب في جمهورية ألبانيا المجاورة.

بلدة سوهاريكا:

وصلنا إلى بلدة اسمها (سوهاريكا) وهي منخفضة الموقع، لذلك كثرت فيها أشجار العنب، وانخفاضها هو بالنسبة إلى التلال المحيطة بها، وبالنسبة إلى قربها النسبي من البحر.

وقد اتضح لي من ذلك طيب أرض هذا الإقليم، إقليم كوسوفا وسعتها فهو أوسع من دولة لبنان، وهو أكثر عشرة أضعاف من مساحة دولة (البحرين) أو دولة الكويت كما سبق.

ومنازل البلدة من الآجر الأحمر الذي هو الفخار، وتشمل حمرة الآجر حيطان المنازل وسقوفها وشارعها العام هو الطريق الذي كنا ولا نزال نسير معه.



قرية سوهاريكا

وهذه طريقة تجاوزها الزمن في كثير من الدول الغنية والمتقدمة في الإدارة، وهي أن يكون الشارع العام للبلدة أو القرية امتداد الطريق العام الذي تسير عليه السيارات العابرة، فذلك فيه خطر على الذين يقطعون الطريق من الأهالي، وفيه إعاقة للسيارات العابرة التي لا تريد أن تتمهل أو لا يستطيع أهلها أن يقفوا بعض الوقت في ملاحظة المرور بشارع مزدحم بالسيارات والأناسي، لاسيما بعد أن كانوا تعودوا في الطريق البعيد من المدينة أو القرية على السرعة.

ومسجد البلدة واقع على الشارع العام، وهو ذو منارة شامخة بجانبها قباب صغيرة، وقبة أكبر رئيسية، والقباب: فضية اللون.

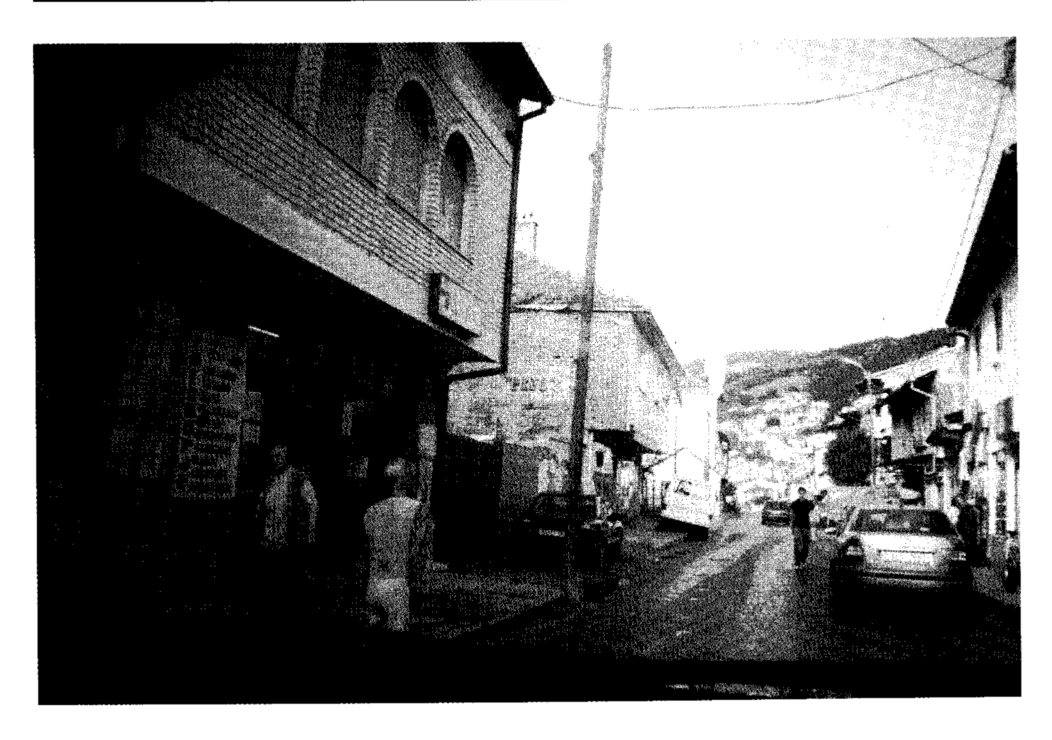
ولم يكن في هذه البلدة جماعة من الصرب في الماضي، ولذا هي خالية منهم في الوقت الحاضر، بل هي مسلمة خالصة للمسلمين كانت ولا تزال.

ولم نتلبث في بلدة (سوهاريكا) وإنما واصلنا سيرنا فصعد الطريق بعدها مع غابات على أطرافها كروم العنب على مدى البصر.

حتى وصلنا إلى:

قرية لوتوقلاف:

وهي قرية صغيرة جميع سكانها مسلمون، ولا يزال الطريق يخترق ريفاً أخضر تتناثر فيه على البعد منازل حمر السقوف، وظهر بعدها في لحف تلة ظاهرة مسجد أبيض الطلاءِ، ونحن في سيارة ذات ثلاث مراتب، وهي سيارة الإدارة الدينية ومعنا الإخوة المشايخ الكوسوفيون يخبروننا بما نود معرفته مما نمر به، وبما وراء ذلك من أخبار هذه البلاد الشيقة.



قرية قرب مدينة بريزرن بيوتها متعلقة بالجبل الأخضر

مدينة بريزرن:

وصلنا مدينة (بريزرن) وسلكنا شارعها الرئيسي الذي هو الطريق العام الذي نسلكه، ويستمر بعدها.

وهي بلدة مسلمة لا ينوه بوجود مسجد فيها، لأن فيها وفي ضواحيها ٢٧ مسجداً ولا يوجد بين سكانها أحد من الصرب.

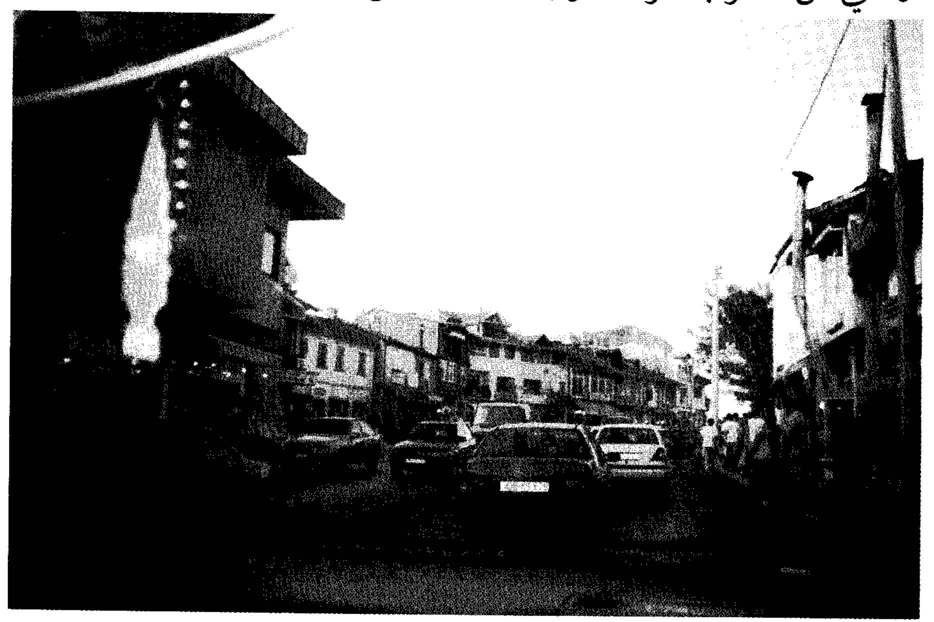
وقد ازدوج الطريق داخلها أي صار مزدوجاً جانب منه للسيارات الذاهبة وجانب آخر للسيارات المقابلة، وكان قبل ذلك واحداً للاتجاهين.

وعد سكانها ١٣٠ ألفاً، والشارع العام وهو الطريق العام مزدوجاً عليه الأبنية العالية متعددة الطوابق.

والنظافة فيها ظاهرة على كل ما فيها حتى الأناسي تبدو الأناقة والنظافة على ملابسهم وسائر مظاهرهم.

وقد عدلنا من شارعها العام إلى شوارع داخلية فيها، ضيقة مبلطة الأرض عليها متاجر صغيرة والمباني فيها حتى المتعددة الطبقات هي من الآجر الأحمر وأكثرها في داخل المدينة من طابقين أو ثلاثة.

ولاحظت فيها حركة بناء وتوسعاً عمرانياً مثلها في ذلك مثل سائر إقليم كوسوفا أو أكثر نواحيه، فحركة البناء فيه نشطة، رغم الظروف السياسية، ولكن السكان الكوسوفيين تملأهم الثقة بمستقبل بلادهم، وإخوانهم من المهاجرين في أوروبا، وأمريكا وهم كثر، يشجعون ذلك بأموالهم التي يشترون بها العقارات والأراضي من الصرب شراء قانونياً صحيحاً ليس فيه غبن ولا ضغط.



شارع مزدحم في مدينة بريزرن

ومما يلاحظه السائح الذي يصل إلى أي بلد ليس فيه حجاب للمرأة حالة النساء فهن هنا سافرات الوجوه، ولكن الاحتشام لديهن بالنسبة إلى نساءِ أوروبا هو السائد، وأما حظ اللآتي نراهن في الشوارع والطرقات من الجمال فإن البياض الناصع والشقرة في روس أكثرهن هي السائدة، ولكنهن أقل حظاً من الجمال في عين السائح العربي الذي رأى نساء البوشناق.

واصلنا السير بالسيارة مع أزقة ضيقة حسنة المظهر من مدينة (بريزرن) وبدا لنا كأنما قيادة السيارة في مثل هذه الشوارع امتحان لمهارة سائقها.

فالشوارع كانت خططت أو بنيت من عهد الحكم التركي، ولا تمكن توسعتها إلاَّ بهدم بعض البيوت والمتاجر وتعويض أربابها عن ذلك مالاً جزيلاً لا تقوى عليه خزانة هذه المدينة.

ولاحظت أن بعض بيوتها القديمة مبني بالطين ولكن أسافلها بالحجارة أو الآجر ومطلية بطلاء أبيض يجعلها تبدو كما لو كانت بالأسمنت المسلح، وهذا طابع واضح في بعض البيوت القديمة.

مقر الوقف الإسلامي:

وقفت بنا السيارة وسيارة أخرى تتبعها أمام مبنى الوقف الإسلامي أي المبنى الذي يضم إدارة الوقف الإسلامي هنا.

استقبلنا فيه الأخ (علي فيصل وزاي) رئيس الوقف الإسلامي في المدينة ومعه خمسة آخرون من العاملين فيه،وفي الحقل الإسلامي، وصاروا يسلمون ويحتفون، وبخاصة على رئيسهم رئيس المشيخة الإسلامية في كوسوفا الشيخ نعيم ترفافا، الذي يرافقنا.

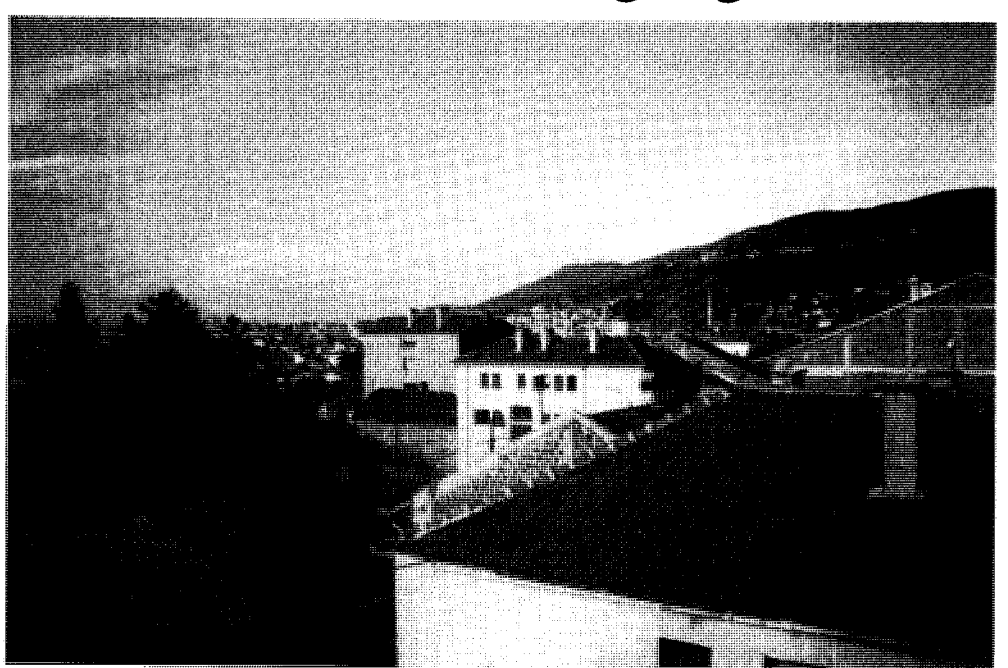
ورأيت الطابق الأسفل من مبنى الوقف الذي تقع إدارة الوقف في الطابق الثاني منه مقر المكتبة الإسلامية.

وعند الباب الخارجي للمبنى أمرونا بخلع أحذيتنا وأعطونا بديلة عنها أحذية خفيفة نظيفة تستعمل داخل المبنى، تشبه (الشبشب) إلا أنها من الجلد.

وأخبرونا بأن كل مدينة مهمة في كوسوفا فيها إدارة للوقف الإسلامي، وقد أنشئت أولى إدارات الوقف هذا في عام ١٩٤٨م.

ويشرف الوقف الإسلامي على المساجد وعلى الأوقاف الموقوفة لها، أو على أعمال الخير المتصلة بها، كما أن مهمته ترميم المساجد وإصلاحها، والإشراف على قيام أئمة المساجد بعملهم على الوجه المطلوب في إمامة المساجد.

بعد أن جلسنا في غرفة جيدة التأثيث، نظيفة بل غاية في النظافة أحضروا لنا شراباً من عصير البرتقال، وذكروا أن البرتقال لا يوجد عندهم، ولا ينمو في بلادهم، وذلك لشدة بردها وأضافوا أن البرتقال والليمون والموز كله لا يوجد عندنا وإنما يوجد التفاح والخوخ.



مأذنة بعيدة ترى من بلدة بريزرن من مبنى مرتفع فيها

ومما يجدر ذكره أن هذه المدينة تبعد عن برشتنا ٨٤ كيلومتراً.

ثم أحضروا شراباً آخر غريب الطعم لم استسغه ذكروا أنه يعمل من دقيق الذرة اسمه (بوزا) وأكدوا على أنه لا بأس به فهو لا يتخمر، بل يحل في الماء وهو قليل.

أما الذرة فإنها تنتج عندهم بكثرة مثلما عليه الحال في شرق أوروبا، وذلك رغم عدم صبرها على البرد، لذا يبذرونها في أول وقت الدفء وما يحل البرد أو يقارب أن يحل حتى تكون قد أحصدت أي حان حصادها.



مأذنة مسجد ترى مع غيرها من المبنى المرتفع في مدينة (بريزرن)

وقد صلينا معهم في مقر الوقف هذا هم صلوا أربعاً ونحن صلينا العصر جمعاً ركعتين بعدها، وقد نزل المطر فجأة، فذكروا أن المطر في هذا الموسم يتناوب مع الشمس، إذْ يكون الجو مشمساً لا يتوقع المرء الذي لا يعرف طبيعة البلاد أي مطر فينزل المطر حتى لا يتوقع غير العارف بها أيضاً صحواً، إلا أن الجو يصحو بسرعة وتشرق الشمس، ثم يتغير الجو فجأة فيغيم وينزل المطر وهكذا.

وهذا من طيب جوهم لأن المطر الذي يعقبه شروق الشمس في الصيف مفيد جداً كما هو معروف.

مسجد مَحْمَد باشا:

قالوا: لابد من رؤية مسجد تاريخي في هذه المدينة اسمه (مسجد مَحْمَدْ باشا) وضبطوا مَحْمَد بأنها بفتح الميم الأولى بعدها حاء ساكنة فميم مفتوحة وآخره دال ساكنة.

وإن هذا المسجد بني في عام ١٥٨٥م بمعنى انتهى بناؤه في ذلك العام، وهو مبني في عهد حكم الأتراك لهذه البلاد، وجميع أبنيته ومظهره يؤكد انتماءه إلى العصر التركي، وكونه بني على أيدي معماريين أتراك.

ومع أن هذه المدينة تعتبر باردة في الشتاء فإن الحر والرطوبة يضايقان المرء فيها في الصيف، ولذلك جعل بانو هذا المسجد الكبير له نوافذ عديدة من أجل أن يتخلله الهواء الطبيعي، وذلك في وقت لم يكن التبريد الاصطناعي موجوداً كما هو معروف.

المنتزه الشاعري:

والنسبة هنا للشاعر وليس للشعر، مع أنه لا يكاد يفصل بين الشاعر وشعره فاصل.

وهذا منتزه وصلنا إليه في الرابعة عصراً قادمين من مدينة برزيرن، وذلك لتناول طعام الغداء الذي يصح أيضاً أن يقال إنه طعام العشاء.

واسم القرية التي فيها المطعم (فيرميتسا) وهي ذات شاطئين أخضرين متقابلين يفصل بينهما نهر كبير اسمه (دريني بارظ).

وموقع المطعم من القرية في غاية الجمال، وقد نثروا بعض موائده في الهواء الطلق تحت مظلات كبيرة واقية عن المطر، هذا إلى جانب القاعة الرئيسية الواسعة التي فيه وهي مسقوفة، ولكن الجلوس تحت المظلات التي غايروا بين أرضها في المستوى، فبعض أرضها أعلى من بعض، لأنها واقعة على سفح جبل غير واقف، بحيث هيئوا كل جزء مستقر منها تهيئة خاصة، فصار بعضها أعلى من بعض وبعضها أخفض من بعض.



مع المفتي عند نافورة المطعم الشاعري

وكان الهواء عليلاً بليلاً، إذْ هو غب مطر مع أن الهواء نفسه كان رطباً.

كانت المظلة التي أجلسونا تحتها كبيرة لان عددنا مع الرفقة تسعة، لذلك زادوا كراسيها بعد أن زادوها امتداداً.

والمكان في غاية الجمال فهو في سفح جبل أخضر على ضفة نهر زاخر بالمياه، وإن كان يفصل بينهما شارع هو الشارع العام للقرية، وترى من المكان ربى خضر جهة الشمال القريب والبعيد.

والنظافة والجمال في الآناسي وهندامهم هو الشائع، ولاحظت أن جميع من تقع العين عليه هم من البيض وليس فيهم سمر ولا سود.

ويقع المكان هذا وهو قرية (فيرميتسا) على ٩٥ كيلومتراً من مدينة (برشتنا) عاصمة إقليم (كوسوفاو) وعلى بعد ثلاثة كيلومترات عن حدود كوسوفا مع جمهورية ألبانيا، وقد أخبرونا أنه لا توجد حواجز في هذه المنطقة بين من يريد الدخول والخروج في القطرين الألبانيين، والمنطقة سياحية، واليوم سبت ولذا رأينا طائفة كبيرة من الطلاب والطالبات في المكان الذي توجد فيه محلات صغيرة لبيع المشروبات والمأكولات السريعة للبيع على سائر الناس.

أما المقصف الذي نحن فيه فإنه غالٍ لا يجلس فيه إلا الأثرياء أو السياح.

ومما يجدر ذكره أن هذه المنطقة كانت منذ القديم ألبانية خالصة، ولم يكن فيها صرب في القديم، ربما كان ذلك لبعدها عن حدود جمهوريتي صربيا والجبل الأسود.

وأما النهر وهو (دريني بارظ) فإنه كبير يذهب من كوسوفا إلى جمهورية ألبانيا، ولم نكن نرى أراضي ألبانيا من هذه الجهة، لأنها يحجزها من جهة الشمال جبل في كوسوفا خلفه أرضٍ ضيقة بعدها أراضي جمهورية ألبانيا.

وأما من جهة الجنوب فإن الطريق يتياسر متجهاً جهة الجنوب حيث الحدود.

كان الجو غائماً وسرعان ما التحم سحابه فسمعنا زمجرة رعده مع ريح خفيفة، ثم نزل المطر وساعدته الريح على أن يقتلع مظلتنا التي هي لمائدتنا بمثابة الخيمة، فصرنا في العراء، والعراء هو المطر مع الريح، فأسرعنا ندخل إلى القاعة المسقوفة الواسعة من المقصف، وهو مطعم كبير، وصار أهل المطعم يجمعون الموائد يلصقون بعضها ببعض حتى اتسعت لنا، وقد زاد عددنا واحداً فصرنا عشرة.

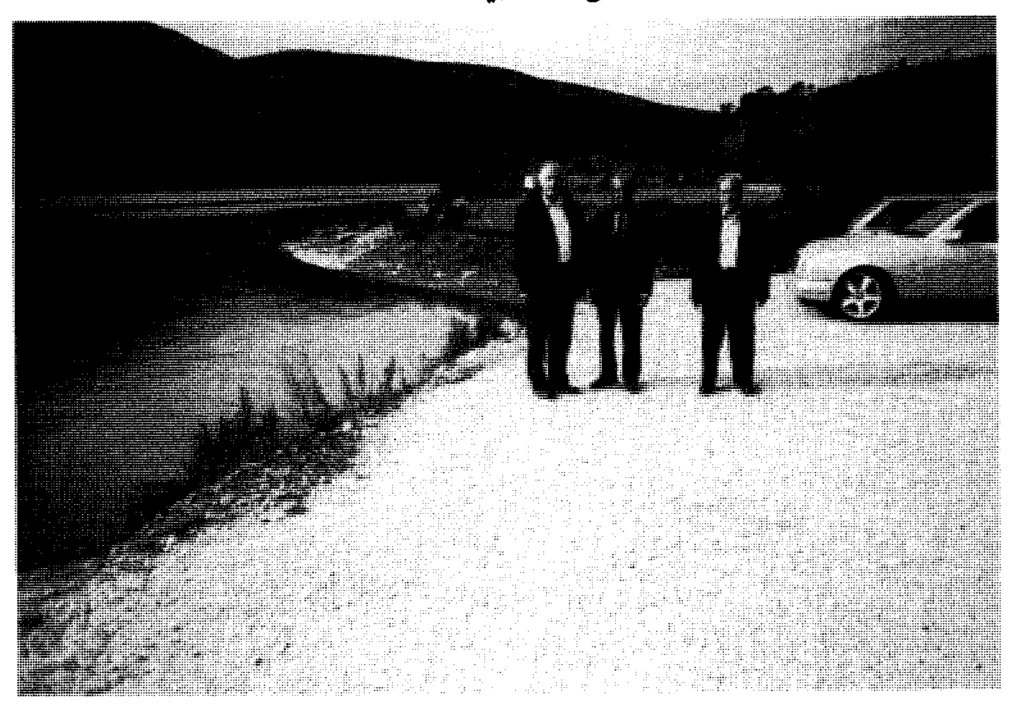


مائدة الغداء داخل المطعم الشاعري مع الإخوة المفتي والعلماء

وكانت المائدة سخية بالطعام الشهي النظيف، بدأت بماءٍ معدني فيه غاز ومعه شراب من عصير الفاكهة، وأول الصحون كان صحن مقبلات من ثلاثة أنواع من الجبن ومن الخضرات المخللة، ثم جاءوا بالسلطة المفعمة بالخل.

وبعد ذلك حساء وهي الشربة، وهو أنواع يخيرون الحاضرين بما شاءوا منها، وقد اخترت حساء السمك، فجاءوا به فاخراً لذيذ الطعم يكفي لثلاثة أو

أربعة مثلي، كما كان الطبق الرئيسي من اللحم كثيراً إلى درجة أنني أكلت حتى شبعت منه وكفاني من ذلك ربعه، وكان مع اللحم قليل من الخضرات والبطاطس المسلوقة، لأن الصحن كان كبيراً.



على ضفة نهر (دريني بارظ) مع الإخوة الدكتور رسول ورحمة الله

وبعد ذلك فاكهة منوعة وحلوى ثم القهوة.

وبعد هذه الوجبة الدسمة الفاخرة وبعد الراحة التي كنا بحاجة إليها وسط جو مفعم بالجمال في كل ما تقع عليه العين، أخذنا في التمشي حول النهر ثم سرنا قليلاً إلى حدود ألبانيا، ولم نتلبث بها، ولم نحاول ذلك، لان عملنا في كوسوفا لم ينته بعد، ولكون خط سير الرجوع إلى الوطن يمر بألبانيا كما كنا رسمناه في مكتبي في مكة المكرمة، وإنْ كان ذلك لم يتم كما سيأتي في آخر الرحلة في كوسوفا.

ولاحظت أن بعض الناس يأتون بالحافلات فينزلون في هذا المكان الجميل وفيهم نساء بعضهن متبرجات، والجميع جاء للنزهة والتفرج.

قرية شور:

غادرنا منطقة الحدود الألبانية عائدين إلى مدينة (بريزرن) ولكننا لم نقف فيها فقد اطلعنا عليها من قبل، وقد صار الجبل الأخضر على أيماننا الآن ونحن متجهون شمالاً ومررنا بحديقة، قلت لهم: ماذا لو أكثرتم من الحدائق في بلادكم وأنتم لا تخسرون عليها شيئاً، إذْ تشرب من ضرع السماء كما قال احد الأدباء الظرفاء في أمثالها.

وكانت مغادرة منطقة الحدود في الخامسة والنصف عصراً، ومررنا بقرية اسمها (شور) على اسم نوع من الزهور عندهم، ومسجدها ظاهر على البعد، بحيث يبدو كما لو كان فضيَّ اللون.

ثم وقفنا في مدينة (بريزرنّ) على مبنى لا يزالون يبنون فيه،ولم يكملوه ذكروا أنه سيكون لفرع مدرسة علاء الدين في برشتنا التي سبق ذكرها.

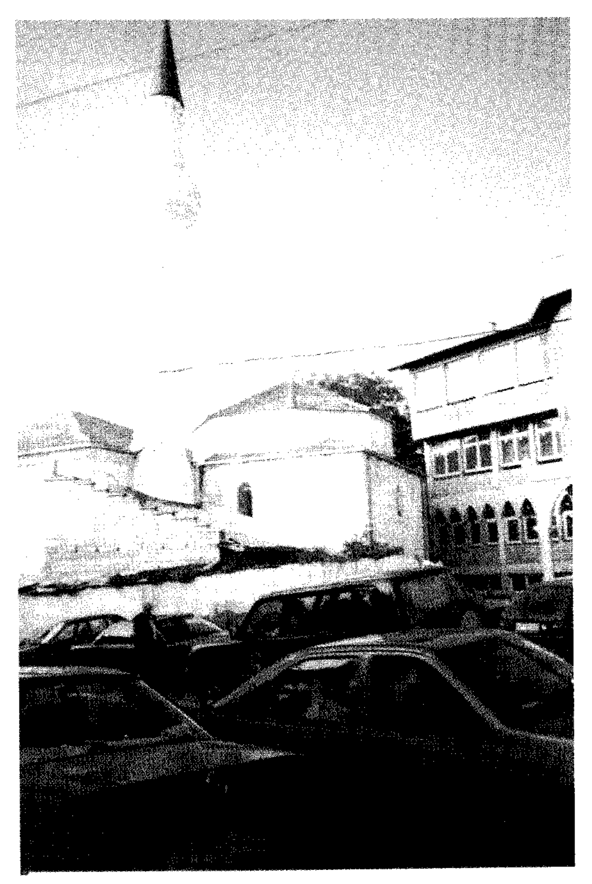
وقد تأملنا المبنى فوجدناه عظيماً واسعاً قوياً لم يبالوا بعظم النفقة عليه، وقد أتموا من مبناه ثلاث طبقات، ولكنه فيما يسمى بالعظم أي صب منه البناء بالمسلح ولم يكمل، ذكروا أنهم عجزوا عن إكماله، وأنه يلزم لهم لإكمال بنائه ١٣٠ ألف يورو.

يقع المبنى في مكان مرتفع من البلدة، ولذلك ينظر الواقف في الطابق الأعلى من هذا المبنى إلى مسافات بعيدة.

والذي أعجبني في هذا المنظر أنني رأيت ست مآذن لستة مساجد في أماكن متعددة منه.

وقال الإخوة المرافقون: لا عجب في ذلك، لأن هذه المنطقة كانت منطقة خالصة للمسلمين الكوسوفيين منذ القديم.

وهذه المآذن رأيتها في اتجاه واحد من المبنى لأنه الذي فيه النافذة، وربما يوجد غيرها أيضاً في الاتجاهات الأخرى.



مسجد في جنوب كوسوفا

ولكنني وجدت بعد ذلك أن المرء أينما قَلَّب نظره في اتجاه من الاتجاهات رأى منارة مسجد شامخة، لأن القرى عديدة في المنطقة، وكلها فيها مساجد.

ومن الطريف في مبنى هذه المدرسة أن مداخله مزدوجة، وكذلك درجها والمراد بازدواجها أنها مؤلفة من اثنين مكرر واحد، فالأبواب تكون اثنان أحدهما للبنات والثاني للأبناء، والدرج الذي يصعد إلى الطوابق يكون درجين مفصولين بينهما بجدار قوي ملتحم بالسقوف يكون أحد الدرج للبنات والثاني للأبناء.

وكل ذلك من شدة الحرص على التربية الإسلامية النقية لطلبة هذه المدرسة وطالباتها، وحتى الباب الرئيسي جعلوه بابين أحدهما لاستعمال الطلاب والثاني لاستعمال الطالبات.

منارة بدون مسجد:

من الأشياء اللافتة للنظر أننا بعد أن سرنا قليلاً مررنا بقرية ذات منارة رائعة، بل شامخة، فسألت المرافقين عن اسم هذا المسجد الذي منارته ظاهرة، فأجابوا إنه لا يوجد الآن مسجد ولا يوجد إلاَّ هذه المنارة، ذكروا أن الصرب المتعصبين هدموا المسجد قبل ٥٠ عاماً، وبقيت منارته تشكو الوحدة.

ولكن المنطقة فيها منارات عديدة شامخة كما قلت.

بل إنني لم استطع حتى أن أصور كل المآذن المتميزة من منارات المساجد، ولذلك لكثرتها.

وفسر الإخوة كثرة المآذن والمنارات هنا بأن الناس إذا لم يكن المسجد له منارة لم يعتبروه مسجداً.

وهذا لا يمكن إقراره من الناحية الشرعية لأن وجود المنارات محدث في الإسلام وكان المؤذن في صدر الإسلام يصعد إلى أعلى بيت قريب من المسجد فيؤذن فيه.

وأما من ناحية أخرى فإن الأمر يمكن تعليله بما علله لنا بعض الإخوة المسلمين في بلاد الأقليات المسلمة الذين لابد من أن تكون للمساجد عندهم منارات وقباب مميزة.

وأذكر من ذلك أنني عندما كنت في مدينة (سانتاكروز دي سيبرا) البوليفية رأيت على البعد منارة المسجد وقبته، فعرفت أنه المسجد مع أنه لا يوجد في تلك المدينة مسجد آخر.



في كوسوفا تختفي المساجد تحت الأشجار الباسقة

ولما سألت الشيخ (عمرو أبو شرار) الداعية إلى الله هناك وإمام المسجد عن هذا المظهر الكبير للمسجد الذي رأيته غير واسع، ولا يحتمل كل هذا المظهر، أجاب بقوله: إننا لو بنينا مسجداً كبيراً واسعاً بدون منارة لم يعرف الناس أنه مسجد، أما إذا بنينا المسجد ليس واسعاً ولكن منارته عالية وقبته متميزة عن غيرها عرف الناس به، ورأوه من مسافات بعيدة فقصدوه للعبادة، إذا كانوا مسلمين، أو للاستفسار عن الإسلام والحصول على المعلومات التي يريدونها حوله.

وقد ذكرت قصة ذلك المسجد في كتاب: (رؤية جديدة للجانب الأبعد من أمريكا الجنوبية).

وقد صرت بعد ذلك أنصح المسلمين في بلاد الأقليات بأن تكون لمساجدهم مظاهر المساجد المميزة من المنارة والقبة لما ذكرته من المصلحة.

وأحفظ شواهد لأناس هداهم الله إلى الإسلام بسبب رؤيتهم للمسجد، ثم الدخول إليه، وسماع ما يقوله أهله المسلمون عن الدين الإسلامي.

ولو لم يكن في ذلك إلا إظهار وجود المسلمين في البلاد عن طريق رفع شعار المساجد فيها لكان ذلك مبرراً كافياً.

مع تأكيدنا هنا على أن وجود المنارة ليس شرطاً للمسجد، وليست المنارة لازمة له لكي يكون مسجداً، وهذا ظاهر لطلبة العلم.

العودة إلى برشتنا:

غادرنا منطقة بلدة (بريزرنّ) في السادسة والثلث قاصدين برشيتنا فسرنا سيراً قاصداً دون توقف يحتاج كما ذكروه إلى ساعة ونصف من السير.



الطريق الأخضر في جنوب كوسوفا

وقد أقبلنا على (برشتنا) قبل الغروب بربع ساعة.

ولما وصلنا إلى فندقنا (فندق قراند هوتيل) وجدنا فيه طوائف من الناس في مداخله وفي صالة الاستقبال الواسعة التي فيها كانت الإدارة، وقد بدأ ذلك كما لو كانت في الفندق حفلة مثل حفلة أمس، لاسيما أنه كاتب توجد أيضاً أعداد من النساء المتبرجات، ولكنني لم أرهن ينظرن إلى الناس، وكأنما بدأ أنهن لا يبالين بهم، والله أعلم.

يوم الأحد:

شمال كوسوفا:

كانت جولتنا بالأمس في جنوب إقليم كوسوفا، وستكون اليوم في شماله وشرقه، والمراد بذلك ما كان إلى الشمال من عاصمته برشتنا.

وكان دليل الجولة بل خِرِّيتها اليوم الأخ الدكتور رجب رسول مستشار المشيخة الإسلامة، ويتكلم العربية كأهلها، كان تعلمها في ليبيا أول الأمر.

بدأت الجولة في التاسعة من صباح هذا اليوم، إذْ مر بنا الدكتور رجب رسول في الفندق الذي نسكن فيه، وهو فندق (قراند هوتيل).

معركة كوسوفا:

وتسمى معركة وادي كوسوفا.

وهي المعركة الفاصلة في وقتها بين الترك العثمانيين وبين الصرب.

ذكرى معركة كوسوفا في ٢٨ يونيه ١٣٨٩م:

لقد دعا سلوبودان ميلوسيفيتش الزعيم الصربي في خطابه لجموع الصرب المتظاهرين في بلغراد بتاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٨٨م، لاستعادة ذكرى معركة سهل كوسوفا - Kosovsko poije - التي وقعت قبل ستمائة عام في يوم ٢٨ يونيه ١٣٨٩م، قائلاً: على كل صربي أن لا ينسى المجزرة التاريخية التي انزلها بنا أبناء الأتراك المسلمين عام ١٣٨٩م، هنا على أرض كوسوفا بالذات، علينا أن نحشد جميع قوانا لنثأر لأجدادنا من أعداء تاريخنا، علينا أن نطرد المسلمين من أرضنا، وأن نلحق بهم العار الذي ألحقوه بنا، ولنذكر دائماً أن معركة كوسوفا ١٣٨٩م، كانت بمثابة نهاية مملكة الصرب القديمة على يد المسلمين، فلنعمل معاً إذن لتحرير كوسوفا ولإعادة إحياء أمجاد صربيا العظيمة لكي نتمكن في العام القادم

من الاحتفال بعيد محو العار التاريخي العالق بنا منذ ستمائة عام.

ومما لا شك فيه أن غزو العثمانيين شمل شرق أوروبا وتعرضت له شعوب المنطقة كلها، وكما حارب الصربيون جنود العثمانيين لم يتردد الألبان في محاربتهم، بل كانت معارك الألبان ضارية وشرسة، ولكن الله تعالى شرح صدر الألبان للإسلام ولم يكن تحول الألبان إلى شعب مسلم بقوة السلاح في معركة كوسوفا ١٣٨٩م- ولكن كان تدريجياً حسب اقتناعهم الشخصي بعدالة الإسلام، فما هي قصة هذه المعركة التي يتحمل نتائجها الألبانيون المسلمون وحدهم بعد ستمائة عام؟؟

يقع إقليم كوسوفا الذي استوطنه الدردانيون في القرن الثالث قبل الميلاد الذين ينتسبون إليالقبائل الأليرية التي تعتبر الأصل الذي انحدر منه الألبانيون في قلب شبه جزيرة البلقان، ثم احتله الملك دوشان (١٣٣١- ١٣٥٥م) وضمه إلى مملكة صربيا وأعلن نفسه (امبراطور الصربيين والبلغاريين واليونانيين والألبانيين) في عام ١٣٤٦م، كما ارتقت الكنيسة الصربية إلى بطريركية لتناسب مقام امبراطورية الصرب الجديدة، ولكن هذه الامبراطورية الصربية سرعان ما انقسمت بعد موت دوشان إلى ثلاث دول يرأسها كل من:

١- أوروش بن دوشان في شمال صربيا.

٢- جورج برانكوفيتش ممثل أسرة فيمانيا بجزء من مقدونيا وجزء من كوسوفا.

٣- بالشاي بالجزء الباقي من كوسوفا وألبانيا الشمالية والجبل الأسود.

هذه الانقسامات وصراع دول البلقان سهل تقدم الجيش العثماني في شبه جزيرة البلقان، غير أن هذا التغلغل السريع أثار مخاوف الملوك ورؤساء القبائل

فتجمعت جيوش بلغارية وبسنوية وألبانية، وفلاخية تحت قيادة لازارهر بلانوفيتش الملك الجديد لصربيا، وفاق تعداد ما تجمع له من الجنود مائتي ألف مقاتل واستعد بهم لملاقاة المسلمين في سهل كوسوفا.

وكان السلطان مراد مع ولديه بايزيد بيلدرم ويعقوب شلبي قد تمركز مع جنده في مدينة بلوفديف في بلغاريا وسار منها نحو مكان المعركة، ولما شاهد السلطان مراد كثرة جنود الأعداء ابتهل إلى الله عز وجل واستشار قواده- لوضع خطة لدحرهم، فاقترح أحد القواد أن تتقدم الإبل الجيوش الإسلامية لتفزع منها خيول أوروبا التي لم تر الإبل من قبل وترتبك صفوف الكفار ويدب الذعر بينهم ويعاجلهم جند المسلمين بالهجوم.

ولكن الأمير بايزيد رد عليه قائلاً: نحن نحارب لإعلاء كلمة الله عز وجل، وكان النصر حليفنا دائماً، ويجب أن لا نقوم بهذه الخدعة لأن الإبل قد تخاف وترتد على المسلمين، بل يجب أن نتوكل على الله ونهاجم بشجاعة.

وفي صباح يوم ٢٨ يونيه ١٣٨٩م نشبت المعركة بين الطرفين بالقرب من مدينة بريشتينا في سهل كوسوفا وانتهت لصالح العثمانيين بعد مقتل لازار ملك الصرب، وقد فرح المسلمون بنصر الله تعالى لهم، ولكن أحد أمراء الصرب طلب مقابلة السلطان مراد لكي يعلن إسلامه أمامه، فلما أذن له بالدخول طلب أن يقبل قدم السلطان، ولكنه ما أن اقترب منه إلا وعاجل السلطان بطعنة خنجر مسموم في بطنه على أثرها استشهد السلطان مراد في يوم الاثنين الخامس عشر من شعبان عام ٧٩١ هجرية الموافق ٩/ ٨/ ١٣٨٩م.

وتولى بايزيد بيلدريم الحكم بعد استشهاد أبيه ثم قام بتولية الأمير استيفان بن لازار حاكماً على صربيا وتزوج أخته أوليفيرا وأجازه أن يحكم بلاده حسب

قوانينهم بشرط أن يدفع جزية معينة.

في الواقع أدى انتصار المسلمين في معركة كوسوفا إلى تضاءل الدولة الصربية وتكريس الوجود العثماني الإسلامي في قلب البلقان، إذْ أن الإسلام أخذ ينتشر بين السكان عامة وخاصة بين الألبانيين والبوسنويين الذين كان الإسلام سبباً في بقائهم أمة متميزة إلى اليوم، وهو الذي حمى الألبانيين من الذوبان الكامل في بوتقة الصرب، كما أبرز البوسنويين الذين يشتركون مع الصرب في الدم واللغة والدين، أمة جديدة متميزة بالدين الإسلامي وأدى الترابط الديني الذي حدث مع مرور الزمن إلى الاستشعار بالأخوة الدينية، وكان طبيعياً أن يشعر المسلمون فيما بينهم من الألبانيين والبوسنويين والبلغاريين وغيرهم بروابط أخوية مع الأتراك العثمانيين، كما اجتمع المسيحيون من الصربيين والبلغاريين وغيرهم في الانتظار من الدول المسيحية المجاورة التدخل لخلاصهم من الحكم العثماني.

ورغم مرور مئات السنين على معركة كوسوفا لا يزال الصرب يتحدثون عن هذه الموقعة وكأنها حدثت بالأمس، وما زال استعدادهم قائماً حتى اليوم للثأر لها في أي وقت تسمح به الظروف، ويقول الصرب إن الفرصة قد حانت للاحتفال بعودة كوسوفا إلى صربيا وإن انتصار الإسلام قد ولى وإن الصرب قد استعادوا أمجادهم بالرغم من مرور ستمائة عام على هزيمتهم في معركة كوسوفا.

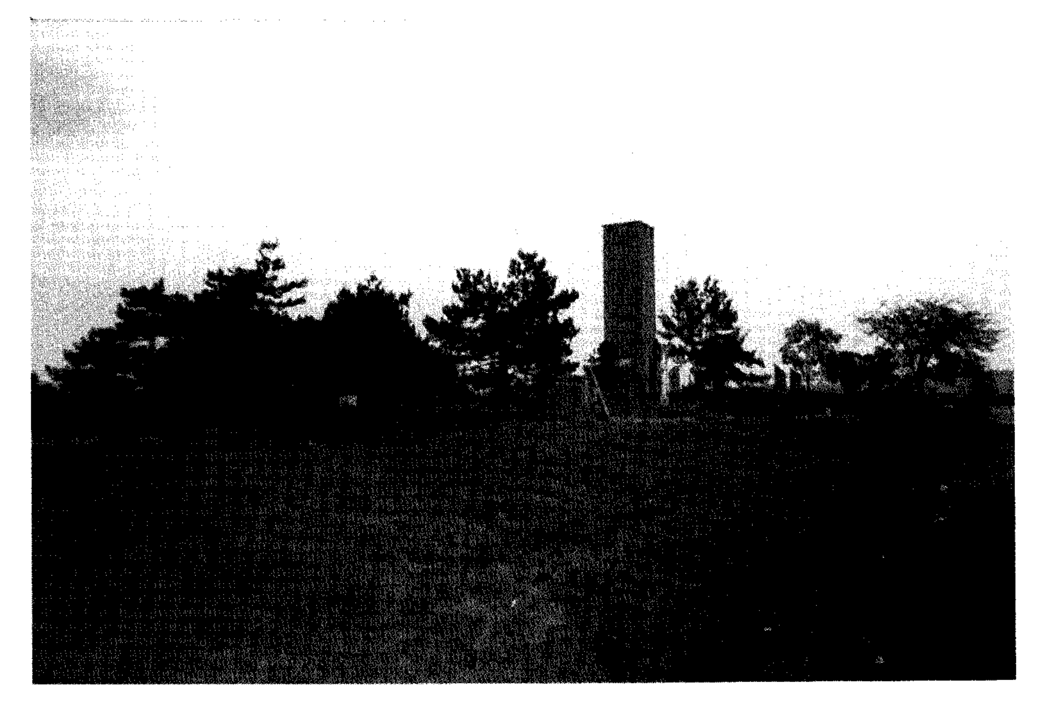
ومن المظنون أنه قد وفد ما لا يقل عن مليون صربي للمشاركة في الاحتفالات التي جرت في خارج بريشتينا يوم ٢٨ يونيه ١٩٨٩م، في الذكرى المئوية السادسة لمعركة كوسوفا التي شهدت انتصار الأتراك على قوات الصرب، وأسفرت عن انهيار دولة الصرب في القرون الوسطى، ويقول مومتشياوترا يكوفيتش الزعيم الصربي الجديد لحزب بريشتينا الشيوعي عن هذه المناسبة: إن الصربيين لا يحتفلون بالهزيمة بل يريدون

التأكيد أن باستطاعتهم البقاء على قيد الحياة رغم قرون متعاقبة من السيطرة التركية.

ومع أن الحكم الإسلامي خلال وجوده لم يتعرض للمسيحيين أو مؤسساتهم بشهادة علمائهم ورهبانهم وكتابهم وأن دخول المسيحيين للإسلام كان طوعاً واختياراً، لاقتناعهم بالدين الإسلامي فقد عاش المسيحيون جنباً إلى جنب مع المسلمين مواطنين لهم ما للمسلمين من حقوق وواجبات المواطنة، ولم يكن هناك قهر وبطش وإبادة بسبب ديانتهم كما يحدث اليوم للمسلمين.

ميدان المعركة:

يقع ميدان المعركة في سهل يبعد عن مدينة (برشتينا) العاصمة بخمسة كيلومترات فقط، إلى الشمال الشرقي منها.



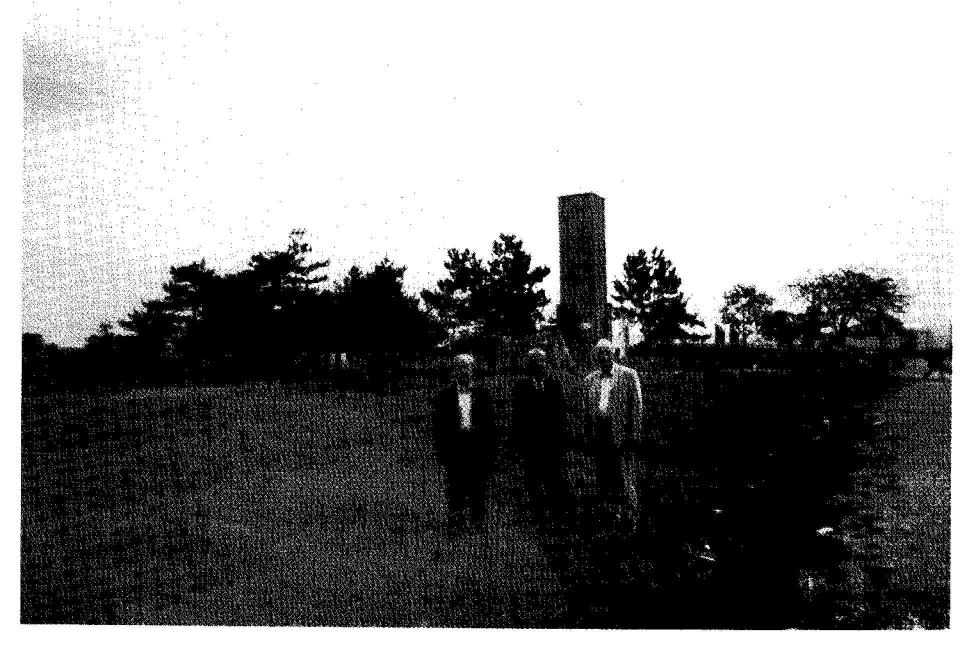
**نصب ذكرى معركة كوسوفا أو (غازي ستان)
كما يسميه الكوسوفيون**

كان أول ما وقفنا عنده نصباً يمثل هذه المعركة وتحرسه قوات الأمم المتحدة، وقد أحاطوه بالأسلاك الشائكة، وهو برج مربع، لم نستطع الدخول إليه لأن قوات الأمم المتحدة أو هي قوات حلف الأطلسي تمنع من ذلك، وذلك لما يحمله من معنى عظيم لدى الفريقين الصربي والكوسوفي.

ويسميه الكوسوفيون (غازي ستان).

قالوا: والغريب أن الصرب لا يزالون يحتفلون بهزيمتهم في هذا المكان، ولا شك في أن معنى ذلك أنهم يتذكرونها يريدون ألا تنساها أجيالهم، لأنها معركة فاصلة ترتبت عليهم أمور عظيمة على الصرب ولا تزال.

وقد بنو هذا البرج أو التذكار في مكان مرتفع نسبياً بجانب أرض المعركة التي وقعت في سهل مجاور له.



مع الأخوين الدكتور رسول والأستاذ رحمة الله بن عناية الله عند نصب ذكرى معركة كوسوفا

ضريح الدم:

استشهد السلطان مراد الأول الذي كان يقود الجيش التركي في هذه المعركة، ونقل بعد إصابته إصابة شديدة نزف جسمه على أثرها كثيراً من الدماء، وقد توفي ونقل إلى اسطنبول فدفن هناك في عام ١٣٨٩م.

ومن الغريب أنهم أقاموا على مكان إصابته وانتشار دمه مبنى أشبه ما يكون شكله بشكل المسجد وليس مسجداً، فلا يصلي فيه أحد.

وهو مبنى منفرد بجانب قرية صغيرة وجدنا حارسه عنده أختاً مسلمة مسنة اسمها (سانية نور بداري) وليست كوسوفية، بل هي بشناقية، أصلها من أوزبكستان، وتعرف اللغة التركية لذلك حدثها بها زميلي في الرحلة الأستاذ رحمة

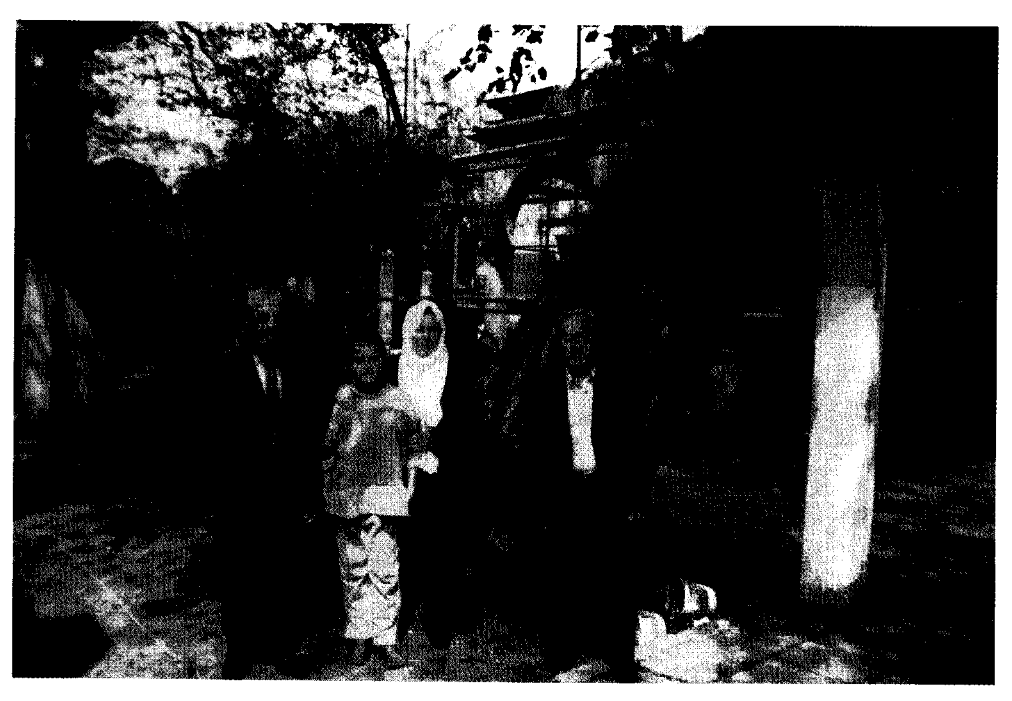
الله بن عناية الله، فتكلمت على المبنى فذكرت أن هذا المبنى قديم ولكنه خرب وأهمل فأمر السلطان محمد رشاد بترميمه فرمم في عام ١٩١١م.

وقد رأينا ونحن نتحدث إلى المرأة شيئين يسترعيان الانتباه أحدهما فتى وسيم الوجه في حدود الخامسة عشرة اسمه (كندريم بدود ريتسا) وهو مسلم من أهل القرية ولم يكن يلعب مع الصبيان الآخرين، بل كان يساعد المرأة المسنة على العناية بهذا المكان الذي يصح أن يسمى كما ذكرت في العنوان (ضريح الدم) لأنه مبنى على مكان دم السلطان مراد الأول.

والثاني: شجرة معمرة في المكان قالوا: ربما كانت شهدت تاريخ معركة كوسوفا، لأن عمرها سبعمائة سنة كما ذكروا ذلك من دون توثيق.

وعندما أمر السلطان محمد رشاد بترميم هذا المكان جعل فيه سبيل ماء للشرب والحصول على الماء النقي منه للارتواء.

وذكرت الأخت (سانية) أن والدها مدفون هنا لأنه كان مسئولاً عن العناية بهذا المكان.



مع حارسة المبنى التذكاري لوفاة السلطان مراد الأول (سانية نوربداري) والفتي الذي يساعدها ويظهر المبنى خلف الصورة

ومثلما تتكلم هذه الأخت المسنة (سانية) بالتركية تتكلم بالكوسوفية وتشرح الكلام باللغتين إذْ صارت تتكلم مع المرافقين الكوسوفيين بلغتهم فيترجمون ذلك لنا.

وقد كررت المرأة والإخوان الكوسوفيون ما ذكره المؤرخون من أن السلطان مراد الاول لم يقتل في ميدان المعركة قتلاً، كما يُقتل المتحاربون، وإنما اغتاله رجل صربي، بعد أن وقعت الهزيمة على الصرب، جاء إلى السلطان الذي ليس معه سلاح ليشرح له فيما يقول شيئاً من أحوال الصرب المنهزمين، وكان قد خبأ سكيناً في خفه أي حذائه فاستلها بسرعة وطعن السلطان بها من الخلف، إذْ لم يستطع مواجهته بالطعنة من الأمام، وإلاّ كان منعه حرس السلطان من ذلك.

فكان موت السلطان بسببه.

والصربي الذي قتله معروف الاسم، لأن الصرب الآن يبرزون اسمه ويزعمون أنه بطل مع أنه اغتال السلطان اغتيالاً وليس في ميدان المعركة، واسمه (ميلوش آربيليتش)، ورأيت المكان يرمم الآن ذكرت المرأة القائمة عليه أن مكتباً للأثار في تركيا يرممه وأنه هو الذي يدفع راتبها.

ويقع بجانب ضريح الدم مبنى كان مخصصاً للزائرين الأتراك لهذا المكان في القديم، وذلك أن شدة البرد في المنطقة تجعل وجود مبنى ينزل فيه، أو ينام من يزوره في غير فصل الصيف أمراً ضرورياً.



قرية مازغيت التي فيها ضريح الدم

قالت المرأة وقال الإخوة: إن هذا المبنى يرمم الآن ليكون متحفاً ووجدنا العمال يعملون فيه، وربما كانت كل هذه الأعمال بسبب عدم وجود سلطة للصرب عليه الآن بعد أن طردوا من كوسوفا.

ويقع ضريح الدم والمبنى الذي يعد ليكون متحفاً بجانب قرية اسمها (مازغيت) أهلها كلهم مسلمون وهي مؤلفة من ٣٩٠ بيتاً.

قرية عزيزية:

تركنا قرية (مازغيت) وما فيها من أشياء تثير الشجون وواصلنا سيرنا فمررنا بقرية اسمها (عزيزية) على لفظ النسبة إلى (عزيز) وهذه نسبة عربية كما ترى، ويمر بهذه القرية نهر صغير يتوقف جريانه في الصيف، وأرضها زراعية خصبة، ومنطقتها مشهورة بخصوبتها.

وفي القرية مسجد ظاهر.

والقرية التي ليس فيها مسجد هي قرية أخرى مررنا بها بعد قرية (عزيزية)، وذلك أنها كانت قرية صربية خالصة للصرب.

وذكر الإخوة المرافقون من الكوسوفيين أن المسلمين الألبان صاروا يسكنون فيها الآن حتى قارب أن تبلغ نسبتهم فيها ٥٠٪، ذلك أن بعض الصرب هجروها وباعوا بيوتهم وأراضيهم للمسلمين.

وقفنا فيها وقفة عجلى فالتقط أحد الإخوة لي فيها صورة تذكارية، وذكر المرافقون أن أهلها يعيشون على الزراعة فقط لخصوبتها.



المؤلف في قرية عزيزية في كوسوفا

قرى متشابهة:

كثرت القرى وتقاربت ونحن نسير على طريق أسفلتي معتاد ليس فيه من عيب إلاَّ ضيقه بالنسبة إلى ما نعرفه من حالة الطرق في بلادنا.

ويجمع بين هذه القرى أنها متفرقة المنازل، لأنها أو أكثرها لمزارعين في أراضيهم الزراعية، وبيوتها كلها مبنية بالآجر الأحمر، وهو لبن الفخار.

قرية لومي ماز:

بعض القرى يراها السائح المسلم مثلنا ذات منظر متميز، أو فيها شيء استرعى انتباهه أكثر من غيرها ومنها قرية اسمها (لومي ماز) وهي قرية مسلمة فيها مسجد قد بناه أهلها على مكان مرتفع إلى الشرق منها، وهو ذو منارة مشرفة، بل عالية وقبة قد انعكست عليها أشعة الشمس فبدت زاهية المنظر.



قرية لومي ماز بمسجدها المتميز بمنارته السامقة وقبته التي انعكست عليها أشعة الشمس

وبيوت القرية تقليدية هنا مبنية من الآجر الأحمر وذات سقوف حمر مسنمة أي سقوفها على هيئة سنام البعير، وليست مسطحة، وأكثرها من طابق واحد.

تجاوزنا هذه القرية إلى سهل خصيب فيه قرى عديدة للمسلمين لأننا كنا نرى مسجد كل قرية ظاهراً ذكر الإخوة الكوسوفيون أن أهل القرى اعتادوا على أن يبنوا المسجد في مكان مرتفع حتى يكون ظاهراً يراه كل من يمر بها من غير أهلها.

وترى في هذا السهل حقول خضر يزرع فيها البطاطس والخضرات و القمح، ورأينا فيها بقراً ضخام البطون، كبيرة الأثداء- جمع ثدي- ويدل هذا على وفرة الأعلاف وحسن الرعاية من الفلاحين.

وقد لاحظت أن السكان هنا قليل بالنسبة إلى خصوبة الأرض وسعتها ولا يكاد المرء يرى أناساً يسيرون على الطريق المزفت، خلاف ما عليه الحال في الهند، حيث تزدحم الطرق المزفتة التي عليها قرى بالمشاة وبالحيوان والدراجات الهوائية.

أما الدراجات في هذه الأرياف فإن رؤيتها نادرة، إنما وسائل الانتقال هنا جرارات زراعية على قلة، إضافة إلى السيارات التي هي ليست كبيرة.

مدينة ووشتري:



مدخل مدينة ووشتري

وصلنا إلى مدينة (ووشتري) وهي مدينة مهمة قديمة أسست قبل تأسيس العاصمة (بريشتنا) بقرون.

قصدنا وسط المدينة حيث بيوته القديمة بعضها من الطين المطلي بمادة بيضاء، ولكن سقوفها مسنمة، وذلك من أجل أن تنزلق عنها ثلوج الشتاء، وأمطار الصيف، وتخالط هذه البيوت القديمة بيوت من الأسمنت يبدو أنها مجددة، أي مبنية بناء حديثاً بالأسمنت، وهذه البيوت الأسمنتية مؤلفة من شقق وليس كالبيوت القديمة التي هي في العادة من وحدة سكنية منفردة، ولذلك نجد في بعضها دكاكين متلاصقة.

ورأيت في وسط المدينة منارة مسجد شامخة هي أعلى البيوت القديمة في أعلاها شيء يشبه المعدن، ولا يرى أسفل المنارة لأن البيوت المتقاربة قد غطت عليه.

مسجد كرامنلة:

وقفنا عند مسجد في المدينة اسمه (مسجد كرامنلة) إضافة إلى منطقة في تركيا اسمها (كراملي) كانت مشهورة عند العرب وغيرهم في القديم.

وكان يوجد فيها أتراك من جنود ومهندسين ولكنهم الآن فيها قليل جداً.

وكان فيها طائفة من الصرب قدماء السكنى فيها هجروها بعد الحرب الأخيرة أو هجرها أكثرهم.

ومع ذلك لا تزال بقربها قريتان خالصتان للصرب بقي أهلها فيهما لأنه لا يساكنهم فيها غيرهم من المسلمين.

الوقف الإسلامي:

نزلنا عند مبنى الوقف الإسلامي في المدينة بجانب مسجدها الجامع فاستقبلنا فيه الأخ الشيخ شمس الدين رحيم رئيس الوقف الإسلامي هنا، وقال مرحباً باللغة العربية: بارك الله في كل من عمل للإسلام هنا.

والشيخ رحيم درس الدين الإسلامي واللغة العربية في تركيا.

وهو محدث لبق أفادنا بحديثه الذي لم يطل في كل ما سألناه عنه، ومن ذلك قوله: إن مدينة (ووشتري) هذه فيها خمسة مساجد، أقدمها المسجد الجامع هذا الذي بني قبل فتح مدينة اسطنبول بخمسين سنة.

وقال: هذا معناه أنه بني قبل ٦٠٠ سنة.

وقال: المسلمون من أهل هذه المدينة يتمسكون بالإسلام بقوة.

كتيبة دولة الإمارات:

عندما حصل على الإخوة المسلمين الكوسوفيين ما حصل من القتل والحرق والتهجير، وبعد أن تدخل حلف شمال الأطلسي بطرد الجيش الصربي من كوسوفا أرسلت دولة الأمارات العربية المتحدة مشكورة كتيبة من جيشها مؤلفة من ١٢٠٠ جندي حضروا إلى كوسوفا في عام ١٩٩٩م، وبقوا لمدة ثلاث سنوات ساعدوا كل بيت من المسلمين وصلوا إليه وعلموا بحاجته للمساعدة، وكان تمركزهم في هذه المدينة ولكن عملهم يشمل محافظتها كلها.

وقد دفع المسئولون في الإمارات للمدارس وللبيوت إعانات ووزعوا الملابس والأغذية، ومن ذلك أنهم ساعدوا سبعمائة أسرة من أهل هذه المدينة وما حولها على استمرار العيش ولا يزال أهل المدينة يذكرونهم بالامتنان ويدعون لهم.

وقد ذكروا أن رحيلهم بعد أن بقوا هنا ثلاث سنين ترك فراغاً كبيراً أسف له أهل المدينة، ولكنهم لم يغادروا المدينة عائدين إلى بلادهم إلا بعد أن أدوا واجبهم على الوجه الأكمل.

وكان الصرب قد هدموا بيوتاً كثيرة في المدينة وأحرقوا مساجد.

وذكر أهل المدينة أن دولة الإمارات أصلحت ألفي بيت من البيوت المهدمة، أي رممتها حتى صارت صالحة، كما ذكروا أن الصرب حاولوا إحراق المساجد كلها في المدينة ولكنهم لم يتمكنوا إلاَّ من حرق مسجدين اثنين أصلحتهما الإمارات العربية.

والواقع أن عمل الإمارات العربية وكتيبتها التي جاءت في سياق القوات الدولية إلى كوسوفا قامت بعمل جليل أوضح للإخوة الكوسوفيين إخلاص إخوتهم المسلمين العرب لدينهم، ومحبتهم لهم.



جانب من مدينة ووشتري تظهر فيه منارة مسجد بعيد

ويبلغ عدد سكان مدينة (ووشتري) مع ضواحيها مائة ألف نسمة، وكانت فيها نسبة كبيرة من الصرب لذلك تمسكوا بها، وآذووا الإخوة المسلمين.

ولم يكن الجنود الدوليون الذين جاءوا إليها من إيطاليا بالطائرات يقاتلونهم، بل كانت مهمتهم منع الاضطرابات والاقتتال فيها بين الصرب والكوسوفيين المسلمين، ولذلك لم يكونوا يساعدون المسلمين ولا الصرب.

وإنما كانت المساعدات السخية المجزأة من الإخوة المسلمين العرب، وكانت قدمت إليهم من جمهورية ألبانيا جماعة من المغاوير الألبان من الشبيبة هناك، وهم شبان وطلاب للمساعدة الإنسانية بجهدهم، ولكن إمكاناتهم ضيقة، والآن

وضع الكوسوفيين المسلمين جيد، فلا اضطرابات، وقد انتهى الصربيون من أذاهم عاجزين مغلوبين على أمرهم.

ولذلك تحرص حكومة كوسوفا تحت الإدارة الدولية لحلف شمال الأطلسي أن تحمي الصرب الموجودين في كوسوفا، وألا يمسهم شيء لأنهم من أهل المنطقة من جهة، ولئلا يؤثر ذلك على طلب الكوسوفيين الاستقلال عن صربيا.

مدينة مِتروفيتسا:

انتقلنا من مدينة (ووشتري) إلى مدينة متروفيتسا ولا تبعد كثيراً عن المدينة الأولى وتقع في منطقة أشجار كثيفة من أشجار الغابات.

وفي المدينة منجم ذهب أخذ الصرب بعض آلاته فتوقف.

دخلنا مع شارع المدينة المزدوج المفصول بين الاتجاهين فيه بجزيرة ليس فيها إلا أعشاب وحشية أي ليست مزروعة.

قصدنا رئاسة الوقف الإسلامي في (متروفيتسا) هذه، فوجدنا مبناه في غاية من الجمال والنظافة.



السوق التجاري في مدينة ميتروفيتسا

وعند بابه الخارجي خلعوا أحذيتهم كلها، وألبسوهم نعالاً كالشباشب - جمع شبشب كما فعل إخوانهم من قبل في مدينة قبلها وهي من الجلد.

استقبلنا في مبنى الوقف الإسلامي رئيسه الشيخ (أرسلان فضيلي).

بادرنا رئيس الوقف الإسلامي بسؤاله عن عدد سكان المدينة لأننا رأيناها كبيرة مهمة، فأجاب إنه ١٥٠ ألفاً.

وهذا يوضح أهميتها كأهمية المدينة التي قبلها.

وهذه المدينة حصلت فيها اعتداءات الصرب، حيث أحرقوا بيوتاً عديدة

وأحرقوا مسجداً بالكامل، ولا تزال فيها طائفة من الصرب المعتدين، ولكن القوات الدولية التي هي قوات حلف شمال الأطلسي تحول دون الاحتكاك بين الطرفين حتى الآن، بحيث إن المنطقة من المدينة التي فيها الصرب الآن لا يذهب إليها الكوسوفيون، والمنطقة التي فيها الكوسوفيون لا يذهب إليها الصرب، ولو كان في المنطقة بيوت في القديم لأهلها.

إذْ حصل ما يشبه الفرز العنصري أو الفصل بين الطرفين.

وأهمية هذه المنطقة والمحافظة على الأمن فيها ترجع إلى وجود عدد كبير فيها من الصرب، وإلى قربها من مناطق صربية خالصة للصرب.



مع الشيخ أرسلان فضيلي في مكتبه في الوقف الإسلامي في ميتروفيتسا

وقال رئيس الوقف الإسلامي: الصرب يشاغبون هنا لقربهم من حدود صربيا وتساعدهم حكومة بلغراد على البقاء في المنطقة وتدفع لهم معونات مالية وغيرها لمساعدتهم على البقاء.

قالوا: ولا تبعد حدود جمهورية صربيا عن هذه المنطقة إلاّ بواحد وأربعين كيلومتراً، وليس هذا هو المشكل، ولكن المشكل أن هذه المسافة أغلبها مسكونة بالصرب الذين هم معادون للمسلمين الكوسوفيين، ويطالب أهل كوسوفا بأن تضم إليهم، لأنها معتبرة إدارياً موقعاً منذ القديم من إقليم كوسوفا، ولكن الصرب يقررون أنها يجب أن تضم إلى جمهورية صربيا الحالية، والكوسوفيون يقولون: إنها معتبرة داخل إقليم كوسوفا حتى في عهد يوغسلافيا هي معتبرة من كوسوفا.

المساجد في متروفيتسا:

قال رئيس الوقف الإسلامي وهو مرجع الأمور الدينية فيها: إن عدد المساجد في مدينة متروفيتسا الآن ثلاثة مساجد، وكان فيها مسجد رابع هدمه الصرب تماماً، ولم تقبل إدارة الأمم المتحدة أو حلف الأطلسي أن يبنى المسلمون مسجداً في مكانه، لأن فيها سكاناً من الصرب، أي إنها ليست خالصة للكوسوفيين.

قال: وهناك أيضاً قرب المدينة قرى ليست فيها مساجد كافية ولا يستطيعون بناء مساجد فيها لقلة الإمكانات، وإن لم يكن هناك مانع من الحكومة ولا من الأمم المتحدة في ذلك.

ثم تجولنا في مبنى الوقف المذكور فوجدناه محلًّى بالفسيفسا الشبيهة بالأندلسية وفق ذوق رفيع، ومحافظاً عليه بصفة تامة، وذكر أن هيئة الإغاثة الإسلامية من المملكة العربية السعودية ساعدتهم على تملكه أو قال على صيانته.

المدرسة الإسلامية:

لديهم مدرسة إسلامية وبعضهم يسميها الإسلامية، ولكنهم يحرصون عليها.

دخلنا أحد فصول الدراسة فيها فوجدنا كل شيء فيها في غاية النظافة والنظام، وجدنا مدرّسة الفصل أختاً مسلمة اسمها (لومنية زكري) متخرجة من مدرسة علاء الدين في برشيتنا، وذكر أنها تعرف اللغة العربية كما يعرفها أكثر المتخرجين من تلك المدرسة.



فصل دراسي في المدرسة الإسلامية في ميتروفيتسا

ثم دخلنا فصلاً دراسياً آخر وجدنا المدرس فيه أخاً اسمه (صادق حيدر بن حسن) من أهل هذه المدينة، وهو إمام المسجد القديم في المدينة بعضهم يسميه (مسجد غازي علي بيك) وهو أقدم المساجد في المنطقة.

مسجد الشيخ زايد:

انتقلنا من المدرسة بعد أن زرنا المسجد القديم بصحبة إمامه، وذلك في الجادية عشرة والنصف ضحى إلى مشاهدة مسجد آخر اسمه (مسجد الشيخ زايد) ويريدون به (الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان) رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة.

وذلك أنه كان يوجد في مكانه مسجد تاريخي يسمى (مسجد السوق) هدمه الصرب كله تماماً، حتى قالوا: إنهم نقلوا حجارته إلى مكان آخر، لئلا يبقى منه ما يذكر بأنه كان موجوداً.

فأمر الشيخ زايد بإعادة بنائه على أحسن مما كان عليه، وشراء بعض العقارات المحيطة به لتوسعته، فسماه القوم (مسجد الشيخ زايد) اعترافاً لدولة الإمارات العربية المتحدة في فضل إعادة بنائه وتهيئته للمصلين.

وقد تفقدناه فألفيناه مبنياً بياناً جيداً على طريقة فنية عمادها هندسة بناء المساجد على الطراز التركي المتأخر، ومن ذلك أن سقفه كله قبة واحدة كبيرة، وله منارة بيضاء رشيقة.

وبجانبه ٣٦ دكاناً حديثة عوضاً عن دكاكين كانت موجودة فيه وهدمها الصرب، وأجرة هذه الدكاكين الآن كالدكاكين الأولى لمنفعة المسجد، وربما زاد دخلها على حاجته، فينظر في صرف شيء منها إلى مصالح إسلامية أخرى، بل قالوا لنا: إن أجرة الدكاكين الآن يتسلمها الوقف الإسلامي، وينفقها كما ذكرنا.

وجدنا فيه حلقة تدريس فيها مدرس للأطفال لتعليمهم مبادئ الإسلام وقراءة القرآن وكتابة الحروف العربية، أكثر الذين عنده هم من البنات الصغيرات أمرهن المدرس بقراءة سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص.

ورأينا داخل المسجد واسعاً وليست له علاقة بهندسة المساجد في المنطقة، فكان مزج لهندسته بين الهندسة التقليدية هنا للمساجد التي هي في معظمها على الطراز التركي العثماني أو الطراز العربي.

ولذلك اعتبر بعضهم أن وجوده بهذه الصفة يعتبر إضافة هندسية فنية لتراث المنطقة المعماري.

حتى شرفة صلاة النساء مبنية على شكل هلال وهذا- أيضاً- تجديد في الهندسة، وذلك تمشياً مع استدار الجدار الخلفي لها.

ومثل هذه الإضافة الهندسية لها أهمية بالغة عند بعض الناس فأذكر- على سبيل المثال- أن حكومة فنزويلا عندما طلبت منها سفارات الدول الإسلامية وعلى رأسها سفارة المملكة العربية السعودية في كاراكاس أن تمنحها أرضاً واسعة يقيم المسلمون عليها مسجداً استجابت، وأعطتهم أرضاً مهمة في المدينة القديمة التي يسمونها كولونيا بمعنى الاستعمارية لأنها مبنية لذلك في زمن الاستعمار- الإسباني- اشترطت حكومة فنزويلا على أن يبنى المسجد على طراز عربي إسلامي وليس على طراز الأبنية والمساجد في منطقتهم وفسروا طلبهم ذلك بأنه لكي يكون المسجد إضافة فنية ثقافية.

جلسة في الوقف الإسلامي:

عدنا إلى الجلوس في (الوقف الإسلامي) لاستفادة مزيد من المعلومات من رئيسه الأخ أرسلان فضيلي وإمام الجامع هنا وغيرهم عن أحوال المسلمين في هذه المنطقة ذات الاحتكاك والتماس بالصرب المتعصبين.

قال الأخ أرسلان إجابة على سؤال لنا: إنه لم يُسلم أحد من الصرب أهل هذه المنطقة، يريد أنه لا يعرف أن أحداً منهم دخل في الإسلام.

وهذا قد يكون معروف السبب وهو العداء ما بين الصرب والمسلمين الكوسوفيين من جهة ومن جهة أخرى طبيعة الصرب وكونهم يحملون أضغاناً وأحقاداً ضد الأتراك ويعتقدون أن الإسلام هو دين الأتراك، تغلبوا عليهم واحتلوا بلادهم- كما يقولون- ثم حدد قوله ذلك بقوله: إنني أريد أنه لم يسلم أحد من الصرب أثناء الحرب الأخيرة في كوسوفا، ولا فيما بعدها، وأما قبل ذلك فإنه يوجد من دخلوا منهم في الإسلام على قلة في ذلك.

قدم الشيخ (أرسلان) عصير عنب وبسكوتاً منوعاً.

وسألناهم عما لاحظت عن حالة الجو بأنه كان في ضحى اليوم كله شامساً وهو الآن غائم، قالوا: هذه طبيعة بلادنا في هذا الفصل من السنة، قالوا: والعادة أن ينزل مطر بعد ذلك، أقول: قد نزل المطر بالفعل.

وقد نوهوا بأن (الوقف الإسلامي) في جميع كوسوفا تابع للمشيخة الإسلامية في كوسوفا.

النهر الفاصل:

قمنا بعد ذلك بجولة على المدينة، فكانت الوقفة المهمة قرب نهرها واسمه (ابري) وهو يفصل الآن بين الصرب والألبان فيها فما كان عنه شمالاً فهو للصرب، وما كان عنه جنوباً فهو للألبان، إلاَّ أن هذا فيه استثناءات إذْ يوجد منطقة صغيرة خالصة للصرب دون النهر تحميها قوة من الجيش الفرنسي.

كما يوجد ممر بجانب النهر من جهة الشمال يستعمله جنود الأمم المتحدة بمرافقة من لهم منازل من الكوسوفيين في منطقة الصرب.



صورة مع الشيخ جمال سوراي أمام القسم الصربي من المدينة وبيته بجانب نهر ابري ولا يستطيع الذهاب إلى بيته الآن

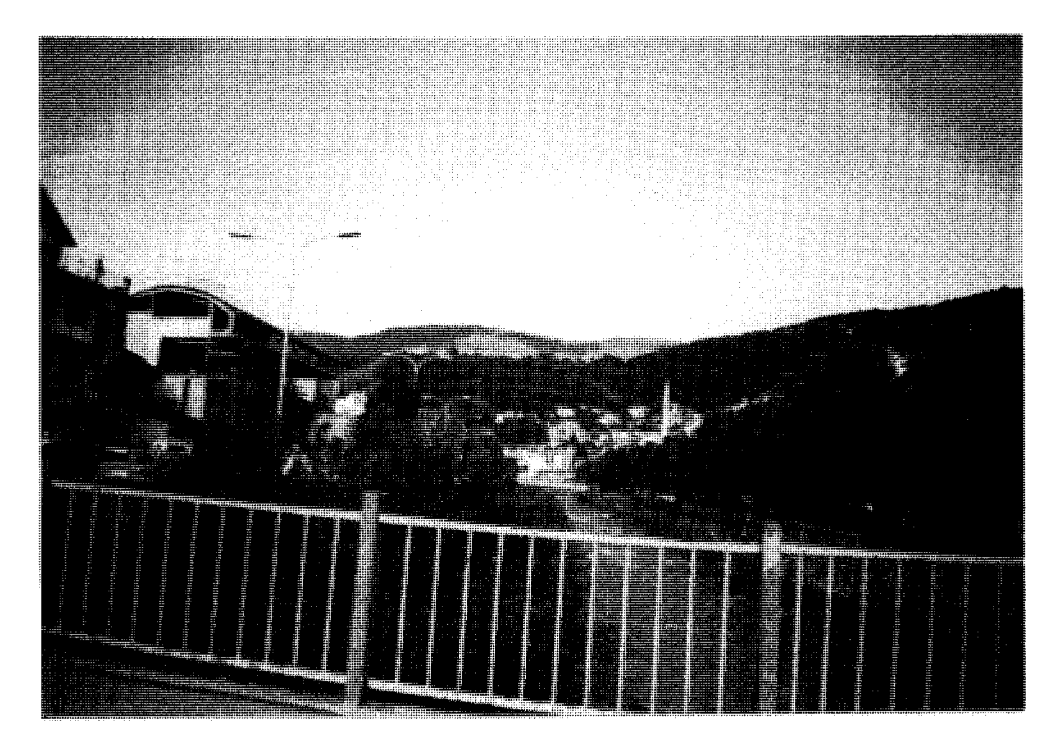
مع أن الطرفين لا يستطيعون أن يدخلوا منازلهم، إذا كانت في منطقة الطائفة الأخرى ولكنهم يمكن أن يجتازوا هذا المكان إلى أماكن لهم ليست في وسط المنازل الصربية.

طلبت أن نقترب أكثر من المنطقة الصربية فقالوا: يمنعوننا الجنود الفرنسيون ويقولون: إن القصد من ذلك المحافظة على حياتكم، كما يمنعون الصرب من الذهاب إلى المنطقة الألبانية.

وكان من الذين يرافقوننا في الجولة على المدينة الشيخ جمال سوراي مؤذن مسجد في القسم الألباني وهو الجنوبي من المدينة، فذكر لنا أن بيته يقع في جانب المدينة الشمالي حيث الصرب الآن، ولكنه لا يستطيع الذهاب إليه إلاّ بإذن من الجنود الأمميين وبترتيب خاص لابد من أن يكون عدد الذاهبين كثيراً وبمرافقة الأمم المتحدة، وأن يذهبوا بحافلة تتسنى المحافظة عليها، وذكر أن عدد المسلمين المقطوعين عن منازلهم مثله هو سبعون أسرة مسلمة مثله.

وقال الإخوة: إن الصعوبة بالنسبة للمسلمين الكوسوفيين أن نهر (ابري) الذي يفصل بين القريتين تقع عليه أراض صربية بمعنى أن الصرب يسيطرون عليها وهم الأكثرية فيها بل هم صاروا وحدهم فيها، وأنها متصلة الأراضي بأرض جمهورية صربيا المتعصبة، ومثل ذلك بالنسبة للألبان في جنوب المدينة فخلفهم أراضي الألبان الكوسوفيين ومساكنهم التي سيدافعون عنها إذا هوجموا وسوف ينتصر لهم قومهم وجماعتهم، لذلك بقي هذا الوضع هكذا جامداً أو مجمداً لحين حل المسألة الكوسوفية حلاً جذرياً.

قالوا: وقد يكون حل في هذه المنطقة، على أساس فرز السكان وإعادة إسكانهم إسكاناً نهائياً على هذا الأساس.



نهر أبري الفاصل بين المسلمين والصرب في بيتروفيتسا

ويقف الجنود الفرنسيون حاجزاً بين الطرفين، وأخبرنا الإخوة الكوسوفيون أنهم يبدون حياديين لا يفضلون أحداً على أحد من الطرفين.

ورأيتهم وضعوا حبالاً ملونة، وعوارض حديدية متنقلة علامة على عدم تجاوزها من الطرفين.

قالوا: وحتى البوشناق وهم في الأساس سلافيون في الأصل كما أن الصرب سلافيون، ولكن العداء بينهم وبين الصرب مستحكم كما ذكرت الأخبار في الصحف والإذاعات والتلفازات ذلك في جمهورية البوسنة.

فالبوشناق لا يستطيعون المرور إلى حيهم إلاَّ بمرافق من الجنود الدوليين، ولا يستطيعون الذهاب إلى الداخل الذي فيه الصرب.

هذا وقد انهمر المطر بسرعة فمنعنا من إكمال ما نريد، لأننا لا نستطيع النزول إلى الأرض والتصوير مع نزول المطر، كما لا أستطيع أن أكتب في مذكرتي شيئاً والحالة هذه.

مواصلة الجولة:

ودعنا أهل مدينة (متروفيتسا) وذهبنا جهة الشمال الشرقي مواصلين جولتنا في إقليم كوسوفا فوصلنا إلى قرية اسمها (لوجان) صورنا مسجدها الذي رأينا فيه غرابة وهو أن رأس المنارة ورأس القبة من الحديد ذي اللون النحاسي أو من النحاس.

ولم نقف في هذه القرية.

مدينة بودويفو:

هذه مدينة مهمة يبلغ عدد سكانها ٤٥ ألف نسمة، ولها ضواحٍ وقرى تتبعها مسكونة ومهمة أيضاً، رأينا أول ما وصلنا إلى المدينة منازل متفرقة كما تكون عليه المنازل هنا في القرى وأطراف المدن.

ثم وصلنا مع الإمعان في الدخول إلى المدينة صفوفاً متقاربة من المنازل المعتادة حتى وصلنا إلى قلب المدينة الذي رأينا فيها أبنية متعددة الطبقات وإن كان أعلاها لا يتعدى الطوابق الأربعة، قصدنا كعادتنا إلى مقر (الوقف الإسلامي) وذلك لكونه المعني بالدرجة الأولى بالمساجد وغيرها من المؤسسات الإسلامية وهو المعتني بالأمور الإسلامية.



المؤلف مع الأخ فضل مولاكو في محراب مسجد (بودو يفو)

ووجدنا في مقر الوقف أربعة أشخاص ليس فيهم الرئيس، ولا أدري أذلك لكونه لم يعلم بقدومنا أم منعه مانع من الحضور، والظاهر أن الأول هو القريب.

وقد بحثنا أمر هذه المدينة مع الموظفين في الوقف الإسلامي ورجلين من المهتمين بذلك من أهل المدينة رأونا فأسرعوا إلى الانضمام لمجلسنا وأفادتنا جزاهم الله خيراً.

قالوا جميعاً: يبلغ عدد المساجد في مدينة (بودويفو) مع ضواحيها والقرى المنضمة إليها ٢٨ مسجداً.

أما المدينة نفسها فإن في داخلها مسجدين.

وأهل المدينة الآن كلهم مسلمون، وحتى قبل الحرب مع الصرب كانت مدينة مسلمة، لا يزيد عدد الصرب فيها وهم غير مسلمين، بل هم من النصارى الأرثوكس كما هو معروف على ٢٪، وقد غادروها أثناء الحرب، ولم يعودوا مثل غيرهم الذين كانوا أقلية في قرى المسلمين أو مدنهم يخشون إذا عادوا إليها أن ينتقم المسلمون منهم لما فعله الصرب بالمسلمين في كوسوفا.

دخلنا المسجد الكبير فيها وهو ثلاثة أقسام يدخل إلى كل قسم من القسم الذي قبله كما تكون عليه المساجد في الشمال المسلم مثل جمهورية تتارستان وجمهورية (بشقردز ستان) المتمتعان بالحكم الذاتي داخل جمهورية روسيا الاتحادية.

ورأينا المسجد واسعاً فأخبرونا أن الذي تبرع بأرضه كلها هو شخص مسلم واحد اسمه (مت بودويفا).

وجدت شخصاً في المسجد جاء ليصلي، ذكر أن اسمه (فضل مولاكو) وأنه جاء يصلي في المسجد فالتقط أحد الإخوة لي صورة معه في محراب المسجد لأنه من أهل هذه المدينة.

وتعلو المسجد قبة في وسط سقفه كبيرة عن يمينها ويسارها قبتان، وكلها غير مرتفعة بحيث لا تبدو واضحة من خارج المسجد، وإنما الوضوح فيه على منارته الشامخة.

ذكر الإخوة ومنهم جماعة انضموا إلينا ونحن نستجلي منظر المسجد أنه بني في عام ١٩٧٢م، فليس تاريخياً كالمساجد في المدن السابقة.

صلينا في هذا المسجد الظهر والعصر جمعاً وقصراً، وقد احتجنا للوضوء فرأينا أماكن لقضاء الحاجة في الشارع العام تابعة للمسجد فوجدناها قذرة، أبوابها من الحديد المهمل المتخرق، وليس فيها إلا مراحيض لقضاء الحاجة، لذلك انتقلنا للوضوء إلى أماكن للوضوء تابعة للمسجد فوجدناها نظيفة جيدة خلاف الأولى.

وبعد ذلك وقفنا على نهر المدينة الذي لم يكن بعيداً منا واسمه (لاب)، فعجبت من كثرة الأنهار ومجاري المياه مع وجود ثلوج الشتاء وأمطار الصيف، وعرفت لماذا تكون البلاد زراعية منتجة.

حي الكويت السكني:

غادرنا بلدة (بودويفو) في نحو الساعة الثالثة ظهراً، ورأيت في شارع من شوارعها امرأتين مسلمتين على كل واحدة منهما ثوب كالقميص النسائي الطويل عندنا وفوق رأس كل واحدة منهما غطاء يشبه الغترة التي نلبسها، ومثل هذا اللباس قليل لم أر مثيلاً له إلاَّ في المدرسة الثانوية للبنات.

وفوجئت ونحن نسير برؤية لافتة بالعربية نصها: (حي الكويت السكني) ذكروا أن أهل الكويت هم الذين بنوه لإيواء الأيتام، وهو مؤلف من ٢٠ وحدة سكنية، كل واحدة أكثر من شقة واحدة، وذكروا أنه يتسع لنحو ١٢٠ أسرة، وبجانبها مسجد ذو منارة ظاهرة، وذكروا أن الكويت أنشأته إنشاءً، ولكنهم لم يعرفوا الذي فعل ذلك أهي الحكومة الكويتية أم بعض الجمعيات الخيرية بها.

ثم انطلقنا مع الريف الكوسوفي المعتاد متجهين جهة الجنوب، ونحن الآن في شرق كوسوفو، وبعض هذا الريف مفروش ببسط صفر من أعشاب الربيع المزدهرة.

وبيوت الريف متتابعة لأنها ريفية مثلما ذكرت مثيلتها من قبل.

ومن أجمل المناظر هنا منظر منارة المسجد بيضاء ناصعة البياض في إحدى هذه القرى شبه المتصلة وهي في قرية يبلغ عدد بيوتها نحو مائتي بيت.

ثم تكررت رؤية القرى الغارقة في الخضرة التي لا تخلو من منارة بيضاء لمسجد من المساجد.

بحيرة بطلاوي:

كان هدفنا هو بحيرة جميلة شهيرة في هذه المنطقة من كوسوفا اسمها بحيرة بطلاوي، وذلك للجلوس فيها والراحة على غداء في مطعمها الواقع فوق ماء البحيرة، إذْ جعلوا جسراً من الخشب يصل ما بين المطعم الذي هو من الخشب أيضاً وبين شاطئ البحيرة.

اختار الإخوة لنا مجلساً في شرفة البحيرة حيث الهواء الطلق الذي تغلب عليه البرودة، ولكن الجو كان صاحياً، وكانت الشمس تدفئه.

والمطعم كما قلت تحيط به مياه البحيرة الجميلة التي تحيط بها الربى الخضر الجميلة من كل جانب، وهذه البحيرة وما يحيط بها من الأماكن من أجمل ما رأيت من أماكن التنزه، ولو كان لدى القوم من المال ما يستطيعون به إضافة تحسينات

اصطناعية بها مثل تجميل شواطئها تجميلاً اصطناعياً، إلى جانب الجمال الطبيعي، ومثل زرع مزيد من الزهور الملونة لكانت قليلة النظير، ولتحقق فيها قول الشاعر العربي القديم:

أربعة مذهبة ... لكل هَمٍّ وحزن
الماء والخضرة والقهوة ... والوجه الحسن

فقد غلب الحسن في المكان والسكان وحتى في الجو الذي كان من عادته أن يمطر بعد أن يغيم بعد الصحو، قد غام ولكنه لم يمطر إلاَّ مطراً خفيف الظل، لطيف الوقع وما لبث أن كف حتى عن ذلك، فأشرقت الشمس التي كانت صاحية قبله، واستمرت كذلك حتى آخر النهار.

وقد انضم إلينا من هذا المكان الجميل أحد إخواننا من علماء كوسوفا ومسكنه ومسكن آبائه على شاطئ البحيرة مشرفاً عليها سيأتي وصفه فيما بعد بإذن الله.

وهو يتكلم العربية كما يتكلم بها أهلها، لأنه درس في أحد البلدان العربية، فكان يحدثنا بالعربية حديث الخبير بهذه البحيرة ومنطقتها، وبحديث بل أحاديث آخر عن كوسوفا، كما يفعل إخواننا الآخرون، واسمه (جابر بن حميدي) وهو مدرس في كلية الدراسات الإسلامية التي يرأسها تلميذي في الجامعة الإسلامية الدكتور رجب بويا يشار الذي شغل منصب رئيس المشيخة الإسلامية في كوسوفا لسنوات طوال، وكان في كل مرة يحتفي على القدوم إلى كوسوفا، يريد بذلك أن يرد عليَّ إكراماً ذكر لي أنني أكرمته به عندما كان طالباً صغيراً في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وكنت آنذاك الأمين العام للجامعة.

ثم جاء طعام البحيرة- نسبة إلى المكان، وليس الطعام، وافر الكم، طيب الطعم فيه أنواع من اللحم، وأنواع من الأطعمة الأخرى يجمع بينها السخاء في المقدار والطيب في المذاق.

فكان أوله مقبلات كثيرة في صحن كبير فيه السلطات المنوعة، ثم اللحم الذي يكاد لوفرته يصل للكيلو الواحد للشخص الواحد.

وقد استكثرته وقلت للقوم: كيف لنا بأكل هذا كله؟

فقالوا: نحن جائعون والمكان ونوع الطعام يحثان على ذلك.

ثم فوجئنا بإحضار نوع من اللحم بطريقة خاصة ليس بشواء ولا كباب، وجاءوا بجبن من عدة أنواع.

وأما الشراب فإنه عصير الفاكهة والماء المعدني بالغاز.

وقد أكلنا كثيراً، ولكننا لم نحس له بثقل في الهضم، وربما كان ذلك راجعاً مع طيبه إلى كثرة تنقلنا وتحركنا الآن.

قرية أورلان:

تطل على البحيرة قرية اسمها أورلان كنا نرى منارة مسجدها على البعد، وهي قرية أخينا وجليسنا الشيخ جابر حميدي.

ذهبنا إليها بعد الفراغ من الطعام فرأينا أول الأمر مسجدها القديم الذي أحرقه الصرب أثناء الحرب بينهم وبين الكوسوفيين عام ١٩٩٨م، وقد بقي على حالته من التخريب لأن إصلاحه وإعادته إلى حالته الأولى تتكلف أكثر مما يتكلفه من النفقة بناء مسجد جديد.

وهكذا فعل أهل القرية، فمثلاً بقيت منارة المسجد القديم مكسورة تحتاج إلى هدم ثم بناء.

وإلى الغرب من المسجد القديم مقبرة لقبور أناس من أهل القرية فيها قبر والد الشيخ جابر الذي ولد كما أخبرنا به ابنه الشيخ جابر في عام ١٩١٨م، وتوفي في عام ٢٠٠٠م.

وقد كتب على قبره العبارة التالية (حاجي زكي- أي زكريا- هاميدي أي حميدي).

وقد ذكروا أن المسجد القديم بني في عام ١٩٦٢م وهو أول مسجد بني في القرية لأنها صغيرة ناشئة، ويعمل أهل القرية بالزراعة وتربية الأبقار، لكونها خصبة وافرة الأعشاب، ولذلك شق علينا المشي داخل المسجد المهدوم لأن أرضه قد اشتبكت فيها الأعشاب، ونمت حتى صار يصعب المشي فيها، ولم أر من يحشها أو يقطعها ليخزنها إلى فصل الشتاء الذي تموت فيه الأعشاب والمزروعات، بل كل شيء أخضر يقتلها الثلج والبرد الشديد.

ولاشك في أنهم يخزنون حاجة مواشيهم من العلف ولكن العشب كثير ووافر في كل مكان، ولذلك رأيت خمس بقرات سمان ترعى الأعشاب من حاشية القرية، بل بين بيوتها.

هذا وقد بنوا المسجد الجديد على مكان مرتفع من القرية التي هي في لحف تلة مرتفعة، فكانت منارته ترى من أماكن بعيدة، وكنت أرى بقية منارة المسجد بجانبها أيضاً فكنت أعجب من وجود مسجدين متقاربين في القرية حتى عرفت الأمر بعد ذلك، وهوأن إحداهما هي منارة المسجد القديم المهدوم.

وقد أخبرني الأخ الشيخ جابر: أنه يملك أرضاً على شاطئ البحيرة، فقلت له: إن ذلك ثمين يحتاج منه إلى أن يحافظ عليه، ولا يفرط فيه، وقلت له: لو أماكن بالاشتراك مع آخرين أن تبنوا منازل تؤجر غرفاً أو شققاً للآخرين الذين يريدون أن يقضوا وقتاً أو أوقاتاً على شاطئ هذه البحيرة لكان ذلك مفيداً ونافعاً للجميع، لأن المكان جميل وهادي بل شاعري، مثالي لقضاء وقت في الراحة، وربما صيد السمك ممن يميل إلى رياضة صيد الأسماك.

هذا والبحيرة مستطيلة الشكل ولكنها غير واسعة غير أن الذي يكون في وسطها يرى شواطئها واحداً هو الأبعد، إذْ يبلغ طولها تسعة كيلومترات، وعرضها قصير.

وقال جابر: كان الناس في الماضي يعيشون على الزراعة وتربية الحيوان، وأما الآن فإنهم لا يزالون عليها، ولكن دون توسع مع أن تربية المواشي قد ضاق نطاقها.

وقد وجدنا البحيرة مكتظة بالرواد حتى إنهم أحضروا لنا كراسي من مكان ليس فيه كراسي لكثرة الناس، ذكروا أن سبب ذلك أن اليوم هو الأحد.

وقد سألتهم عن البحيرة في الشتاء عندما يقسو الجو، ويعتو الشتاء وينزل الثلج بكثافة متكررة؟

فذكروا أن مياه البحيرة تتجمد، ولكن المطعم يظل عاملاً، لأن بعض الناس يحبون أن يتناولوا طعامهم في مثل هذا الجو الثالج.

وقد ذكرني هذا بما كنت رأيته في بحيرة هي في الواقع جزء من نهر عظيم واقع في جمهورية تتارستان التي عاصمتها قازان، وهي داخلة في جمهورية روسيا الاتحادية، إذْ كنا مسافرين من مدينة قازان العاصمة إلى مدينة بلغار التاريخية ذات الاتجاه الإسلامي الغابر، وهي أي العاصمة لا تزال مدمرة لم يبق فيها إلاَّ بعض الآثار، فاضطررنا كغيرنا لعبور نهر (قاما) الذي يعترض الطريق بعرض هائل الاتساع وهو من روافد شيخ الأنهار نهر إيدل الذي يسميه الروس نهر الفولقا ونقل هذه التسمية عنهم كتابنا المعاصرون لجهلهم باسمه القديم عند أسلافنا المتقدمين.

فكانت توجد عَبَّارة خشنة تحمل السيارات والأناسي من ضفة منه إلى الضفة الأخرى، وكنا في فصل الصيف الدافئ فسألتهم عما تكون عليه حالة هذا النهر في الشتاء فذكروا أن صفحته تتجمد حتى تسير عليها السيارات، وذكروا لي أنهم كانوا يقطعونه في الشتاء سائرين على صفحته البيضاء، وأنهم يستمتعون بمرآه وما حوله في الشتاء أكثر مما يتمتعون بمنظره في الصيف.

وقد ذكرت ذلك كله في كتاب: (بلاد التتار والبلغار) وهو كتاب مطبوع.

العودة إلى برشتينا:

عدنا من هذه البحيرة مباشرة إلى فندقنا في برشتينا قبيل السادسة فوصلنا الفندق الذي نقيم فيه وهو فندق (قراند هوتيل) في السادسة والنصف.

وفد من وادي رشيفا:

لم نكد نستقر في الفندق حتى جاء إلينا وفد من جنوبي صربيا يضم إخوة أعزاء من مسلمي منطقة كوسوفية، الأغلبية فيها ذكروا أنهم كوسوفيون، ولكن

الأمم المتحدة اعتبرت منطقتهم غير داخلة في إقليم كوسوفا، لذلك صاروا تابعين لصربيا أو لنقل إنهم ظلوا على ما كانوا عليه في السابق تابعين لصربيا مثلما كانت عليه الحال بالنسبة إلى أغلب سكان وأرض كوسوفا في السابق.

ويتألف هذا الوفد برئاسة المفتي نجم الدين ساكيبي من الشيخ رغمان وستان رئيس الأئمة في رشيفا وبويانوفافتس، والشيخ مؤمن إسماعيل طاهر رئيس الوقف الإسلامي في يبرشتينا.

وقد تكلموا كلاماً طويلاً مؤثراً عن حالتهم، وذكروا أن أشق ما يشق عليهم أن لا أحد من البلدان الإسلامية يأتي إليهم ويزورهم بقصد استطلاع أحوالهم، ومساعدتهم في أمور دينهم.

قالوا: ونحن بحاجة إلى تلك الزيارات وإلى المساعدات على الأمور الدينية لأننا مسلمون متمسكون بإسلامنا.

فقلت لهم: إننا لو عرفنا بموضوعكم عند وصولنا إلى بلغراد عاصمة صربيا لكنا وضعنا زيارتكم في برنامجنا، ولكننا لم نعلم، ومع ذلك رأينا برنامجنا يكاد يضيق بما قررنا أن نقوم به من زيارات فنرجو المعذرة عن ذلك، ونسأل الله تعالى أن ييسر لنا زيارتكم في المستقبل.

مع أن المهم بالنسبة إلينا ألا تكون الزيارة مجرد قدوم إليكم، ورؤية لكم، وإنما تكون من أجل حمل مساعدات لكم أو حضور مناسبة دينية سعيدة عندكم، مثل الاحتفال بافتتاح مسجد أو وضع حجر الأساس لبناء مسجد جديد.

ولكن إلى أن يحين موعد تلك الزيارة نرى أن تتقدموا بما تريدونه من طلبات المساعدة إلى رابطة العالم أو غيرها إلى صاحب الفضيلة رئيس المشيخة الإسلامية في كوسوفو المفتي الشيخ، وتطلبوا منه أن يؤكد ذلك، وإذا رأى تأييده يرسله إلى الجهة التي تلتمس منها المساعدة في البلدان العربية، فهذه أفضل ما يمكن عمله الآن.

ومفتي كوسوفا:

بقي هؤلاء الإخوة لدينا حتى الثامنة، وجاء صاحب الفضيلة المفتي الشيخ نعيم ترنافا رئيس المشيخة الإسلامية في كوسوفا، ويسمونه هنا المفتي لأنه أكبر شيخ مسئول عن الأمور الدينية في البلاد فانصرف القوم.

وقد بقي الشيخ المفتي (نعيم ترنافا) معنا حتى حضر إلينا سلفه المفتي السابق الدكتور رجب بويا وهو تلميذي في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وكان شكا إليَّ عندما كان طالباً في عدة مناسبات بما يشعر به من ضغط نتيجة كونه مطلوباً منه أن يفهم الدروس باللغة العربية، وهو يحتاج إلى وقت لتفهمها وإتقانها، كما كان يشكو في بعض الأحيان من الأمور التي تتعلق بالمسكن أو الطعام في الجامعة، فكنت أجيبه إلى طلبه، وأساعده والأهم من ذلك عنده كما أخبرني كوني أشجعه على تحمل الدراسة، والصبر على ما يلاقيه فيها من صعوبات.

وقد ظل بعد ذلك يذكر أنه كان لتشجيعي له ذلك أثر كبير في مواصلة دراسته في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وذلك إلى أن مرن على ذلك وأحبَّه إلى درجة أنه عندما تخرج في الجامعة الإسلامية حاصلاً على الشهادة العالية من كلية الشريعة فيها، وقد حصل على معدل مرتفع من الدرجات التحق بدراسة

الماجستير في (جامعة أم القرى) في مكة المكرمة، وواصل دراسته حتى حصل منها على درجة الدكتوراه.

وقد جاء إليَّ الآن معتذراً بأنه كان في زيارة عمل لدولة الأمارات العربية المتحدة وأنه لم يكن يعلم بموعد وصولي إلى (كوسوفا) فشكرت له ذلك.

قال: وحالما وصلت في مساء هذا اليوم إلى برشتينا جئت إليكم للسلام، ولأكون في خدمتكم، ولم يمضِ على وصولي إلى كوسوفا إلاَّ نصف ساعة.

فقلت له: إن دعواتك المكررة لي لزيارة كوسوفا لم يقدر لها أن تتم في عهد رئاستكم للمشيخة، ولكنها في الحقيقة لم تكن كذلك لأن نائبكم وخليفتكم في المشيخة الشيخ (نعيم ترنافا) قد قام باللازم وتحمل المشاق بالاحتفاء بنا حتى إنه استقبلنا في الحدود ما بين كوسوفا والجبل الأسود، مع ما في الطرق البرية، وكوننا في جولة على الجبل الأسود تتعلق بالإخوة المسلمين، فصبر على ذلك وانتظرنا عند الحدود التي تعرفون أنها تبعد ١٢٠ كيلومتراً عن العاصمة برشتينا، فجزاه الله خيراً وأثابه.

بحثنا مع المفتيين السابق واللاحق الأمور المتعلقة بالنواحي الإسلامية التي يمكن أن تتعاون رابطة العالم الإسلامي فيها مع المشيخة الإسلامية في هذه البلاد.

ثم قلت للمفتي الحالي: إننا كما تعلمون قدمنا إلى بلادكم في آخر جولة واسعة زرنا فيها زيارة تجول واستقصاء جمهورية صربيا ابتداء من عاصمتها بلغراد، ثم إقليم (فويفودينا) وبعد ذلك إلى إقليم السنجق المسلم، ومن صربيا انتقلنا إلى جمهورية الجبل الأسود.

وجلنا فيها جولة واسعة اتصلنا فيها بالإخوة المسايمن هناك، والمراد بهم دار المشيخة الإسلامية، في عاصمتها (بودقورسا) ثم ذهبنا إلى المسلمين في مناطق ساحل البحر الإدرياتيكي، وهم يكثرون هناك، ولهم مدن ومساجد ومشروعات إسلامية كثيرة ولله الحمد.

ثم عدنا إلى شرق جمهورية الجبل الأسود الذي يسميه المسلمون السنجق أيضاً لأن بعضه كان اقتطع من إقليم السنجق الصربي وأعطي إدارياً لجمهورية الجبل الأسود عندما كانت البلاد بلاداً واحدة، فكانت آخر مدنه التي زرناها هي مدينة (روزايا) وهي مدينة مسلمة، وفيها مساجد ومشروعات إسلامية تحتاج إلى مساعدة.

ولذلك عندما وصلنا إلى إقليم (كوسوفا) العزيز لم يكن بقي معنا من المساعدات المالية إلا مبلغ نخجل من أن نقدمه إليكم لضآلته بالنسبة لما ينبغي أن يقدم لدار المشيخة الإسلامية من مساعدة ولكن ذلك لم يكن ليمنع تقديمه وهو أحد عشر ألف دولار أمريكي وخمسمائة دولار.

وقلت لهم: إن اتصالكم بنا واتصالنا بكم أسهل من اتصال الإخوة المسلمين في صربيا والجبل الأسود بنا.

فعقب المفتي السابق الدكتور (رجب بوبا) قائلاً: أذكر أنني عندما قدمت إليكم الدعوة أكثر من مرة لزيارة كوسوفا قلت لكم: إن الدافع لذلك ليس الحاجة إلى المساعدة المالية، فنحن نريد أن تحضروا إلى بلادنا وتطلعوا عليها، وإذا أمكن أن تكتبوا عنها شيئاً مثلما كتبتم عن المسلمين في البلدان الآخرى فذلك نافلة مفيدة.

وقال مثل ذلك أو قريباً منه المفتي الحالي الشيخ نعيم ترنافا.

وقد خرج المفتيان من عندي في العاشرة والربع.

يوم الاثنين:

تغيير خط السفر:

كانت تذاكرنا التي اشتريناها من مكة المكرمة وحجزنا سفرنا بمقتضاها تذهب بعد كوسوفا التي قررنا أن نغادرها اليوم إلى تيرانا عاصمة جمهورية ألبانيا فنقضي فيها بقية هذا اليوم ونسافر في صباح غد إلى أثينا ثم جدة.

إلا أننا لم نحاول أن نحصل على سمة الدخول إلى ألبانيا، ثقة منا بأنهم سوف يمنحوننا إياها في المطار وهي سمة دخول لا تصل مدتها إلى ٢٤ ساعة.

وقال لي المفتي الشيخ (نعيم ترنافا) يؤكد ذلك: إن سفير ألبانيا لدينا هو صديق وإنه لن يتأخر عن منح سمة الدخول إليكم.

قال ذلك وهو يأخذ تذاكرنا ويعطيها لأحد موظفي المشيخة عنده ليطلب لنا السمة المذكورة، وهي المسماة بالتأشيرة إلى ألبانيا.

ولكن الذي أرسله للسفارة الألبانية جاء إليه اليوم ليخبره بعدم منحنا السمة، قال المفتي: فاتصلت بالسفير، وقلت له: هؤلاء أصدقائي ومن الأعيان والشيخ محمد العبودي يحمل جواز سفر دبلوماسياً وهو في رتبة نائب وزير.

فقال السفير: إن التعليمات التي لدينا من الحكومة الألبانية ألا نمنح أحداً من رعايا السعوديين سمة دخول إلى ألبانيا إلاَّ بعد ارسال صورة جوازه والمعلومات الأخرى الضرورية عنه، وذلك يستغرق أسبوعاً على الأقل.

فقلنا له: إننا لسنا محتاجين إلى الدخول إلى ألبانيا إلاَّ من أجل المرور إلى أثينا ثم جدة، لأنني- أنا ورفيقي في الرحلة الأستاذ رحمة الله عناية الله سبق لنا أن زرنا ألبانيا

وتجولنا فيها، وكتبت عنها كتاباً طبع قبل سبع سنوات، ونفدت نسخه وعنوانه: (كنت في ألبانيا) كما أن السعوديين- على وجه العموم- لا يحتاجون إلى الألبانيين في شيء، وإنما يحتاج الألبان إلى السعوديين.

وربما كانت الحكومة الألبانية قد قصدت من ذلك أن تحصر منح سمات الدخول إليها بالسفارة الألبانية في الرياض، حيث تطمئن على معرفة الأشخاص الذين يطلبون السمة.

ولا شك في أن تخويف بعض الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية لألبانيا من بعض السعوديين هو الذي جعلها تفعل ذلك، إما اعتقاداً منها بخطورة بعض السعوديين أو نزولاً على ضغط من الأمريكيين.

وعلى أية حال فلم نأسف لذلك وبخاصة عندما علمنا أن طائرة تركية ستغادر في الثانية والثلث من ظهر اليوم بريشتنا إلى اسطنبول فاشترينا تذاكر جديدة من أجل أن نسافر معها، وأرسلنا من يؤكد لنا الحجز.

وقد فعلنا ذلك مع أن قيمة التذكرة مرتفعة جداً، وهي (٢٢٠) يورو أي أكثر من ألف ريال سعودي لرحلة في الدرجة السياحية لا تكاد تزيد على ألف كيلومتر، فهي كالمسافة بين جدة والرياض التي تبلغ قيمتها ٢٨٠ ريالاً سعودياً.

الكلية الإسلامية الجامعية:

كان تلميذي وصديقي الدكتور (رجب بويا) طلب مني أن أزور هذا اليوم قبل أن نخرج إلى المطار الكلية التي يديرها وقد أنشأها هو نفسه عندما كان رئيس

المشيخة الإسلامية في كوسوفا، فذهبت إليها على عجل بعدأن انتهينا من فندق (قراند هوتيل) فرحلنا عنه ودفعنا له أجره.

وجدنا الكلية الإسلامية ذات مظهر ممتاز من حيث النظافة والترتيب، والنظام ورأينا طالباتها مستترات متحجبات، إلا الوجه والكفين فليس عليهما حجاب، ولكن مظهر التدين وخفر المرأة المسلمة كان ظاهراً عليهن كلهن.

طلب مني الشيخ الدكتور رجب بويا أن ألقي كلمة في فصل فيه كبار الطالبات الجامعيات فألقيت كلمة نصحتهن فيها بالصبر على طلب العلم، والمصابرة عليه، وقلت لهن إنني لا أزال أذكر مجيء أستاذكن عميد الكلية الدكتور رجب بويا إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، كان آنذاك صغير السن غريب الوجه واللسان فلم يكن في الجامعة عندما دخلها أي طالب آخر غيره من أهل بلاده، قد يؤنس وحشته، ويهون أثر الغربة عليه، فكان يأتي إليّ يشكو من شيء أو أشياء تعرض له، فكنت اجتهد في إزالة شكواه وأوصيه بالصبر والتحمل.

وقد فعل، وها هو الآن يشار إليه بالبنان عالماً عاملاً شغل أرقى منصب ديني في البلاد منصب رئيس المشيخة الإسلامية والإفتاء، في كوسوفو لسنوات عديدة.

كان هذا بعض ما قلته ولاحظت أن إحدى الطالبات بكت من التاثر لحالة الدكتور رجب بويا عندما ذكرت صغر سنه، وغربته وصبره على طلب العلم رغم ذلك، حتى حصل على ما يريده منه، بل حتى برع في ذلك.

وقد ودعنا طلبة الكلية والعاملين فيها خارجين إلى مطار كوسوفو لنسافر منه إلى اسطنبول ثم إلى بيروت فجدة.

خرجنا إلى المطار مع القوم وقد زاد عدد المودعين منهم الخارجين إلى المطار فسألتهم عن سبب غلاء قيمة التذكرة هنا، فأجابوا بأن ذلك بسبب قلة الطائرات التي تغادرها فهي تستغل حاجة الناس إلى السفر معها.

وقالوا: لو كانت لدينا شركة طيران وطنية لكنا سهلنا على الناس أمورهم بحملهم بأجرة معتادة لمثل هذه المسافة.

فقلت لهم أرجو أن يتم ذلك في المستقبل، واستقلال بلادكم كفيل بذلك إن شاء الله.

كان الطريق إلى المطار من برشتنا أخضر، بل كثيف الإخضرار مثل بقية انحاء كوسوفا، وكانت السيارات فيه موجودة، وذلك لكثرة المغتربين المهاجرين من كوسوفا في أوروبا وأمريكا وغيرها، الذين كانوا خرجوا من البلاد إبان الحكم الشيوعي الذي صادر من الناس حرياتهم الشخصية في التجارة والاقتصاد إضافة إلى موظفي الأمم المتحدة، وحلف شمال الأطلسي والجنود العاملين فيها.

تحت حراسة أردنية:

قال لنا الإخوة: ستكونون في المطار تحت حراسة أردنية، ولم أفهم كلامهم في أول الأمر، إلى أن أوضحوه بقولهم: إن الأمم المتحدة قد أوكلت حراسة المطار والإشراف على الأمن فيه إلى الجنود الأردنيين الذين كانوا جزءاً من القوات الدولية التي وصلت إلى كوسوفا من أجل تأمين عودة اللاجئين الكوسوفيين الذين كانوا غادروا بلادهم تحت وطأة القتل والإرهاب في إحراق المنازل والممتلكات التي قام بها الصرب في كوسوفا قبل وصول القوات الدولية، حتى

وصل عدد المغادرين من كوسوفا الذين أصبحوا لاجئين في الدول المجاورة ومنها ألبانيا ومقدونيا غالب سكان كوسوفا.

فكان على القوات الدولية أن تقوم بحراسة ما يحتاج إلى حراسة في البلاد لأمرين: الأول أن تكون محايدة بين الصرب والكوسوفيين فتمنع كل طائفة من أن تعتدي على الطائفة الأخرى، والثاني: أن الكوسوفيين لم يسبق لهم أن دربوا على إدارة البلاد وتسيير أمورها بأنفسهم، لأن الصرب كانوا مستأثرين بذلك دونهم، فكان مما عملته القوات الدولية أن قلدت مسؤولية المحافظة على الأمن فيه للجنود الأردنيين الذين أسهمت الحكومة الأردنية بإرسالهم إلى كوسوفا.

وقد رأيت الأخوة الكوسوفيين يثنون كثيراً على مشاعر الأردنيين تجاههم وعلى مساعدة من يحتاج إلى مساعدة من الكوسوفيين.

وذكروا أن هناك كتيبة أخرى من الجنود المصريين جاءت من ضمن القوات الدولية وأنها تساعد الكوسوفيين وتتعاون معهم، وزادوا في وصف الجنود والضباط المصريين الذين في تلك القوة بأنهم كانوا يحضرون صلوات الجمعة معهم، ولا يخلون بذلك، وذكروا أنهم يحضرون لصلاة الجمعة وللصلوات اليومية، إذا كانوا غير مشغولين، أكثر من جنود أية دولة عربية أخرى.

وقد رأينا بأنفسنا الجنود الأردنيين وهم يقفون أمام مدخل المطار في الأماكن التي تحتاج إلى حراسة فيه، لأن ذلك من مهمتهم.

ووجدنا المطار غاصاً بالمسافرين والمودعين وعدد المودعين أكثر من المسافرين، كما رأينا الاستعداد فيه لرحيل طائرة أخرى غير الطائرة التركية التي سنسافر عليها.

كان الإخوة الكوسوفيون يسعون في إنجاز معاملة السفر فكان الموظفون الكوسوفيون يعملون أشياء غير متوقعة، ومن ذلك التدقيق في دخول المسافرين إلى كوسوفا وكيف دخلوا ومن هذا اليوم أنهم ألحوا علينا بقولهم: إنه لا توجد بجوازاتهم أختام دخول إلى كوسوفا فقلنا لهم: هذا صحيح لكوننا دخلنا إلى كوسوفا من طريق البر قادمين براً من جمهورية الجبل الأسود.

وأما عدم الختم على الجوازات فإنه ليس منا وإنما ذلك من الضابطين اللذين وجدناهما في مركز الحدود الكوسوفي فهما اطلعا على جوازينا فرحبا بنا ولم يكتبوا فيهما شيئاً.

هذا ولم يقتنع الموظف بذلك إلا بعد أن أكده له إخواننا المرافقون الكوسوفيون الذين كانوا معنا عندما وصلنا الحدود.

مغادرة كوسوفا:

غادرت الطائرة التابعة لشركة الخطوط التركية مطار كوسوفا بعد وداع حافل من الإخوة الكوسوفيين جزاهم الله خيراً، وذلك في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين، وأعلنوا أن الطيران إلى اسطنبول سيستغرق ساعة وخمساً وعشرين دقيقة.

كان الوقت وقت غداء، وقد جاءوا به جيداً، ونحن في الدرجة السياحية ولا أدري عما إذا كانت توجد في الطائرة درجة أولى أو كلها سياحية، لأننا ركبنا من مؤخرة الطائرة.

وكانت الوجبة مناسبة لأننا عهدنا الخطوط التركية أقل خدمة للركاب من معظم الخطوط العربية مثل السعودية واللبنانية والخليجية، فضلاً عن طيران الإمارات الذي لا يبارى في هذا الميدان، ولا تستطيع الخطوط التركية أن تزعم أنها تقدم مثل ما يقدم.

كان الجو صاحياً في معظم وقت الرحلة، ولكن كانت الطائرة مرتفعة جداً، وكان جو الأرض تحتنا ندياً، بل كان يسبح في بحر من بخار الماء الذي يمنع الرؤية من البعد.

في مطار اسطنبول:

حطت الطائرة في مطار اسطنبول في الساعة الخامسة إلا عشر دقائق بعد طيران استمر كما ذكروه ساعة وخمساً وعشرين دقيقة.

ولم يستقبلنا أحد في المطار لكون سفرنا إليه كان مفاجئاً لم نعزم عليه إلاّ قبل مغادرة الطائرة بنحو ساعتين، وليس استقبال الناس عندنا بمهم، بل إنني أكره أن يستقبلني أحد في المطار، لأن ذلك يفوت عليَّ معرفة معاملة أهل المطار للقادمين إليه معرفة شخصية، ولكن في حالة الوصول إلى اسطنبول اليوم كنا نود أن يكون أحد الإخوة من أهل اسطنبول قد عرف بموعد قدومنا حتى يحجز لنا في أحد فنادقها المناسبة لأن اسطنبول تشهد في هذه الأيام ازدحاماً سياحياً على فنادقها قليل النظير.

وكنا عند قدومنا إليها من جدة قد أخبرنا أحد أصدقائنا فيها بموعد القدوم، وهو اللواء المتقاعد (محمد رضا بكن) رئيس وقف تركستان الشرقية، وهو صديق لي وللأخ رفيق الرحلة الأستاذ رحمةالله عناية الله، فكان أن حجز لنا في فندق مناسب كنا نزلنا فيه من قبل، واستقبلنا في المطار مع سيارة لأحد أصدقائه.

أما اللغة فإنه لا إشكال فيها لديَّ لأن رفيقي الأستاذ رحمةالله عناية الله يعرف اللغة التركية معرفة جيدة.

ركبنا سيارة أجرة صاحبها جاد صموت كأكثر الأتراك الذين يكونون مع الغرباء، ولا أدري أيكونون كذلك مع مواطنيهم الأتراك، وذهبنا إلى الفندق الذي سكنا فيه عند الوصول من جدة إلى اسطنبول قبل أن نغادرها إلى بلغراد، فلم نجد فيه غرفاً خالية، وقد أبطأ قليلاً قبل أن يخبرنا بذلك.

وهنا نطق سائق سيارة الأجرة الذي كان يبدو قبل ذلك كالأبكم وقال: أنا سأعود إلى المطار وأبحث عن ركاب أوصلهم إلى المدينة، ولا أستطيع التأخر فأخبرناه بأننا نريده أن يساعدنا على الحصول على غرفتين في أي فندق قريب، على أن نعطيه شيئاً إضافياً تعويضاً عن وقته فرضي بذلك وجعلنا نسأل وهو معنا يسأل فندقاً بعد فندق فلم نجد إلا غرفتين في فندق ليس بالكبير ومستواه مستوى ثلاث نجوم أو أقل من ذلك غير أن نظافة الغرف والفراش هي السائدة في فنادق اسطنبول حتى الصغيرة والرديئة منها.

فنزلنا فيه ولم نبق في اسطنبول إلا هذه الليلة وبعض اليوم بعدها سافرنا إلى بيروت ثم إلى جدة ولله الحمد.



الملاحق



ملحق رقم (١)

تقرير حكومي عن الأعمال الإغاثية التي قدمتها المملكة العربية السعودية للأخوة المسلمين في كوسوفا:

أسهمت اللجنة السعودية المشتركة لإغاثة كوسوفا مساهمة فاعلة في دعم الشعب الكوسوفي منذ تعرضه للاعتداء الصربي على أراضيه ووقفت مع الشعب الكوسوفي للمحافظة على هويته الإسلامية ولتأكيد العطاء السعودي الذي امتد لأكثر مناطق العالم حتى أصبح علماً للخدمات الإنسانية النابعة من أرض الحرمين مهوى أفئدة المسلمين، وقد تحقق ذلك في كوسوفا من خلال الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية والتأهيلية والإنشائية التي تضمنتها برامج اللجنة خلال سبع سنوات خلت تم تقديمها بجدارة ودون إثارة، وبأيدي سعودية طيلة سنوات عمل اللجنة، وقد تلخصت هذه الانجازات كالتالي:

تسيير عدد من الرحلات عبر جسر جوي حمل ما يزيد عن ٢.٣٦٤ طناً من المواد الغذائية والطبية والإغاثية، وإنشاء عدد من مخيمات الإيواء وكفلت ما يقارب ٤٠ ألف لاجئ كما وزعت ما يقارب ٦.٠٠٠ طن من المواد الغذائية والملابس ومواد النظافة، وتم إنشاء مستشفى ميدان بسعة (٥٠ سريراً) في ألبانيا وعشرين مركزاً صحياً، و٣٨ عيادة طبية بكامل مستلزماتها، وتأمين ٢٢ سيارة إسعاف، كذلك إنشاء مركز الأمير سلطان لجراحة المناظير.

وتبلغ التكلفة الإجمالية للمشاريع الصحية ما يقارب ٦٦ مليون ريالاً، وقد كفلت اللجنة أكثر من ٢.٥٠٠ يتيم وشيدت ١٧٦ منزلاً لرعاية الأيتام، كذلك

قدمت اللجنة ١٥٠ منحة دراسات جامعية ودراسات عليا في مختلف التخصصات ووزعت ٥٠ ألف مصحف مترجمة معانيها إلى اللغة الألبانية، ونفذت برنامج لاستضافة ١.٢٠٠ حاج كوسوفي على نفقة خادم الحرمين الشريفين لأداء فريضة الحج، وقامت اللجنة بتشييد العديد من المدارس والمنازل والجسور وقنوات تصريف مياه الأمطار، ووقعت العديد من مذكرات التفاهم مع العديد من المنظمات الدولية ونفذت برنامج الأمير نايف للإسعافات الأولية، الذي استفاد منه ١.١٥٠ مواطن كوسوفي.

وحيث إن اللجنة بصدد إنهاء أعمالها الإغاثية في كوسوفا، فقد قام مؤخراً رئيس الاتحاد الإسلامي والمفتي العام ورئيس المشيخة الإسلامية في كوسوفا الشيخ نعيم ترفانا بزيارة إلى المملكة، وقدم الشكر والتقدير للملك ولحكومة وشعب المملكة على المواقف المشرفة في نصرة قضيتهم، راجياً أن تتحقق بعض المطالب ليكتمل عقد العطاء السعودي خصوصاً بعد توافد العديد من المنظمات التنصيرية على إقليم كوسوفا والتي تسعى لتغيير انتماءات الكوسوفيين لدينهم من خلال التوسع في بناء الكنائس وتنظيم جولات للطلبة الكوسوفيين في فترة الصيف واستخدام وسائل الإعلام المحلية، إضافة إلى وجود تحرك إيراني في بلاد البلقان عموماً وهذا ما يؤيد بقاءالدور الرائد لبلاد الحرمين هناك.

فإننا نضع تحت نظركم الكريم جملة من المقترحات التي نرى أنها غاية في الأهمية للمحافظة على البنيان الذي ساهمت المملكة في تشييده وهي كما يلي:

١- الدعم السياسي لدى هيئة الأمم المتحدة ومن خلال منظمة المؤتمر الإسلامي ورابطة العالم الإسلامي وجامعة الدول العربية حيث إنه سيتم تقرير المصير النهائي لاستقلال إقليم كوسوفا خلال الأشهر القادمة.

٢- افتتاح ممثلية دبلوماسية للمملكة العربية السعودية في كوسوفا أسوة بالعديد من الدول ومنها تركيا وماليزيا.

٣- استمرار الدعم السعودي والذي سيحدث عدم تواجده فراغاً كبيراً في الساحة الكوسوفية ربما يستغله الآخرون.

٤- الدعم الثقافي والتعليمي من خلال التوسع في المنح الدراسية للطلبة الكوسوفيين وتبادل الزيارات والنشاط العلمي بين أساتذة جامعات كوسوفا والجامعات السعودية.

٥- توثيق العلاقة بين وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة والمشيخة الإسلامية للاستفادة من إمكانيات الوزارة المتاحة في شتى المجالات.

ملحق رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد الإسلامي

لبريشيفا، بيانوفاتس ومدويجا

إلى: . . . .

السلام عليكم ورحمةالله وبركاته.

الموضوع: **طلب دعم لإكمال بناء المسجد في ترنوفاتس**

وقال الله تعالى: (**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**).

يقول النبي ﷺ: (من بنى مسجداً لله، بنى الله له مسجداً في الجنة أوسع منه).

نحمد الله العظيم بأن جعلنا نسير في دربه الصحيح وجعلنا أعضاء في أسرة الإسلام الكبير حيث يحب الشعوب والأمم بعضهم البعض باسم الله الرحمن الرحيم.

ثم نشكركم على رعايتكم الكريمة لهذه الأمة الصغيرة التي عانت الكثير والتي تعرضت طوال قرون عديدة لخطر الزوال وزوال قوميتهم وهويتهم وخصوصاً تلك المتعلقة بالشخصية الدينية والثقافية.

هذه الكلمة نبعثها لكم راجياً بما عرفنا من العطف علينا أن تأخذوا مطلبنا بعين رعايتكم.

خلفية عامة:

ترنوفاتس أكبر قرية في يوغسلافيا السابقة فيها أكثر من عشرة آلاف نسمة، وكلهم مسلمون، يوجد ثلاث مساجد ومدرسة الابتدائية مع ١٣٠٠ طالب.

إن المسجد في المفهوم الإسلامي الخالص هو مقر إعلان العبودية الخالصة لخالقنا.

بناء المسجد بدأ في السنة ١٩٩٧م، ولكن بسبب الظروف المادية لم نستطع أن نكمل بناء المسجد، وأيضاً بسبب الحرب الذي جرى في وادي برشيفا، حالياً، وضعها الاقتصادي في وادي برشيفا ضعيف جداً.

مساحة المسجد: ١٣×٢٠م٢، ارتفاعه: ١٧م.

كما تشاهد في الصور، وبناء المسجد توقف بسبب الظروف المادية ونحن نحتاج الآن مساعدة مادية لإنجاز المشروع في أسرع وقت ممكن حتى نتمكن من فتح المسجد.

أما تكلفة إكمال بناء المسجد حسب تقديرات المهندس هي:

م	الوصف	السعر EURO
١	تدهين (داخل خارج المسجد)	١٥.٠٠٠
٢	فرش الأرض بالخشب	٧.٥٠٠
٣	فرش الأرض بالسجاد	٣.٧٠٠
٤	الجدار حول المسجد	٢.٣٠٠
٥	الطابق السفلي نجهز لخدمة المسلمين في مجالات المختلفة وهي كمركز إسلامي: - مكتبة إسلامية لقراءة وتوزيع الكتب: تشمل على الكتب المفيدة والمراجع المهمة والكتيبات الصغيرة والأشرطة الإسلامية مثل أشرطة القرآن الكريم إلخ. - قاعة لتنظيم الدورات: دورة لتعليم الأطفال دورة لتعليم الكمبيوتر، دورة لتعليم اللغات الأجنبية	١٢.٤٠٠

وأخيراً نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص والتوفيق والسداد، مادين أيدينا إليكم ننشد التعاون على البر والتقوى.

سوف نظل على أمل أن يجد طلبنا دعمكم وتفهمكم.

ورغم كل شيء لكم تحياتنا وحبنا في الله.

نرجو الله القدير أن يجزيكم بكل خير لما تقومون به من خدمة للإسلام والمسلمين في العالم.

ونرجو منكم أن تأخذوا هذا الطلب بعين رعايتكم.

وتفضلوا بقبول الإحترام وجزاكم الله خيراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بويانوفتس: ٥/ ٥/ ٢٠٠٥م.

رئيس اتحاد الاسلامي

لبريشيفا، بيانوفاتس ومدويجا

مفتي نجم الدين ساكيبي

ملحق رقم (٣)

يتضمن هذا الملحق نشرتين قدمهما لوفدنا أهل إقليم (وادي بريشفيا) أمس ذكرت ذلك فيما سبق وهو و ادٍ أو قل منطقة فيها سكان كثر من الكوسوفيين، ربما كانوا معادلين في العدد للصرب، وربما كانوا أكثر قليلاً، وهو داخل في أراضي صربيا مما يلي كوسوفا، ولم تعتبره قوات حلف شمال الأطلسي ومن معها في كوسوفا من الإقليم لذلك لن يشمله إقليم كوسوفا.

وقد شرح لنا أهله وضعه وطلبوا المساعدة على حفظ ثقافتهم الإسلامية فيه.

بسم الله الرحمن الرحيم

اتحاد الاسلامي
لبرشيفيا، بيانوفاتس ومدويجا
وادي برشيفا بين الألم و الأمل
الألبان المسلمون في بريشيفا بويانوفاتس ومدويجا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد.

نحمد الله العظيم بأن جعلنا نسير في دربه الصحيح وجعلنا أعضاء في أسرة الإسلام الكبيرة حيث يحب الشعوب والأمم بعضهم البعض باسم الله الرحمن الرحيم.

خلفية عامة:

بريشيفا بويانوفاتس ومدوجا هي ثلاث بلديات ألبانية تقع حالياً في جنوب صربيا، كانت هذه الأقاليم أثناء الحكم العثماني متمماً لولاية كوسوفا، بينما كانت

تعرف بريشيفا على أنها المركز منذ مطلع القرن الرابع عشر (مركز زوبا) بعد مؤتمر برلين عام (١٨٧٨م) فإن الحدود بين ولاية كوسوفا وصربيا مرت عبر ريستوفاتس وبين بويانوفاتس وورانيا، لقد أدى الاعتراف في ذلك الوقت بحدود الصرب على المناطق الألبانية لتوبليسا في القسم الشمالي لكوسوفا الحالية، وفي الشرق لغاية جوار نيش إلى قيام الدولة الصربية، وإلى ابادة جماعية مطلقة للألبان المقيمين في هذه المناطق، وتلي ذلك هجرة جماعية لسكان ٧٠٠ قرية من الألبان، لقد صودرت أراضي الألبان وممتلكاتهم، وسفكت دماؤهم واضطهدت عائلاتهم وتم ترحيلهم، كانت بريشيفا قبل وبعد عام ١٨٧٨م مركزاً لكازا (مركز بلدي تقريباً) في الإدارة العثمانية بما فيها أراض يبويانوفاتس، وقد خضع الألبان في هذا الإقليم كما هو الحال مع بقية السكان الألبان في كوسوفا أثناء الحروب البلقانية إلى إبادة جماعية ارتكبتها السلطات الصربية أدت إلى ترحيل إجباري لكافة السكان إلى حقل شكوب على أن يعودوا إلى مقاطعتهم خلال شهور.

بعد عام ١٩١٨م ضمت بريشيفا كمركز للمقاطعة، إلى زوبا التابعة لسكوبيا إضافة إلى بويانوفاتس وتوابعها.

بعد الحرب العالمية الثانية عزل ألبان بريشيفا بويانوفاتس ومدوجا للمرة الثانية عن بقية المجتمع الألباني في مركز كوسوفا ومقدونيا لم يكن لدى الألبان في أية واحدة من الدول السابقة في بريشيفا بويانوفاتس ومدوجا أية أمكانية لاختيار الدولة أو الوحدة الإدارية التي يرغبون في الإقامة فيها.

حالياً يقطع إقليم بريشيفا بويانوفاتس ومدوجا سكان ألبان بصورة رئيسية بينما كانوا يشكلون في الماضي جزءاً مكوناً من إقليم دار دانيا، أيضاً في وقت الحاضر هذه المدن تحت إدارة الصربية.

مساحة المدن الثلاث ١٢٤٩ كم مربع، يوجد ١٠٠ ألف نسمة، في بريشيفا ٩٥٪ مسلمين، بويانوفتس ٦٥٪ مسلمين، مدويجا ٣٥٪ مسلمين.

الوضع الديني في هذه المدن:

في محافظة بريشيفا يوجد ٢١ مسجداً خلال الحرب في كوسوفا، المسجد في قرية تسارأوايك دمر تدميراً كاملاً، أيضاً مساجد أخرى دمرت جزئياً، في مدينة بويانوفاتس ١٩ مسجد في مدينة مدويجا موجود مسجد واحد فقط.

من الجدير بالذكر أن في جمهورية صربيا منذ ثلاث سنين دخلت المادة الدينية تدرس في المدارس الحكومية.

الطائفة الإسلامية لبريشيفا، وبيانوفاتس ومدويجا

بعد الحرب الذي جرى في كوسوفا وجنوب الصربيا بين الألبان المسلمين والصرب تغير الأمور كلياً، ونحن اضطرنا أن نؤسس الطائفة الإسلامية لبريشيفا، بيانوفاتس، ومدويجا، لأن مشيخة كوسوفا لا تستطيع أن تدير الأمور في جنوب الصربيا.

أما الطائفة الإسلامية لبريشيفا وبيانوفاتس ومدويجا، أسست بتاريخ ٢١/ ١/ ٢٠٠٣م، مع نجم الدين ساكيبي كرئيس، ومقره في بيانوفاتس، وهي منطقة دينية تقليدية في جمهورية صربيا، وأعمالهم تأسيسية متوافقة بالقانون الدستوري في صربيا والجبل الأسود وجمهورية صربيا.

أهداف التأسيس للطائفة:

١- التوعية بالمفاهيم والمبادئ والأخلاق والقيم الإسلامية، ولا سيما ما يتعلق منها بمعالجة المشكلات التي تواجه المجتمع.

٢- تيسير ممارسة المسلمين لعباداتهم وتقديم ما يلزم من تسهيلات وإرشادات.
٣- تفعيل دور المسجد كمركز إشعاع في المجتمع.
٤- ارتفاع مستوى إقبال المواطنين على القرآن وعلومه والثقافة الشرعية.
٥- المساهمة في تهيئة الأجواء لدى المجتمع لاستكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية.
٦- تكريس مرجعية الفتوى على المستوى الرسمي والشعبي لجهاز الإفتاء.
٧- التأكيد على الوحدة الوطنية ونبذ الفرقة والتعصب والغلو.
٨- الدعوة للتفاعل الإيجابي والانتقائي مع الحضارة المعاصرة مع الحفاظ على السمات الأساسية للهوية الإسلامية.
٩- تعزيز الأنشطة التنموية من خلال المساهمة في خلق المناخ المواتي لها.
١٠- نشر الدعوة الإسلامية والمساهمة في جهود التنمية في جنوب صربيا.
١١- تطوير نظم العمل ورفع معدلات أداء أجهزة الطائفة والعاملين فيها.

السياسة العامة للطائفة الإسلامية:

١- التعامل مع هوية المجتمع آخذة في الاعتبار أنه لا يوجد تعارض، بل هو تكامل بين عناصرها الإسلامية والإنسانية على وجه العموم.
٢- مراعاة التوازن الفكري في التعامل مع المذاهب والمدارس الحكومية المختلفة.
٣- التعامل مع مختلف التيارات والمؤسسات باعتبار أن المجتمع مسلم بطبيعته بكل فئاته وقطاعاته.
٤- التركيز على المدخل التنموي في توجيه مختلف الأنشطة في الطائفة.
٥- الاهتمام بأنشطة الثقافة والدراسات الإسلامية والتنمية الأسرية والإعلامية بوصفها الإسناد الفاعل لكل أنشطة الدعوة والتوجيه التي تنفذها الطائفة.

٦- تنفيذ الأنشطة الإسلامية والخارجية عن طريق التعاون مع مختلف المؤسسات المستفيدة من هذا النشاط.
٧- تحقيق أكبر درجة ممكنة من التاصيل العلمي للعمل المؤسسي في مختلف مجالات العمل بالطائفة من خلال الدراسات والبحوث وأعمال التوثيق.
٨- نشاط مختلف أجهزة الطائفة هو فعل مقصود به تحقيق رسالتها ولا يجوز أن يسيطر منهج رد الفعل على أي من جوانب العمل.
٩- التزام أجهزة الطائفة بنطاق اختصاص كل منها بالدرجة نفسها التي يلتزم فيها بتنسيق الأنشطة وتحقيق التكامل بين بعضها بعضاً.
١٠- التأكيد على سيادة أسلوب العمل المؤسسي بين مختلف أجهزة الطائفة.
١١- الالتزام بالتخطيط العلمي كمنهج أساسي في العمل.
١٢- تشجيع الإبداع، باعتباره طريق تحقيق رسالة الطائفة- مع الالتزام بالأصول المعتبرة في كافة الصيغ الجديدة للعمل.
١٣- الاهتمام بالاستفادة من المستحدثات في مجال النظم الآلية والإدارية وجعلها أداة من أدوات العمل الرئيسية لكافة العاملين في الطائفة وأجهزتها على مختلف المستويات.

برامج الطائفة:

١- **برنامج تفعيل دور المسجد في المجتمع:**

ويهدف إلى تفعيل دور المسجد في المجتمع بصفته إحدى المؤسسات المركزية فيه، وذلك من خلال تطوير الأدبيات المتعلقة برسالة المسجد، وتطوير الأنشطة الدعوية والثقافية في المساجد، وربط المسجد بالأنشطة المحلية للمجتمع، وتنمية علاقات المسجد مع المؤسسات المجتمعية، والتنمية المهنية للهيئة العاملة في

المساجد وتحسين أوضاعهم الوظيفية والاجتماعية، وإنشاء منتديات الأئمة والخطباء، وتطوير لوائح العمل في المساجد.

٢- **برنامج تطوير أبنية الطائفة وصيانتها:**

يهدف البرنامج إلى الارتقاء بالحالة المادية لدور القرآن الكريم والمكتبات الإسلامية والأبنية الأخرى وتجهيزاتها بما يناسب رسالتها وأهدافها، وبما يتوافق مع أهداف تطوير الخدمات التي تؤديها للمواطنين، وذلك بما يشمل تطوير أبنية هذه الدور واستكمال مرافقها وتجهيزاتها، وصيانتها بصفة دورية.

٣- **برنامج تطوير جهاز الإفتاء والبحوث الشرعية:**

ويهدف إلى تكريس المرجعية لمؤسسة الإفتاء، وذلك من خلال تطوير نظم عمل جهاز الإفتاء والبحوث الشرعية، وتعزيز الهيئة العاملة بها، وتطوير مركز المخطوطات الإسلامية وتحقيق كتب التراث.

٤- **برنامج تحديث أساليب الدعوة والإعلام الديني:**

ويهدف- بالتنسيق مع برنامج تفعيل المسجد في المجتمع- إلى تحديد الرسالة الدعوية والإعلامية الإسلامية التي تتبنى أجهزة الطائفة توصيلها إلى الجمهور، وتطوير مختلف أنشطة الدعوة والإعلام بما يتطلبه تحقيق هذه الرسالة مع التركيز على دعم وتأهيل العناصر البشرية، إضافة إلى تطوير مجلة الوعي الإسلامي، والاتصالات المجتمعية مع المؤسسات، وإعداد المواد الدعوية والإعلامية.

٥- **برنامج تطوير أنشطة الثقافة الإسلامية:**

ويهدف إلى إتاحة الفرصة للجمهور للتعرف على الثقافة الإسلامية الصحيحة، وفي إطار يناسب المشكلات التي يواجهها المجتمع وتطلعاته

نحو المستقبل، وذلك من خلال الندوة النسوية لمستجدات الفكر الإسلامي، وإعداد قائمة موضوعات الثقافة الإسلامية، ورعاية الجاليات الإسلامية والمهتدين الجدد وطلبة البعوث ثقافياً واجتماعياً، وتنظيم المواسم الثقافية بالتعاون مع مختلف المؤسسات في المجتمع، وتطوير المكتبات الإسلامية العامة ودور القرآن الكريم وعمليات النشر الثقافي الإسلامي.

٦- **برنامج تحفيظ القرآن الكريم:**

يهدف البرنامج إلى تطوير الدراسة في حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتوفير المناخ لتنمية فئة حفظة كتاب الله الكريم، وذلك من خلال تطوير نظام الدراسة في حلقات تحفيظ القرآن الكريم، وتحقيق التوازن في التوزيع الجغرافي لحلقات تحفيظ القرآن الكريم بما يتناسب والكثافة السكانية، وتطوير مسابقات حفظ وتلاوة القرآن الكريم، وإنشاء مراكز تحفيظ القرآن الكريم للمتفوقين، وإعداد حفظة كتاب الله، وتنمية هيئة تحفيظ القرآن الكريم، والتنسيق في ذلك كله مع المؤسسات الأخرى المهتمة بهذا النشاط.

٧- **برنامج تطوير النشاط النسائي الإسلامي:**

يهدف البرنامج إلى تفعيل دور الأنشطة التي تمارسها الطائفة في مختلف شرائح القطاع النسائي الإسلامي الثقافي والاجتماعي، وإنشاء مركز الدراسات الإسلامية الحرة للنساء، وتفعيل النشاط النسائي في المساجد من خلال الأنشطة العامة ومصليات النساء، وتنظيم أنشطة التثقيف والتوجيه النسائي والأنشطة النسائية مشتركة مع المؤسسات الرسمية والأهلية.

٨- **برنامج تطوير النشاط الإسلامي الخارجي:**

يهدف البرنامج إلى: تعزيز التعاون مع الطائفة الإسلامية في كوسوفا والطائفة المسلمة في سنجق والطائفة في مقدونيا، وألبانيا، والجبل الأسود.. الخ، والمؤسسات الإسلامية في العالم العربي وغيرها.

٩- برنامج تطوير خدمات الحج:

يهدف البرنامج إلى تطوير الخدمات التي تقدمها الطائفة للحجيج ولمنظمي الحملات، وذلك من خلال إنشاء مراكز متقدمة لخدمة الحملات (عند الحدود البرية أو بالقرب منها)، وتنظيم حملات الحج السنوية، وتطوير المطبوعات الإرشادية لحملات الحج.

١٠- برنامج تأسيس المدرسة الثانوية الإسلامية في جنوب صربيا:

المدرسة ستكون عامة، بمواضيع دينية ومختلفة.

وأخيراً نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص والتوفيق والسداد، مادين أيدينا إليكم ننشد التعاون على البر والتقوى.

وتفضلوا بقبول الإحترام، وجزاكم الله خيراً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الإتحاد الإسلامي
لبريشيفا، بيانوفاتس ومدويجا
مفتي نجم الدين ساكيبي

الملحق رقم (٤)

مقالان نشرا في جريدة الحياة التي تصدر في لندن نشرتها في عددها رقم (١٥٩٠٥) الصادر يوم السبت ٢٩ رمضان عام ١٤٢٧هـ الموافق ليوم ٢١ أكتوبر عام ٢٠٠٦م.

أحدهما بعنوان (الإسلام لدى الأمة الألبانية في تقاطع طرق، أطروحات للنقاش).

والثاني بعنوان: (ستة قرون على الإسلام بين الألبان) ومعلوم أن أهل (كوسوفا) هم من الألبان الأصلاء، وأن الكلام على الإسلام لدى الألبان يعنيهم بالدرجة الأولى، أو يمثل الدرجة التي يعني بها الألبان في جمهورية ألبانيا المجاورة لهم.

وطبيعي أنه ليس كل ما جاء في المقالين يمثل رأي مؤلف هذا الكتاب، وإنما هو بحث مهم في موضوع يصح أن يقال: إنه غير مطروق كثيراً.

الإسلام لدى الأمة الألبانية يقف في تقاطع طرق.. أطروحات للنقاش:

١- يبدو الإسلام لدى الألبان كأنه في تقاطع طرق على رغم أنه الآن يجري الاحتفال بمرور ٦٠٠ سنة على بداية انتشار الإسلام، ومع أن الإسلام يشكل دين الغالبية عند الألبان منذ أربعة قرون على الأقل، ومع أن التطورات السياسية الكبيرة في المنطقة (سقوط الأنظمة الشمولية حرب كوسوفو، الخ) أبرزت الألبان كعامل جيوبوليتيكي مهم في البلقان في مطلع القرن ٢١، إلا أنه بالتزامن مع هذه التطورات (التي كانت تعد

بمستقبل أفضل للألبان) أخذت تتأثر بقوة قضايا مصير وهوية الألبان، وفي هذا الاطار فقد تلاحقت الحكايات التي تحمل الإسلام مسؤولية كونه "دين المحتل" (العثماني) وتحمَّل الألبانيين المسلمين مسؤولية اعتناقهم هذا الدين الذي يتم الآن التركيز على شرقيته في مقابل الأوربة التي يسعون إليها، وإذا أخذنا في الاعتبار الدعوة (الحملة) المتنامية لأجل تنصير الألبانيين المسلمين لأمكننا القول مرة أخرى: إن الإسلام لدى الألبان يبدو كأنه على مفترق طرق، لكن مستقبل الإسلام لدى الألبان الآن لا يرتبط فقط بـ(الأعداء) الموجودين أو المتخيلين بل يرتبط أكثر بالزعامة المؤسسية للمسلمين الألبانيين أن يوضحوا الإسلام كما يفهمون، وكما يرونه مناسباً للألبان في أوروبا.

٢- يتميز الإسلام لدى الألبان منذ قرون عدة بخصوصية، فهو بغالبية سنية (على المذهب الحنفي) وأقلية شيعية أو متشيعة (بكتاشية) كما أنه يتميز بتراث صوفي غني يبدو في انتشار طرق صوفية عدة (الرفاعية والسعدية والخلوتية الخ) وقد انعكس هذا التراث كما هو معروف في الثقافات الألبانية وبالتحديد في الأدب الألباني بالحروف العربية الذي يعتبر جزءاً لا يتجزأ من الثقافة القومية الألبانية.

إلا أن هذه الخصوصية للإسلام في وسط الألبان التي استمرت كذلك قروناً عدة، لا تراها بعين الرضا بعض المراكز الخارجية التي تحاول أن تسوق رؤيتها عن الإسلام سواء بواسطة مبعوثين لها أو بواسطة ممثلين محليين لمصلحتها.

وإذا أخذنا في الاعتبار الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة حيث ينتشر الألبان (ألبانيا وكوسوفو ومكدونيا) نجد أن العنصر المحلي

(الألباني) يغرى بالمنح لمواصلة تعليمه في تلك المراكز الخارجية، حيث يشحن بفهم آخر عن الإسلام مقارنة بما هو موجود في منطقته، ثم يغرى بالعمل في الروابط والجمعيات المنتشرة الآن بين الألبان التي تعمل لصالح تلك المراكز الخارجية.

٣- لم يشكل الإسلام عقبة أمام النخبة المثقفة الألبانية المسلمة (تحسين خوجة سامي ونعيم وعيدل فراشري ودرويش هيفاء الحافظ علي كورتشا وغيرهم)كي تشارك بدورها في النهضة القومية الألبانية فهؤلاء والكثير من أمثالهم عملوا لأجل لغة وثقافة مشتركة كقاعدة للاتحاد القومي بين الألبان وبالتحديد للحكم الذاتي في البداية ثم للاستقلال في النهاية، وقد كان هذا الإسهام للنخبة المثقفة الألبانية المسلمة معروفاً للدارسين الأجانب، ولكن كان مغيباً بقصد عن الألبان خلال العقود الأخيرة، وهكذا لم يسمح بعرض أو نشر كتاب الباحث الألماني بيتر بارتل (المسلمون) الألبانيون في حركة الأستقال القومي ١٨٧٨- ١٩١٢م، الذي صدر بالألمانية في ١٩٦٩م، حيث لم يترجم وينشر في الألبانية إلا في مطلع ٢٠٠٦م، وصار في وسع الأجيال الشابة أخيراً أن تتعرف على هذا الجانب المعتم.

٤- بالمقارنة بمثيلاتها البلقانية لم تكن الحركة القومية الألبانية بطابع ديني معادٍ للمسلمين أو معاد للمسيحيين وبعبارة أخرى فقد تميزت الحركة القومية الألبانية بتسامح ديني يعكس التعايش الموجود منذ قرون عدة بين المسلمين والمسيحيين الألبانيين، وقد تحول هذا التراث الألباني في التعايش والتسامح الديني إلى أساس الدولة القومية (ألبانيا) التي تشكلت في ١٩١٢م.

٥- بالاستناد إلى هذا التراث والظروف التي أحاطت بتشكل الدولة القومية خلال ١٩١٢- ١٩١٣م، أصبحت ألبانيا أول بلد مسلم (بغالبية مسلمة)

بنص على العلمانية في دستوره وهكذا ولدت ألبانيا كدولة من دون (دين رسمي) حيث كان الدين منفصلاً عن الدولة الجديدة، إلا أن هذا النظام الجديد لم يمنع المسلمين من أن يتماسسوا ويشكلوا جماعة قوية تمثلهم أمام الدولة وترعى أمورهم الروحية والثقافية، ومن إدخال (التربية الدينية) (الإسلامية) في المدارس الحكومية لمن يرغب بذلك.

إن العلمانية لدى الألبان الآن تستند إلى تراث يمتد حوالي قرن من الزمن، وهو ما يجعل الألبانيين المسلمين يتميزون عن غيرهم من مسلمي بلدان آسيا وإفريقيا والعلمانية في نموذجها الألباني، كما هو الأمر في نماذج أوروبية عدة أخرى، ليست هي العلمانية المضادة للدين، بل هي التي تقنن التعايش والتساوي بين الأديان، حيث تضمن مؤسسات الدولة حرية واحترام المؤمنين في البلاد، لكن في السنوات الأخيرة، التي يحدث فيها كل شيء للمسلمين نجد ما يخرق ذلك إلى حد أن رئيس الدولة (الذي من واجبه حماية الأسس الدستورية للدولة بما في ذلك العلمانية) لا يتورع في محاضراته المشهورة في جامعة أوكسفورد خلال آيار (مايو ٢٠٠٦م) عن الإساءة إلى الغالبية المسلمة في بلاده ببعض التعميمات الثقيلة على النفس.

٦- الإسلام لدى الألبانيين الآن لديه تقاليد مؤسسية تمتد حوالي قرن من الزمن، فمع تعيين الشيخ وهبي ديبرا مفتياً للدولة الجديدة (ألبانيا) في ١٩١٢م، ومع عقد المؤتمر الأول لمسلمي ألباني في ١٩١٢م، الذي بدأ عملية الاستقلال عن مشيخة الإسلام في اسطنبول، انطلقت سيرورة مؤسسة الإسلام في المناطق الألبانية في ألبانيا وهكذا مع (الجماعة الإسلامية) في كوسوفو ومكدونيا (التي كانت في إطار الجماعة الإسلامية في يوغسلافيا).

اكتسب الألبانيون المسلمون مؤسسة تمثل مصالحهم أمام الدولة وترعى شؤونهم الروحية والثقافية (بواسطة الجوامع والمدارس والصحف الخ) وإذا أخذنا في الاعتبار الألبان (الميكانيزمات) الانتخابية، التي تنسجم مع القيم الديموقراطية الأوروبية، يمكن القول إن الألبانيين المسلمين الكتسبوا للمرة الأولى إمكان انتخاب قيادتهم الروحية التي تمثل مصالحهم وتدافع عنها أمام الدولة، لكن من المعروف أن هذه المؤسسة (الجماعة)، لم تكن محصنة أمام ضغوط وتدخلات الأنظمة الشمولية، وهو ما استمر في شكل ما في الأنظمة الديمقراطية الجديدة.

ومع ذلك وعلى رغم هذه الضغوط والتدخلات، فقد كان لهذه المؤسسة (الجماعة) سواء في ألبانيا أو في كوسوفو ومكدونيا فضل كبير في رعاية التراث المحلي للإسلام، ولأجل ذلك يمكن القول إن هذه المؤسسة (الجماعة) لا تلقى الارتياح من قبل المراكز الخارجية التي تعمل كل ما بوسعها لاختراق المناطق الألبانية برؤيتها المختلفة عن الإسلام ونظراً إلى أن تلك المراكز تعتبر المؤسسة (الجماعة) بمثابة درع للإسلام المحلي (الألباني) فهي تقوم منذ سنوات بتأسيس جماعات موازية (روابط وجمعيات) في المناطق الألبانية لنشر رؤيتها عن الإسلام كما لا يعرفه أو لا يألفه الألبان.

٧- مع هذه المؤسسات المذكورة على مستوى الدولة، ومع ما تتميز به من آليات انتخابية، نستطيع القول أن الألبانيين المسلمين قد دخلوا في وقت مبكر في المسار الأوروبي.

إن الألبانيين ليسوا أوروبيين فحسب، بل هم يمثلون أحد أقدم الشعوب الأوروبية، وهم بالتالي ليسوا وافدين أو طارئين في مناطقهم، وبعبارة

أخرى لا يمكن مقارنة الألبانيين المسلمين مع المسلمين الآخرين في أوروبا الغربية الذين لديهم مشاكل في التكيف مع القيم والمؤسسات الأوروبية ومن هنا حين يطرح الحديث عن (الإسلام الأوروبي) أي عن الإسلام الذي لا يتعارض مع القيم الأوروبية فإن الألبانيين لديهم خبرة غنية يمكن أن تكون مفيدة للآخرين.

٨- إن المؤسسات العليا المذكورة التي تمثل الألبانيين المسلمين على مستوى الدولة، إنما هي واعية إلى حقيقة وجودها في مجتمعات أوروبية حرة وديموقراطية، حيث كل فرد يتمتع بحقوق مضمونة في الدستور تبيح له أن يؤمن أو لا يؤمن وأن يعتنق أو يغير الدين الذي يريده، وفي هذه الظروف فإن المؤسسات المذكورة واعية لمسؤوليتها التاريخية في أن تركز عملها على إبراز القيم الروحية والأخلاقية للدين التي يحتاج إليها الفرد في المجتمعات المعاصرة.

ومن هنا فإن هذه المؤسسات التي تمثل المسلمين أمام الدولة وترعى مصالحهم، لا يمكنها في مثل هذه الأنظمة الديمقراطية أن تمنع مسلماً من تغيير دينه واعتناق دين آخر، ومع ذلك يمكن القول إن هذه المؤسسات ليست مرتاحة خلال السنوات الأخيرة أمام الدعوة (الحملة) المتزايدة لحمل الألبانيين المسلمين على (العودة إلى دين أجدادهم)، فقد انقضى في أوروبا زمن الحملات الصليبية، بل إن الاتحاد الأوروبي نفسه يرحب بـ(الإسلام الأوروبي)، (تصريح مفوض الشؤون الداخلية فرانكو فرانيت في لندن بتاريخ ١٧/ ٨/ ٢٠٠٦م، "نحن نريد إسلاماً أوروبياً").

ولذلك فإنه من المستغرب في إطار الدعوة (الحملة) الموجهة إلى الألبانيين المسلمين لـ(العودة إلى دين أجدادهم) أن يتهموا الآن بـ(الخيانة) لأن أجدادهم

اعتنقوا الإسلام قبل قرونٍ عدة، فقد جرب الألبانيون المسلمون في الجبل الأسود وكوسوفو في مطلع القرن العشرين (١٩١٢- ١٩١٣م) ماذا تعني (العودة إلى دين الأجداد)، تحت الضغوط الصربية، بينما الآن تمارس عليهم ضغوط ثقافية من قبل بعض كبار الكتاب الألبان الذين يتمتعون بحرية أن يكتبوا ما يشاؤون عن الإسلام.

٩- إن الدعوة (الحملة) إلى رد الألبان عن إسلامهم إنما تستند إلى ما يكتب عن تاريخ الإسلام، وبالتحديد إلى ظروف انتشار الإسلام في وسط الألبان، ومع أنه يتم الآن الاحتفال بمرور ٦٠٠ سنة على بداية انتشار الإسلام إلا أنه ليس لدينا بعد كتاب مرجعي عن انتشار الإسلام في المناطق الألبانية، و ينفي هذا القول وجود كتابات وكتب عدة لكنه لا يوجد لدينا مؤرخون متخصصون في تاريخ الإسلام لدى الألبان كما هو الأمر مع آدم خانجيش ونيازشكرتيش وغيرهما لدى البشناق.

وطالما يتم تجاهل المصادر العثمانية (دفاتر الطابو، دفاتر المهمة الخ)، لا يمكن أن يكون لدينا تاريخ مرجعي يعتمد عليه في ما يتعلق بإنتشار الإسلام في وسط الألبان، ومع أنه لدينا في السنوات الأخيرة اطروحات ماجستير ورسائل دكتوراه تتعلق بالإسلام لدى الألبان، إلا أنها تكتب في بلدان لديها موقف مسبق من الإسلام، وهكذا لدينا في بعض الأطروحات والرسائل صورة مثالية عن إنتشار الإسلام ولدينا في بعضها الآخر صورة قاتمة عن تلك (د. شان زفي- أسلمة الألبان خلال القرون ١٥ - ٢٠ بريزرن ٢٠٠٠).

وفي غياب العمل البحثي في المؤسسات العلمية حول ما له علاقة بدين الغالبية على عكس ما هو في البوسنة، تبرز خلال السنوات الأخيرة مراكز خاصة عدة تقوم ببعض النشاطات التي تتعلق بالإسلام عند الألبان،

ولكن في غالبية الحالات لدينا هنا (بزنس) جديد إذْ تقوم هذه المراكز بالبحث عن مصادر تمويل حكومية وغير حكومية في العالم الإسلامي للقيام ببعض الجوهر، وفي الواقع إن هذه الأنشطة في هذه الحالات، تحقق المراد منها إذْ تضمن لأصحابها في الداخل كسباً جيداً باسم الإسلام كما أنها تبرر للمصادر الممولة وجودها واهتمامها بالإسلام والمسلمين في الخارج.

١٠- الإسلام كدين الغالبية عند الألبان لابد من أن يفهم ويعامل كدين وطني له جذوره وليس كـ"دين وافد" من دون جذور أو "سطحي" كما ورد في محاضرة الرئيس الألباني في جامعة أوكسفورد، ولأنه كذلك (دين وطني) يجب أن يحظى بما يستحقه في المشاريع البحثية للمؤسسات العلمية وفي برامج دور النشر، وفي الوضع الحالي كيف يمكن بغير ذلك تفسير أن ديوان الشاعر نظيمي، الذي يتمتع بقيمة خاصة في تاريخ الأدب الألباني لم يجد مؤسسة علمية أو ثقافية تتبنى نشره مع أنه معد للنشر (محقق) بحسب الأصول العلمية منذ سنوات.

وعوضاً عن هذا التقدير لدين الغالبية، وبعد عقود من امتداح التعايش الديني لدى الألبان الذي لم يكن له مثل في أوروبا، تتصاعد الآن الحملة المعادية للإسلام والمسلمين الألبانيين بحجة أن هؤلاء "خانوا" إخوانهم المسيحيين باعتناق الإسلام، وصولاً إلى مطالبتهم بـ"العودة إلى دين الأجداد".

لقد انطلقت مثل هذه الحملة في صربيا منذ ١٩٨٩م، وقامت على (تخوين) المسلمين في البوسنة لاعتناقهم الإسلام قبل قرون عدة، ما أدى إلى النتائج المأسوية التي نعرفها.

إن مثل هذه الحملة تستفز الألبان الآن وتدفع قسماً منهم إلى الراديكالية تحت تأثير نظرية المؤامرة على الإسلام والمسلمين وفي وضع كهذا أصبحت الغالبية في

حاجة إلى حماية في كوسوفو ولدينا الآن "مجلس الرقابة على الإعلام"، ولابد من أن يكون في ألبانيا مجلس مماثل، يأخذ على عاتقه حماية كل فرد أو كل أقلية من أي حملة متحيزة عبر الصحافة، وبعبارة أخرى أصبحت الغالبية الآن في حاجة إلى حماية من الأقلية.

١١- مع انتشار الألبان خارج مناطقهم في بلدان عدة في آسيا وأفريقيا برزت شخصيات ألبانية في تلك البلدان بأفكار ورؤى عن الإسلام وعن الإصلاح في تلك المجتمعات التي استقروا فيها، وقد اشتهرت بعض هذه الشخصيات على مستوى العالم الإسلامي مثل محمد علي ومعروف الأرناؤوط وناصر الدين الآلباني وغيرهم.

وعلى رغم كونهم من الألبان إلا أنه يمكن القول إن أفكار ورؤى تلك الشخصيات كانت نتيجة حياتهم في المجتمعات التي استقروا فيها، وبعبارة أخرى أن الألبان يعتزون بتلك الشخصيات وما قامت به إلا أنه يمكن القول إن أفكارهم ورؤاهم عن الإسلام لا تصلح بالضرورة للألبان في البلقان كونهم من الألبان أو من أصول ألبانية.

١٢- في السجال الجديد بين أكبر مثقفين ألبانيين معاصرين (إسماعيل كاداويه ورجب تشوشيا)، الذي شارك فيها الكثير من الكتاب، يلاحظ وجود نزعة تحاول التمييز ما بين ألبانيا وكوسوفو، على اعتبار أن ألبانيا أقرب إلى الغرب وكوسوفو أقرب إلى الشرق، لكن ما يزعج في هذا الأمر أن بعض الكتاب يتجاوزون كاداريه نفسه في تهجمهم على المسلمين في كوسوفو وعلى ثقافتهم بحجة أنها أقرب إلى الشرق وبدعوتهم المسلمين إلى الاعتذار عن إسلامهم بـ"العودة إلى دين الأجداد".

ومع أن هذا السجال انطلق بين الكاتبين الكبيرين حول هوية الألبان عبر صحف نيرانا وبريشتينا إلا أنه من الملاحظ خلال الشهور الماضية أنه يتحول إلى "سجال ذاتي" في تيرانا، أي في غياب الطرف الآخر (أنصار تشوسيا) وحتى في غياب ممثلي المؤسسة (الجماعة) التي تمثل المسلمين والنخبة المثقفة المسلمة، وكأنه لا يوجد لدى هؤلاء ما يقولونه عن هذا الموضوع المهم.

١٣- مع هذا السجال الذي تطرح فيه بقوة الدعوة إلى "العودة إلى دين الاجداد" يبدو إسلام الألبان الآن بين أصوليتين جديدتين مدعومتين من الخارج، الأولى هي الأصولية الإسلامية المتزايدة في السنوات الأخيرة بفضل دعم بعض المراكز العربية الممثلة بروابط وجمعيات مختلفة تحاول نشر الإسلام الأصولي مع ما يلحقه من مظاهر مميزة له (اللحية للرجال والحجاب للنساء.. الخ)، والأخرى هي الأصولية الكاثوليكيةالتي تركز في دعوتها على "العودة إلى دين الأجداد" وعلى دور الكاثوليكية في حماية القومية الألبانية، وعلى أهميتها الآن للألبان للاندماج في أوروبا (الغرب)، وعلى حين أن الأصولية الإسلامية لم تخترق بعد للمجتمع الألباني كونها وافدة من الخارج ومرتبطة بمراكز عدة مختلفة في ما بينها، وكونها تحمل من المفاهيم والمظاهر ما لا ينسجم مع تراث الإسلام الألباني، فإن الأصولية الكاثوليكية تتقدم أكثر في اعتبارها تحظى بدعم مركز واحد وتستقطب بعض النخب المثقفة التي لها نفوذها في السلطة والصحافة، كما وتغري أكثر الشباب الذي يمثل غالبية المجتمع الألباني سواء في ألبانيا أو كوسوفو.

١٤- خلاصة: الألبان شعب عريق في موطنه ومن أقدم الشعوب في أوروبا، وهو شعب بغالبية مسلمة، وإذا أخذنا في الاعتبار تراثهم الإسلامي الأصيل الذي يمتد على قرون عدة وخبرتهم الغنية القرن العشرين (بعد استقلالهم عن

الدولة العثمانية) يمكن القول إن الألبان يتصدرون الآن (بعددهم وانتشارهم الجغرافي) الإسلام الأوروبي الذي يزداد الاهتمام حوله سواء في أوروبا أو خارجها، وعلى هذا الأساس يمكن للألبان أن يكون لهم إسهامهم الخاص فيما يتعلق بالإسلام سواء في أوروبا أو العالم.

إن الألبان بفضل موقعهم الجغرافي يمثلون جسراً بين الديانتين (الإسلام والمسيحية)، وبين الثقافتين (الشرقية والغربية) ومن هذا الموقع يمكن للألبان أن يكون لهم إسهامهم الخاص في التقارب والتعايش بين الأديان والثقافات بالاستناد إلى قبول الآخر واحترامه لأجل العيش في عالم يتسع للجميع.

محمد الأرناؤوط
أستاذ التاريخ الحديث في جامعة البيت- الأردن

ستة قرون على الإسلام بين الألبان:

استعرض مشاركون من دول عدة في ندوة دولية نظمتها المشيخة الإسلامية الأسبوع الماضي في إقليم كوسوفو بعنوان "ستة قرون على الإسلام لدى الألبان"، واقع الإسلام البلقاني والتاريخ الثقافي للإسلام في بلاد الألبان، إلى جانب دراسة موضوعات تتناول دور الألبان والأرناؤوط في التاريخ الإسلامي سواء من برز منهم كعلماء أو قادة سياسيين إلى جانب دراسة واقع التعليم في بلاد البلقان إبان العصر العثماني.

الإسلام يحسب رأي كمال مورينا، مسؤول ملف حوار الأديان في المشيخة الإسلامية، بدأ مبكراً في البلقان، والوثائق تثبت أن اعتناق الإسلام تم بين أبناء المجتمع الآلباني في مختلف أنحاء البلاد خلال القرنين الخامس عشر والسابع عشر، وهناك من يرى أن تاريخ وصول الإسلام بدأ مبكراً مع معركة كوسوفو أو قوصوف ١٣٨٩ غير أن الثابت اليوم هو أن كوسوفو التي يبدو مختلف شعبها ممتناً للولايات المتحدة بسبب موقفها من الصرب وانقاذها لهم من بطشهم، تسير نحو معركة استقلال تبدو صعبة، لكنها ستعلن في النهاية عن دولة إسلامية في أوروبا نسبة المسلمين فيها نحو ٩٧ في المئة، ويعتمد اقتصادها بشكل رئيس على التجارة، وعوائد الدولة فيها مكونة من الجمارك التي تشكل أهم روافد موازنة الإقليم الذي يخضع حتى الآن لرقابة الأمم المتحدة.

يذكر الكوسوفيون الدولة العثمانية بكل خير ويشيدون بطباعة السلطان عبدالحميد للكتب الألبانية في اسطنبول، إذْ كانت المطبعة العامرة التي بدأت العمل عام ١٩١٥م تطبع بالحرف الألباني بحسب الدراسات التي قدمت في الندوة عن اللغة الألبانية.

بحث المؤتمرون في دور علماء ألبان في بلاد الشام والذين يشكلون سلسلة من أهل العلم والدعوة والحديث والفقه وتحقيق المخطوطات، وهم محمد ناصر الدي الألباني، المشهور كمحدث ومحقق، والشيخ شعيب الأرناؤوط المقيم في عمان والمولود في سكودرا في ألبانيا، ثم الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط والباحث في التحقيق والتراث العربي محمود الأرناؤوط، كما تتناول دور سامي فراشري في الثقافة والحضارة الإسلاميتين.

الباحثون الأتراك جاءوا بزخم، حاملين معهم في محاولة لاكتمال المشهد الإيجابي عن الدور العثماني الذي يقف شاهداً عليه اليوم عشرات المساجد التي شيدها سلاطين بني عثمان، وجاءت المشاركة التركية من خلال دراسات قدمت حول دور الدولة العثمانية في الأحرف الأبجدية الألمانية والتعليم في كوسوفو والتراث الثقافي لإقليم كوسوفو والوثائق المرتبطة بتاريخه، وظهر أن الأحرف الهجائية الألبانية كانت مستخدمة في شكل واسع في الكتابة بالحرف العربي، ما أدى إلى ظهور ما يسمى الشعراء البيتيين الذي يكتبون اللغة الألبانية بأسلوب أبيات الشعر العربي، وتناول الباحثون المصادر التي تؤرخ للوجود الإسلامي في إقليم كوسوفو الذي يعد القاعدة الأولى للإسلام في أوروبا، إذْ يرى الكوسوفيون أنهم الدولة الإسلامية الأولى في أوروبا باعتبار أنهم مسلمون أصليون على خلاف الإسلام الأوروبي الآخر، ولذا يبدو الكوسوفيون متسمكين برصد وتوثيق تاريخهم الثقافي إلى جانب البحث عن دورهم الحضاري خارج البلقان.

في القرن الخامس عشر كانت بداية الخط الألباني وكانت هناك مؤلفات ألبانية ثم استخدمت الحروف العربية للكتابة باللغة الألبانية وألف الألبان في

العلوم الشرعية وكانت البداية عند البوشناق باللغة البوسنوية، وقوم عثمان مدرسي هذه المؤلفات وأكد أنها ساعدت في نشر الإسلام.

التصوف لم يظهر له دور كبير في البلقان كما الحال في الأناضول، وعند دراسة أهمية التصوف في المجتمع الألباني في العصر العثماني الذي أسس على قواعد ثلاثة هي الجيش والتكية والمدرسة، وأشار المشاركون إلى أن الجيش العثماني أصلح مرات عدة حتى يومنا هذا، وكذلك الحال مع المدارس ونظام التعليم، أما التكايا والحركة الصوفية فإنها لم تصلح مما جعل الحركة الصوفية قليلة التأثير في البلقان باستثناء وجود بسيط للطريقة النقشبندية حتى يومنا هذا كما قدمت دراسات عن دور الوقف في النظام التعليمي في كوسوفو والأدب الألباني الجديد وصلاته بالثقافة العربية.

وفر اللقاء العلمي الثاني في كوسوفو فرصة للمشاركين باللقاء مع رجال الحكم والإدارة في كوسوفو أمثال رئيس المشيخة الإسلامية ونائب رئيس الاتحاد الأوراسي للعلماء المسلمين نعيم تيرنافا وعدد من الزعماء الدينيين العاملين في المؤسسات الإسلامية أمثال الدكتور رجب بويا وكمال مورينا وغيرهما فرصة كبيرة لدارسي البلقان من أجل إلقاء الضوء على الحضور الإسلامي في البلقان إلى جانب الإطلاع على الجهود الكبيرة التي تنهض بها المشيخة الإسلامية في كوسوفو والتي تبنى وتشرف على نحو سبعمائة مسجد، و تدرس نحو ١٣٠٠ طالب، وتدير مدارس خاصة بإعداد الطلبة المؤهلين للدراسة في كلية الدراسات الإسلامية، إلى جانب ذلك أتاح هذا اللقاء العلمي الإطلاع على المؤسسات العلمية مثل جامعة برشتينا وأكاديمية العلوم

والفنون غير أن العنوان الأكبر لهذه المؤسسات والبنى أنها في حاجة إلى الدعم الإسلامي كي تبقى وكي يستمر صوت الإسلام في أوروبا الذي بدأ قبل ستة قرون.

تمثل المشيخة الإسلامية في كوسوفو الجهاز التنفيذي للاتحاد الإسلامي وتعتبر أعلى سلطة تنفيذية للشؤون الدينية والتعليمية والمالية، إضافة إلى أنها المخولة بتنظيم أمور الحج والعمرة وتنفيذ قرارات مجلس الاتحاد الإسلامي والإشراف على عمل الأجهزة الدينية والمؤسسات التعليمية ويوجد في كل مدينة مجلس إسلامي محلي يتولى إدارة المجتمع وشؤونه الإسلامية، وهذا ما شاهدناه في مدينة بيبا المحاذية للجبل الأسود.

السؤال الذي يواجه زائر كوسوفو عن الهوية، فعلائم الدولة والمجتمع تظهر بلداً بعيداً من كل مظاهر التعصب، وبلد متجه نحو الدولة المدنية أكثر منه إلى الدولة الدينية، و المشيخة عند سؤالها عن قلة ارتداء الحجاب في الشوارع تجيب أنه يوجد هناك من يرتدي الحجاب، والاهتمام عندها هو أكبر في مسألة وجود الإسلام أو عدمه وهذا ما ظهر فعلياً حين زرنا مدرسة علاء الدين التي تعد الطلبة في الدراسات الدينية والعلوم العصرية وهي مختلطة، وفي أمسية مع طلبة المدرسة أنشدت الطالبات أناشيد إسلامية وقرأن القرآن الكريم ومنهن من كن لا يرتدين الحجاب، وبدأ أن البحث في أذهان المشيخة الإسلامية ليس في مظاهر الإسلام بقدر ما هي محاولة إيجاد وإعادة الإسلام وتمكينه في النفوس أولاً، وهذا ما تقرأه في كلام مفتي كوسوفو ورئيس المشيخة نعيم ترنافا حين يعرض الانجازات الكبيرة للمشيخة، وعلى رأسها إعادة إعمار المساجد التي هدمها الصرب، لكن ترنافا لا يخفي غصة البحث عن واجب الدعم على المسلمين

وبخاصة الدول العربية التي يبدو ممتناً لها لما قدمت من دعم بعد التحرير، لكنه يطالب بأن تحذو الدول العربية حذو باكستان وماليزيا، اللتين فتحتا مكتب تمثيل لهما في كوسوفو.

في مبنى المشيخة الإسلامية الذي تبرع ببنائه الشيخ سلطان القاسمي استقبلنا جهاز المؤسسة، وتحدث رئيسها مرة أخرى عن ضرورة دعم قضية بلاده في الأمم المتحدة، وكشف عن محاولات للتبشير تقوم بها جهات غربية من طريق فتح دور لحضانة الأطفال، وقال إن لديه مشروعاً لفتح ثلاثين داراً لرياض الأطفال المسلمين كي ينشأوا نشأة إسلامية ويضيف ترنافا "نحن أكبر تجمع إسلامي في أوروبا من أصل السكان" ويختم بالقول إن التعاون مع العرب ضيئل جداً باستثناء عمل اللجان السعودية والكويتية والإماراتية المشتركة.

الجولات التي تمت لنا في مدن إقليم كوسوفو كشفت عن تراث إسلامي واسع الانتشار في مدن مثل بييا بيرزيرن Berzren Bayya وغيرهما، على رغم أن الاتحاد العام يسير نحو دولة مدنية وهذا ما كشفت عنه تصريحات رئيس جامعة بريشتينا أنور حسين الذي شدد على أهمية إصلاح التعليم والحفاظ عليه من تغول المظاهر الدينية وبخاصة في مسألة ارتداء الحجاب، وشكا الرئيس من و جود كنيسة بناها الصرب وسط الجامعة وهو اليوم بحسب قوله: "لا يعرف ماذا يفعل بها"[1].

مهند مبيضين
أستاذ التاريخ والحضارة في جامعة فيلادلفيا الأردنية

(١) جريدة الحياة العدد (١٥٩٠٥) الصادر يوم السبت ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) عام ٢٠٠٦ م الموافق ٢٩ رمضان عام ١٤٢٧هـ.

الفهرس